الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
قسنطينة

كليـــة أصول الديـــن والشريعة
والحضارة الإسلامية
قسم: الدعوة والإعلام والاتصال

الرقم التسلسلي: .....
رقم التسجيل: .....

جريدة البصائر ودورها الإصلاحي
السلسلة الثانية 1947 - 1956

بحث مقدم لنيـــل شهـــادة الماجســـتير
في الدعوة والإعلام والاتصال

إعداد الطالبة: غنية جمّال

أمام اللجنة:

	الاسم واللقب	الرتبـــــــة	الجامعةالأصلية
الرئيس:	عبد الله بوخلخال	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر
المقرر:	محمد زرمـــان	أستاذ التعليم العالي	جامعة بـــاتنـــــة
العضو:	بوعلي نصير	أستاذ محـــــاضر	جامعة الأمير عبد القادر
العضو:	سعيد بومعزة	أ.م.م.د	جامعة الجـــزائر

السنة الجامعية: 2003 – 2004

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر و تقدير

اعترافا بالفضل لأهله، وعملا بالأدب الإسلامي، أتقدم بخالص شكري وتقديري للأستاذ المشرف الدكتور محمد زرمان، لقبوله الإشراف على رسالتي وتحمله أعباء القراءة والتصحيح.

ومن أهل الفضل علي، ممن يسرني أن أوجه إليهم شكري وعظيم امتناني، الأساتذة الكرام الذين ساعدوني في الحصول على مادة البحث، وأخص بالذكر الدكتور إبراهيم التهامي والدكتور مولود سعادة والأستاذ محمد مراح.

كما أشكر كل عمال مكتبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية وبخاصة القائمين على مكتبة الأساتذة، وكذا أشكر جزيلا عمال مكتبة الحامة بالجزائر العاصمة، لما قدموه لي من تسهيلات وخاصة عمال قسم السمعي البصري.

ولا أنسى في الأخير أن أشكر كل من قدم لي يد العون والمساعدة حتى أتممت هذا البحث، ولو بالدعاء في ظهر الغيب، راجية من الله عز وجل أن يثيبهم جميعا أحسن الجزاء.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقـــدمـــة

إذا كانت الدراسات العلمية الميدانية تؤكد على قدرات وسائل الاتصال الجماهيري في تشكيل اتجاهات، وفي نشر المعرفة وتزويدها بالمعلومات والحقائق، فضلا عن الدور الذي تلعبه في خلق علاقات بناءة وفعالة بين الشعوب في ميدان الثقافة والسياسة والاقتصاد والعلم والفن، فإنها تؤكد من جانب آخر على إمكانية تحولها إلى أدوات لشن حرب نفسية تدمر علاقات الشعور ومصالحها المشتركة[1]، وعلى الآثار السلبية التي قد تخلفها حينما تتجه إلى تزييف الحقائق، وفرض مفاهيم وآراء هابطة مضادة لما تتطلع إليه الجماهير من أهداف وقيم اجتماعية سامية.

ومهما يكن الدور الذي تقوم به وسائل الاتصال سواء كان في الاتجاه الإيجابي أو الاتجاه السلبي، فإن الأمر كله يتوقف على القوى الاجتماعية والسياسية التي تعبر عنها وسائل الاتصال الجماهيري وأهدافها.

ولأهمية هذه الوسائل في التأثير على الرأي العام، أخذت هذه القوى تتنافس وتتصارع فيما بينها مستغلة وسائل الإعلام الحديثة عامة، والصحافة خاصة في نشر أفكارها بين شعوب العالم من أجل كسبها بأساليب التشويق والترغيب، مستخدمة كل الطاقات والإمكانات غير مبالية بمستوى ما يبث أو ينشر، وما إذا كان ذا مضمون ومفهوم أخلاقي شريف وقيم خيرة أم لا[2]. دون أن تكون أية بقعة في العالم بعيدة عن هذا الصراع. وهذا كان وراء ازدياد عناية الكتاب والمهتمين بمجال الإعلام والاتصال لتحديد أساليب التأثير على اتجاهات الرأي العام وعقول الأفراد، وقد تم تصنيف نظم الاتصال الموجودة في العالم تحت أربع نظريات وهي : نظرية السلطة، نظرية الحرية، نظرية المسؤولية الاجتماعية، النظرية السوفييتية (الشيوعية)[3]

ولكن التصنيفات الحديثة لنظريات الإعلام تقول بأن هناك ثلاث نظريات. وهي النظرية الليبرالية للإعلام، النظرية الشمولية للإعلام، والنظرية المختلطة.

وتعتبر النظريات الأربع السابقة هي مادة هذه النظريات حسب التقسيم الحديث، بإضافة المتغيرات التي أصبحت جزءا هاما منها، تميزها وتحدد إطارها العام.

وكل نظرية من هاته النظريات لها أسس ومبادئ وفلسفة تقوم عليها وتنطلق منها، وهي فلسفة تعبر عن المجتمع الغربي، صيغت وفقا لظروفه ونظرته للحياة.

---

(1) – عواطف عبد الرحمن، صورة إفريقيا في الصحافة العربية ، ط1 ،(مصر، دار الفكر العربي)، ص7.

(2) – فؤاد توفيق العاني، الصحافة الإسلامية ودورها في الدعوة، ط1، (بيروت، مؤسسة الرسالة : 1993)، ص379.

(3) – جاء هذا التصنيف في كتاب "نظريات الإعلام الأربع" الصادر سنة 1956. وقد تناول بالشرح الأساليب التي تعمل بمقتضاها وسائل الإعلام في مختلف الأنظمة السياسية، انظر : جهان أحمد رشتي، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، (مصر، دار الفكر العربي)، ص41.

وانتقال هذه النظريات إلى معظم المجتمعات الإسلامية بدأ مع استخدامها وسائل الإعلام الحديثة بعد ظهورها وانتشارها في العديد من الدول الصناعية الكبرى. فكان من الطبيعي أن يبدأ استخدام المجتمعات الإسلامية لهذه الوسائل الحديثة اعتمادا على العناصر الإعلامية المحلية بجانب محاكاة بعض الأفكار والمناهج والأساليب الإعلامية الغربية.

وكانت البداية مع الصحافة، وهي أول وسيلة دخلت إلى العالم العربي، مع الحملة الاستعمارية، حيث استغلت في إذابة الشخصية الإسلامية خاصة في الجانب التربوي والتثقيفي والنوعي، ومنذ تلك الفترة أخذت الصحف الصادرة في الأقطار الإسلامية سمتها الحالية[1] إقامت على مبادئ وقيم المجتمعات العلمانية فظهر انفصام بين الدين والدنيا، وغلب عليها التقليد والبعد عن الأصالة، واللهو واللعب بحجة إرضاء الجماهير[2]. إذ اكتفت بنقل نظم الاتصال الغربية وتغليب أساليب الاتصال من غير أن تسهم هذه الدول على الأقل من الناحية النظرية في بلورة أو صياغة نظام اتصالي إعلامي بديل يستمد أصوله من قيم المجتمع ومتطلباته الواقعية، في الوقت الذي تحاول فيه الدول الغربية تجسيد وجودها عبر هذه النظريات.

وهكذا بقيت الثقافة والعقيدة الإسلاميتين بعيدتين عن التأثير الفعلي في الممارسة الإعلامية. وإذا استثنينا المحاولات القليلة جدا من بعض الباحثين المسلمين لرسم صورة إعلام بديل يحمي المجتمع من تأثيرات الثقافة الغربية الوافدة، ونشر الثقافة الإسلامية. وذلك تحت ما يسمى بالإعلام الإسلامي فإن هذه الأخيرة كما يقول محي الدين عبد الحليم لا يزال : "...حقلا بكرا على الرغم من الأهمية البالغة لدراسة الإسلام من هذه الزاوية الإعلامية لأنها تكاد تكون أهم هذه الزوايا وأدقها، ذلك أن الإعلام وفنونه هو قوام هذا الدين وقاعدته الصلبة، فهو بمثابة الجسور التي تعبر منها هذه الرسالة الخالدة."[3]

ومن الناحية العملية فقد قامت بعض الدوائر والمؤسسات الإسلامية بإصدار صحف ومجلات ودوريات لتغير من هذا الشكل السائد وتتجه اتجاها إسلاميا في دراستها للموضوعات وأساليب وطرق عرضها. وعلى قلة هذه المساهمة، فقد كانت لها نتائج طيبة لعل أهمها هو الاقتناع بإمكانية إيجاد نموذج إعلامي ناجح يكسب ثقة الجماهير.

وأهم تجربة في واقع العالم العربي الإسلامي حسب ما لاحظته الدراسات الحديثة والدراسات الصحفية في مختلف معاهد وكليات الصحافة تتلخص في[4] :

---

(1) – عبد الرحمن محمد إبراهيم، "مشاكل الصحافة الإسلامية"، مجلة الأمة، قطر، س2، ع13، (1981)، ص20.

(2) – بسيوني الحلواني، "حاجتنا إلى إعلام إسلامي"، مجلة الأمة، قطر، س3، ع35، (أغسطس1983)، ص60.

(3) – محي الدين عبد الحليم، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، ط2، (القاهرة، مكتبة الخانجي، الرياض، دار الرفاعي:1984)، (المقدمة).

(4) – عبد الرحمن محمد إبراهيم، المرجع السابق، ص 20.

1 - أن هذا الاتجاه قد أثر في المنهج الصحفي الحالي، خاصة فيما يختص بأساليب المعالجة الصحفية، فأصبح هناك ميل أكثر لتحري الصدق والدقة فيما تنشر أو تعالج من موضوعات، أيا كان القالب الفني الذي تتخذه تلك المعالجة، مقالا كان أو بحثا أو دراسة أو تعليقا أو صناعة خبرية ...

2 - كما لوحظ أن الرأي العام في معظم الأقطار الإسلامية أصبح بفضل الصحف الأكثر التزاما بمثل الأمة وقيمها، خاصة في جانب مسؤولية المعالجة وأمانة الكلمة مع الاحتشام الضروري اللازم في الثوب الصحفي الذي تعالج من خلاله ما تتناول من موضوعات.

3 - وأثمر هذا الاتجاه نتيجة هامة، على صعيد الاتجاهات الصحفية في الوطن العربي، سواء في أساليب الدعوة ونشر الفكر أو في جانب العمل على بلورة أسلوب أكاديمي وفني، صحفي وإعلامي ذي طابع إسلامي جديد يكون هو المحتوى الجديد الممثل للوجه الحقيقي للصحوة الإسلامية المعاصرة.

وعلى الرغم من هذه النتائج الإيجابية، إلا أن التجربة لم تتضح أبعادها بعد. ذلك أن بعض الإسهامات لم ترق إلى المستوى المطلوب، حيث يغلب على مقالات بعضها الخطاب الوعظي وارتباطها بجوانب العبادة - على أهميتها - فقط دون الدخول إلى عمق الحياة ومشاكلها، كما يخلو بعضها الآخر من التحليل العلمي الموضوعي المستند إلى المصادر والإحصاءات، وتبدو بعيدة عن الأحداث المختلفة والتحديات المعاصرة.

ومن الناحية التاريخية فإن حركة التجديد والإصلاح الإسلامي كان لها آثارها البعيدة في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وقد وجهت حركة الإعلام توجيها إسلاميا لمحاربة البدع والعودة إلى منابع الإسلام الصافية، ومواجهة حركة التغريب والدعوة إلى التطور وتجاوز التخلف.

ومن الإسهامات المتميزة تلك التي قدمتها الحركة الإصلاحية في الجزائر، ممثلة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مجال استخدام الصحافة في النهضة الجزائرية في ظل الاستعمار، وكل ما يمثله هذا الأخير من أشكال الغزو الفكري والثقافي والتخلف الذي أصاب المجتمع،إلى جانب الوسائل الأخرى التي استعملتها في مقاومة الفرنسة،والتأكيد على عروبة الجزائر والمحافظة على دينها الإسلامي. ولهذا اخترت أن تكون تجربته الإعلامية محورا لدراستي، وذلك في سبيل الوصول إلى نظرة علمية صحيحة لمساهمتها في حراسة القيم الإسلامية، وفي قيادة المجتمع وفي ترشيد الرأي العام، ونشر الوعي في ظل الظروف الصعبة التي عايشتها، والتحولات التي شهدتها الجزائر وشهدها العالم العربي والغربي.

يشتمل هذا البحث على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، فالفصل الأول خصص للحديث عن ظهور الإصلاح في الجزائر والعوامل الرئيسية التي ساهمت في ذلك، ثم تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والملابسات التي تم في ظلها، مع إشارة إلى العناصر الفعلية المحركة لفكرة العمل الجماعي، كما تضمن الفصل دراسة لأهداف جمعية العلماء المسلمين، والمنهج الإصلاحي الذي تبنته من أجل تحقيق هذه الأهداف، وأسس هذا المنهج ومنطلقاته، وفي الأخير الوسائل التي اعتمدت عليها في محاربة الجهل والتخلف والاستعمار مثل : المدرسة، المسجد، النادي،

والصحيفة. وهي تعد الوسائط الأساسية في نجاح حركة العلماء وتحقيق التواصل المثمر والدائم بينها وبين المجتمع الجزائري. لقد حاولت في هذا الفصل تحليل ومناقشة دعوتها الإصلاحية وتوضيح مضامينها وأبعادها، حتى تكون لدينا صورة قريبة عن الجمعية، ونكشف مدى انعكاس هذه الصورة، وتجسد أفكارها ومبادئها على صفحات جرائدها.

أما الفصل الثاني فقد تناولت فيه الصحافة الإصلاحية في الجزائر، تعرضت فيه إلى ثلاث زوايا، الأولى تتعلق ببيان وتوضيح عوامل وظروف ظهور الصحافة العربية في الجزائر، والثانية تخص نشأة الصحافة الإصلاحية والمراحل التي مرت بها مع ذكر أمثلة ونماذج من الجرائد التي مثلت هذا الاتجاه، وانتهيت في الناحية الثالثة إلى الحديث عن أهداف الصحافة الإصلاحية، وقد حددتها من خلال اطلاعي على عدد مهم من الصحف التي تبنت الاتجاه الإصلاحي والتي ظهرت في تلك الفترة، وللإشارة فقد اكتفيت أثناء التحليل بإعطاء أمثلة من بعد الجرائد فقط، لأنه ظهر لي من خلال مطالعتي هذه الجرائد أنها كانت تتشابه في ما بينها سواء من حيث المضامين والأهداف التي كانت تقصدها من خلال هذه المضامين.

وإن الفصلين الأول والثاني يمثلان الإطار النظري للجانب التطبيقي، حيث تم من خلاله دراسة جريدة "البصائر" التي هي جريدة إصلاحية من جهة وناطقة باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من جهة أخرى.

الفصل الثالث ويضم الدراسة التطبيقية التي حاولت من خلالها تطبيق تحليل المضمون على نموذج من الصحافة الإصلاحية وهي "البصائر" في مرحلتها الثانية والممتدة ما بين 1947 و1956. وتعد "البصائر" من أهم جرائد الجمعية وأطولها عمرا.

وقد واجهتني صعوبات كثيرة في الحصول على الأعداد اللازمة للدراسة، لعدم توفر جميع أعداد السلسلة الثانية من البصائر في المكتبات العامة والمكتبات الخاصة، وتلف عدد كبير منها، وكذلك عدم تمكني من الاطلاع على الأعداد المسجلة على الميكروفيلم بسبب تعطل أجهزة القراءة في المكتبات التي يتواجد بها، مما اضطرني إلى الانتظار فترة طويلة والسفر عدة مرات إلى المكتبة الوطنية بالعاصمة لقراءة الميكروفيلم، والانتظار فترة أخرى أطول لتصوير بعض الأعداد من البصائر بعد إصلاح أجهزة التصوير.

ويضاف إلى هذه الصعوبات رفض بعض ممن يملكون أعداد البصائر في سلسلتها الثانية، أن أطلع عليها خوفا من ضياعها.

الإطار المنهجي للدراسة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإطار المنهجي للدراسة

1 – إشكالية الدراسة وتساؤلاتها:

لم تكن جبهة الصراع بين المجتمع الجزائري والاحتلال الفرنسي، ميدانها الأرض وأدواتها الغزو المسلح فقط بل كان ميدانها -أيضا- عقول أبناء الأمة ومشاعرهم وأفكارهم. وقد اتسمت أساليبه بالقهر الثقافي والتحدي الديني، فخاض عدة معارك صليبية ضد الدين والثقافة الإسلامية، وعمل على صبغ جميع جوانب الحياة الثقافية بالطابع الفرنسي الخالص، في محاولة للقضاء على مقومات الشخصية العربية الإسلامية.

ولذلك فإن أساليب المواجهة لهذا الغزو الثقافي، قد تأثرت إلى حد بعيد بطبيعة هذا الصراع ونمط الاستعمار ووسائله.

فظهرت نتائجه في الاقتناع بضرورة مواجهة الفكرة بالفكرة، واستخدام نفس سلاح المستعمر. وقد أدخل هذا الأخير الصحافة إلى البلاد، وسخرها للتأثير على الشخصية العربية الإسلامية، خاصة في جوانبها التربوية والتثقيفية، وحرص على إصدار صحف خاصة بالإدارة. بالإضافة إلى صحف المستوطنين الفرنسيين، وفي الوقت نفسه محاربة الصحف الوطنية الناطقة باللغتين العربية والفرنسية وملاحقة أصحابها ومحرريها.

وقد أفرز هذا الواقع ثلاثة نماذج أو مجموعات من الصحف، الأولى وكانت تضم الصحف الرسمية الناطقة بلسان السلطات الاستعمارية، والثانية كانت تشمل الصحف الناطقة باسم العناصر الموالية لها أو التي كانت تربطها صلات تحالف وتعاون، مبعثها المصالح المشتركة، وأما الثالثة فكانت تمثل الصحف الوطنية التي كانت تخوض معارك مزدوجة لمواجهة كل من الصحف الرسمية والصحف الموالية للاستعمار.

ومن الحقائق التي يجدر التنبيه إليها أن الحركة الإصلاحية كانت سابقة على نشأة الأحزاب، وبالتالي فإن صحافتها قد سبقت صحافة الأحزاب في الظهور.

وهذا ما جعلها تلعب دورا بارزا في انتشار هذه الوسيلة الإعلامية الهامة التي أصبحت جزءا أساسيا من حياة المجتمع الجزائري.

وقد استعانوا بها من منطلق الاقتناع بضرورة تنوع وسائط ووسائل الاتصال مع الجمهور، سواء كان ذلك عن طريق الندوات أو المحاضرات أو اللقاءات أو الخطب في المساجد والأماكن العامة. أو عن طري الإعلام الجماهيري المتمثل في الصحافة. وأن تأييد الجمهور يتوقف على تزويدهم بالحقائق التي تساعدهم على فهم واقعهم، وفهم غايات الإصلاح وأطواره. ومن ثم يشتركون في عملية الإصلاح والتغيير.

ولعلنا في غير حاجة إلى القول بأن العلاقة التي تجمع المصلحين بأفراد المجتمع تزداد قوة ومتانة كلما استمر التواصل معهم.

وإن تحقيق الأمل الكبير المعقود على هذه الوسيلة إنما يتوقف على قوة إرادة أصحابها، وقد أظهروا وأبانوا صدق العزيمة بصبرهم على تحمل مشاق إصدار الجرائد وتحدي الضغوطات الاستعمارية من غير أن يحد ذلك من إصرارهم على المواصلة والنجاح.

الإطار المنهجي للدراسة

1 – إشكالية الدراسة وتساؤلاتها:

لم تكن جبهة الصراع بين المجتمع الجزائري والاحتلال الفرنسي، ميدانها الأرض وأدواتها الغزو المسلح فقط بل كان ميدانها -أيضا- عقول أبناء الأمة ومشاعرهم وأفكارهم. وقد اتسمت أساليبه بالقهر الثقافي والتحدي الديني، فخاض عدة معارك صليبية ضد الدين والثقافة الإسلامية، وعمل على صبغ جميع جوانب الحياة الثقافية بالطابع الفرنسي الخالص، في محاولة للقضاء على مقومات الشخصية العربية الإسلامية.

ولذلك فإن أساليب المواجهة لهذا الغزو الثقافي، قد تأثرت إلى حد بعيد بطبيعة هذا الصراع ونمط الاستعمار ووسائله.

فظهرت نتائجه في الاقتناع بضرورة مواجهة الفكرة بالفكرة، واستخدام نفس سلاح المستعمر. وقد أدخل هذا الأخير الصحافة إلى البلاد، وسخرها للتأثير على الشخصية العربية الإسلامية، خاصة في جوانبها التربوية والتثقيفية، وحرص على إصدار صحف خاصة بالإدارة. بالإضافة إلى صحف المستوطنين الفرنسيين، وفي الوقت نفسه محاربة الصحف الوطنية الناطقة باللغتين العربية والفرنسية وملاحقة أصحابها ومحرريها.

وقد أفرز هذا الواقع ثلاثة نماذج أو مجموعات من الصحف، الأولى وكانت تضم الصحف الرسمية الناطقة بلسان السلطات الاستعمارية، والثانية كانت تشمل الصحف الناطقة باسم العناصر الموالية لها أو التي كانت تربطها صلات تحالف وتعاون، مبعثها المصالح المشتركة، وأما الثالثة فكانت تمثل الصحف الوطنية التي كانت تخوض معارك مزدوجة لمواجهة كل من الصحف الرسمية والصحف الموالية للاستعمار.

ومن الحقائق التي يجدر التنبيه إليها أن الحركة الإصلاحية كانت سابقة على نشأة الأحزاب، وبالتالي فإن صحافتها قد سبقت صحافة الأحزاب في الظهور.

وهذا ما جعلها تلعب دورا بارزا في انتشار هذه الوسيلة الإعلامية الهامة التي أصبحت جزءا أساسيا من حياة المجتمع الجزائري.

وقد استعانوا بها من منطلق الاقتناع بضرورة تنوع وسائط ووسائل الاتصال مع الجمهور، سواء كان ذلك عن طريق الندوات أو المحاضرات أو اللقاءات أو الخطب في المساجد والأماكن العامة. أو عن طري الإعلام الجماهيري المتمثل في الصحافة. وأن تأييد الجمهور يتوقف على تزويدهم بالحقائق التي تساعدهم على فهم واقعهم، وفهم غايات الإصلاح وأطواره. ومن ثم يشتركون في عملية الإصلاح والتغيير.

ولعلنا في غير حاجة إلى القول بأن العلاقة التي تجمع المصلحين بأفراد المجتمع تزداد قوة ومتانة كلما استمر التواصل معهم.

وإن تحقيق الأمل الكبير المعقود على هذه الوسيلة إنما يتوقف على قوة إرادة أصحابها، وقد أظهروا وأبانوا صدق العزيمة بصبرهم على تحمل مشاق إصدار الجرائد وتحدي الضغوطات الاستعمارية من غير أن يحد ذلك من إصرارهم على المواصلة والنجاح.

وعلى الرغم من الإسهامات التي قدمتها الصحافة الوطنية عامة والصحافة الإصلاحية خاصة، في خدمة ونهضة المجتمع الجزائري، وفي مواجهة السيطرة الأجنبية فإنني أعتقد أن صورة هذه المساهمة لازالت غير مكتملة لدينا حيث لازلنا نجهل الكثير من خصائصها، وشكلها، ومحتواها، هذا في الوقت الذي اهتمت فيه دوائر البحث في الدول الغربية والعديد من الدول العربية بالتأريخ لصحافتها.

وإن الاهتمام بالصحافة الإصلاحية بشكل خاص يعود إلى سببين جوهريين :

- الأول أن أغلب الصحف التي صدرت في الفترة الاستعمارية كانت تمثل الاتجاه الإصلاحي الذي بدأ ظهوره مع بداية القرن العشرين واستمر إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية، ولا شك أن ذلك قد شكل قوة إعلامية هامة ساعدت على بلورة الممارسة الإعلامية، وعلى أداء أدوار خاصة في المجتمع لا يمكن إغفالها أو تجاهلها في ظل الظروف الحرجة بسبب الاستعمار والتخلف.
- والثاني أن الحركة الإصلاحية قد جعلت من المؤسسات الثقافية عامة والصحافة خاصة مجالا للحوار وطرح القضايا الهامة ومناقشتها وتحليلها، للخروج في النهاية بوجهة نظر تدعو جمهورها لتبنيه، وفي نشر المعرفة وتشكيل الوعي وتوجيهه بين المستويات الاجتماعية والفكرية المختلفة في المجتمع. وذلك من منطلق دعوتها إلى العودة إلى الذات باستلهام القيم الأصيلة والمستمدة شرعية عملها من أصولها الفكرية والروحية. لتؤكد بواقعية دور هذه الأصول في الممارسة الإعلامية، وتميزها الحضاري في مواجهة الإعلام الغربي، وفي دفع المجتمع نحو الرقي الثقافي والاجتماعي وفقا لهذه المبادئ. وأن هناك لونا إعلاميا آخر من ألوان الصحافة لم تشر إليه نظريات الإعلام التي وضعها الغرب، وصنفوا تحتها أغلب أشكال الإعلام والاتصال الموجودة في العالم.

وهذه الدراسة تسعى للكشف عن دور الصحافة الإصلاحية في الجزائر تجاه القضايا الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية، والوقوف على جوانب السياسة التي اتبعتها في خدمة هذه القضايا. وذلك عن طريق دراسة عينية منها المتمثلة في صحيفة "البصائر"، وهي إحدى جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأهم صحفها وأطولهن عمرا. واكبت أنشط الفترات في تاريخ الجزائر وتاريخ الحركة الوطنية.

ويمكن التعبير عن مشكلة هذه البحث من خلال مجموعة من الأسئلة التي تحتاج إلى إجابة دقيقة وذلك على النحو التالي :

1. ما هي الأسباب والعوامل التي ساعدت على ظهور الصحافة العربية الجزائرية؟ وهل اختصت الصحافة الإصلاحية بأسباب وعوامل أخرى؟
2. ما هي أهداف الصحافة الإصلاحية في الجزائر وما علاقتها بالوضع السياسي الذي تعيشه الجزائر داخليا والعالم الإسلامي والعالمي خارجيا؟
3. ما هي مميزاتها وخصائصها؟
4. ما هي الأشكال الصحفية المستخدمة في جريدة البصائر؟
5. ما هي الموضوعات أو المجالات التي عالجتها جريدة البصائر، وإلى أي حد اتسمت المعالجة بالتوازن في تناول هذه المجالات ؟

3 - ما الأهداف التي سعت جريدة البصائر إلى تحقيقها ؟

6- دوافع الدراسة وأهدافها:

هناك دوافع عديدة كانت وراء اختيار موضوع الدراسة، منها ما يتعلق بالحركة الإصلاحية ودورها المهم الذي أدته في المجتمع، ومنها ما يتعلق بالجريدة محل الدراسة، يمكن إجمالها في الآتي :

- أن الحركة الإصلاحية كانت من الاتجاهات الهامة التي قاومت الاستعمار، وواجهت حركة التغريب وحملات التبشير، وساهمت بشكل فعال في توجيه وإرشاد المجتمع، وفي نشر الوعي الإسلامي والوطني.

- وعي الحركة الإصلاحية بأهمية الصحافة في تبادل وجهات النظر، وعرض الأفكار والآراء التي تعيش على الساحة، وتحليلها ومناقشتها للخروج برأي سديد ومشترك يبصر جمهور القراء بملابسات الواقع، وقد تجسد هذا الوعي في العناوين الكثيرة التي ظهرت في تلك الفترة، وفي إصرارها على تحدي العراقيل والصعوبات التي كانت تعترض إصدار الصحف.

- أنها انطلقت في عملها الإعلامي من النظرة الشمولية للإسلام لتحقيق النهضة والتغيير.

- لعبت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دورا هاما في إحياء الشخصية عبر الوسائل المختلفة، وقد كانت الصحافة إحدى أهم هذه الوسائل، وأكبت حركتها، ونشرت مبادئها وعرفت بأصول دعوتها.

- تعد جريدة البصائر محل الدراسة، أهم وأكبر صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأطولها عمرا، وأكثرها انتشارا في الوطن وفي بعض الدول العربية والأجنبية، صدرت في سلسلتين، عايشت كل واحدة منهما مرحلة خاصة في حياة جمعية العلماء، وحياة المجتمع الجزائري، وقد تم اختيار السلسلة الثانية للبصائر لسببين :

١ - أنها جاءت بعد تجربة ثرية خاضتها جمعية العلماء في المجال الإعلامي، واستخدام الصحافة في دعوتها ولا شك أن ذلك قد كان له انعكاسات إيجابية على مستوى الممارسة، وقد لاحظ بعض المهتمين بالصحافة العربية ،أن أسلوبها قد عرف تطورا مهما وذلك في الفترة التي تلت نهاية الحرب العالمية الثانية، رغم ضعف الإمكانيات، ومحاربة الاستعمار للغة العربية، ويرجع هذا التطور إلى عدة أسباب أهمها ازدياد عدد قراء العربية في الجزائر نتيجة انتشار التعليم، وزيادة الاتصال بالمشرق العربي وصحفه وكتبه، ومن جهة ثالثة يرجع إلى تطور الإنسان في حد ذاته، وكانت صحافة جمعية العلماء أرقاها مستوى وأحسنها أسلوبا.[1]

2 - أن الجريدة قد واكبت فترة تاريخية مهمة، كانت حافلة بالأحداث في الداخل والخارج، وهي الفترة التي ازداد فيها الوعي الوطني لدى الجزائريين، وهي كذلك الفترة التي بدأت تظهر فيها آثار الحرب العالمية الثانية، وما كان لها من انعكاسات سلبية وأخرى إيجابية على الجزائر والوطن العربي والعالم.

---

[1] - عبد المالك مرتاض، "أسلوب الصحافة العربية في الجزائر"، مجلة الثقافة، الجزائر، س6، ع34 (أغسطس / سبتمبر 1976) ص46.

وترجع أهمية دراسة الصحافة الإصلاحية في الجزائر في ظل الاحتلال وإعادة الاعتبار إلى الدور البالغ الأهمية الذي اضطلعت به الحركة الإسلامية في حياة المجتمع بجوانبه المختلفة، عبر إعادة بعث الحياة الدينية، حيث لاذ رجال الحركة الإصلاحية بالدين الإسلامي لتجاوز مسألة التخلف والوضع الفرنسي القائم، وقد كان الإسلام أفضل قاسم مشترك جمع بين كل الجزائريين، فهو النواة الصلبة لوجودهم وكيانهم.

ولم يعد يجدي في حالة الجزائر الفصل بين ما هو سياسي وما هو أخلاقي أو اجتماعي أو ديني، لأن التغيير الاجتماعي والحضاري العام لا تصنعه السياسة وحدها وإنما تساهم فيه أطراف وعوامل أخرى.

ولهذا تهدف هذه الدراسة بما تقدمه في النهاية من نتائج إلى الوصول لتحديد دلالات علمية تفيد في طور معرفتنا بالتجربة الصحفية في الجزائر وبخاصة الإصلاحية، والخروج بها من دائرة النظرة الجزئية المحدودة للمحتوى الظاهر وسماته إلى دائرة أوسع تستهدف دراسة هذا النموذج الإعلامي في جوانبه الكلية.

3 – الدراسات السابقة

هناك عدد من البحوث التي اهتمت بدراسة الحركة الإصلاحية في الجزائر، وبجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، قام من خلالها الباحثون برصد مختلف نشاطاتها، وتحليل آرائها ومواقفها. ويمكن أن نذكر:

- دراسة علي مراد التي كتبها باللغة الفرنسية وكان عنوانها " الإصلاح الإسلامي في الجزائر من 1925 إلى 1940"(*). وتعتبر من أثرى وأهم الدراسات التي تناولت حركة جمعية العلماء المسلمين. وذلك في ظل الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي كانت تميز الواقع الجزائري آنذاك، فاهتم ببيان أهم العوامل التي ساهمت في ظهور الإصلاح الإسلامي في الجزائر، وبمرحلة تأسيس جمعية العلماء والظروف التي تمت فيها، وعرف بأهم الشخصيات التي كانت فاعلة في تنشيط حركة جمعية العلماء، كما تعوض لأهم المجالات التي استرعت اهتمامها والوسائل التي استخدمتها لتحقيق أهدافها ويأتي في مقدمتها جهودها التي بذلتها في مجال التعليم وإنشاء المدارس.
- دراسة أحمد الخطيب"جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرهاالإصلاحي في الجزائر"(**)
- دراسة عبد الكريم بوالصفصاف " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 – 1945 "(***). وقد ركز صاحبها على تحديد علاقة جمعية العلماء المسلمين بالحركات والأحزاب الوطنية ودورها فيها، ذلك أن الباحث يرى أن ظروف الواقع وأحوال المجتمع الجزائري في ظل الاستعمار قد جعلت الأحزاب الوطنية

(*) Ali Merad, Le reformisme musulman en Algerie de 1925 à 1940, (Paris, Mouton & Co: 1979).

(**) (الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب: 1981).

(***) رسالة ماجستير منشورة (الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد: 1996).

والحركات بما فيها جمعية العلماء تتفاعل فيما بينها فاتفقت في بعض النقاط واختلفت في أخرى، وأن جمعية العلماء في ظل هذا التفاعل قد أثرت في بعض الأحزاب كما تأثرت هي بها.

وقد أشارت هذه الدراسات إلى الوسائل التي اعتمدتها جمعية العلماء كالمساجد والمدارس والأندية والصحف والاحتجاجات ومشاركتها في التجمعات..

و جاء حديثها عن الصحافة بشكل مقتضب، ويرجع ذلك إلى تركيزها بشكل عام على إبراز مختلف أنشطة الجمعية. ويعتبر نشاطها الإعلامي جزءا من هذه الأنشطة.

أما الدراسات التي اهتمت بالنشاط الإعلامي لجمعية العلماء فهي قليلة، خاصة إذا أضفنا إلى هذه الملاحظة الاعتبارات الخاصة بالمنهج والأهداف التي ميزت هذه الدراسات، حيث ظهر من خلال الاطلاع عليها أن هناك دراسات اهتمت بالنشاط الإعلامي لجمعية العلماء كجزء من أنشطة ووسائل الاتصال الأخرى، ونوع آخر من الدراسات كان اهتمامها بالنشاط الإعلامي يرتبط بهدف الكشف عن بعض آراء جمعية العلماء ومواقفها إزاء قضية من القضايا.

فمن النوع الأول يمكن أن نذكر:

- دراسة الباحثة مفيدة بلهامل: " وسائل الاتصال عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين "[*]. حددت الباحثة في مقدمة بحثها وسائل الاتصال عند جمعية العلماء في: التعليم المسجدي، الرحلة، الخطابة، والتعليم المكتبي، الصحافة، والتأليف.

وقد قسمت الدراسة إلى مقدمة ومدخل وثلاثة أبواب، تناولت في الباب الأول وسائل الاتصال في الجزائر منذ بداية الاحتلال الفرنسي حتى قيام الحرب العالمية الثانية، وفي الباب الثاني تحدثت عن وسائل الاتصال الشفوي عند جمعية العلماء المسلمين، أما الباب الثالث فقد تناولت فيه الاتصال المطبوع عند جمعية العلماء، وخصصت أحد فصول الباب لصحافة جمعية العلماء، ومن خلال مباحثها الست عالجت النقاط الرئيسية التالية:

- الصحافة الإصلاحية قبل ظهور جمعية العلماء.
- مشاكل الصحافة الإصلاحية في الفترة ما بعد الحرب العالمية الأولى
- علماء جمعية العلماء والصحافة.
- التعريف بصحف الجمعية.
- خصائص صحافة جمعية العلماء.
- أهم القضايا التي عالجتها صحافة جمعية العلماء.

---

[*] رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدعوة وأصول الدين، قسم الدعوة والإعلام، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.

ومن حيث الناتج توصلت الباحثة في الميدان الإعلامي إلى أن جمعية العلماء قامت بنشر انشغالات الشعب الجزائري في صحفها، كما تميزت هذه الصحافة في جانبها المادي بالاستغناء الكامل عن حكومة الاحتلال، ورأت الباحثة أن الصحيفة عند جمعية العلماء هي:

1 - منبر للتعبير عن مبادئ الإصلاح الجزائري ومذهبيته في السياسة والدين والاجتماع.

2 - منبر لمعالجة أهم القضايا للأمة الجزائرية.

3 - منبر لمعالجة قضايا الأمة العربية والإسلامية.

وأما من النوع الثاني فنذكر:

- دراسة علي حشلاف " المواقف السياسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال صحفها 1931 - 1939"(*).

قصد الباحث من خلال اهتمامه بالاتجاه السياسي لجمعية العلماء المسلمين في الفترة الممتدة ما بين 1931 - 1939 إلى الكشف عن المواقف الحقيقية للجمعية سواء من الجمعيات والأحزاب التي كانت موجودة في تلك الفترة أو من الإدارة الفرنسية. والباعث الحقيقي لهذه الدراسة أرجعه الباحث إلى أن العمل السياسي للجمعية يكتنفه الكثير من الغموض، وأنه كان محل انتقاد عدد كبير من الذين عاصروا هذه الفترة أو المؤرخين الذين أرخوا لها، فمنهم من يصر على أنها كانت اندماجية ومنهم من ينفي عنها العمل السياسي، ويؤكد على أنها كانت إصلاحية ثقافية فقط. أما أصحاب الاتجاه الثالث فيرون أن الجمعية هي التي مهدت للثورة وحضرت لها وإن كان ذلك بطريقة غير مباشرة.

وقد اعتمد الباحث للتعرف على النشاط السياسي للجمعية بشكل رئيسي - وكما يوضحه عنوان الرسالة - على جرائدها التي كانت تصدر في تلك الفترة وهي: الشريعة - السنة - الصراط ثم البصائر، لأنها تعبر عن موقف الجمعية من خلال ما كتبه قادتها بأنفسهم، وأنها صحف رأي لا تنشر إلا ما يتماشى وخطة الجمعية، كما أن الصحافة كانت الوسيلة الأساسية التي استعملتها الجمعية لتبليغ دعوتها في كامل أنحاء القطر الجزائري.

وإضافة إلى صحف جمعية العلماء، فقد اعتمد الباحث كذلك على صحف أخرى اعتبرها ناطقة باسمها ولكن بطريقة غير مباشرة ورسمية وهي: مجلة الشهاب لابن باديس، وla Defense (الدفاع) للأمين العمودي، والوفاق للسعيد الزاهري، وجرائد أبي اليقظان.

والمؤاخذة التي يمكن تسجيلها على الباحث هي اعتماده على جرائد هي ليست جرائد جمعية العلماء للكشف عن مواقفها، وإن كان أصحاب هذه الأخيرة من الموالين لها لأنهم يعبرون في جرائدهم عن آرائهم الخاصة ويصرحون ويعلنون عن مواقفهم باسمهم الخاص أيضا(**). وإن كان في ذلك تأييد مواقفه لجمعية العلماء.

(*) رسالة ماجستير غير منشورة، معهد علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 1994.

(**) هذا ما أعلنوه هم أنفسهم في جرائدهم، ويمكن أن نذكر على سبيل المثال ما قاله ابن باديس وما صرح به من أن جريدة الشهاب إنما يعبر فيها عن آرائه مواقفه الخاصة، لا عن آراء ومواقف جمعية العلماء. وسيأتي توضيح ذلك في =

وإن استعمال الباحث للصحف كان بغرض الوصول إلى المضمون السياسي، ولهـــذا لم يركز على إبراز وبيان النشاط الصحفي لجمعية العلماء. كما هو الحال بالنســـبة للكتـــب والدراسات التي سبق ذكرها.

ولقد تمكنت من الاطلاع على دراستين أعتبرهما مهمتين وقريبتين من بحثـــي، وهـــذا لسببين رئيسيين:

- أنهما اهتمتا بدراسة النشاط الصحفي للحركة الإصلاحية في الجزائر.
- أنهما استخدمتا تحليل المضمون.

الدراسة الأولى:

الصحافة الإسلامية ذات الاتجاه الإسلامي في الجزائر(*)

دراسة تحليلية لجريدة "المنتقد"

حاولت الباحثة من خلال هذه الدراسة، المساهمة في استجلاء بعض المعالم والخصـــائص والمميزات التي يجب أن تتوفر في الصحافة حتى يمكن اعتبارها صحافة ذات اتجاه إسلامي.

ولهذا وضعت الباحثة ثلاثة أسئلة كبرى، تدور حولها إشكالية الدراسة وأهدافها وهي: هـــل يمكن إيجاد صحافة ذات اتجاه إسلامي؟

هل الصحافة الدينية العاملة على أرض الواقع يمكن تسميتها ذات اتجاه إسلامي؟

وإن لم يكن الأمر كذلك فما تعريف الصحافة ذات الاتجاه الإسلامي؟

ومن أجل تحقيق أغراض البحث، قسمت الباحثة الدراسة إلى قسمين:

- نظري لتبحث من خلاله فصوله عن منطلقات وخصائص ومميزات الصحافة من الناحيـــة النظرية.
- وقسم تطبيقي: قامت فيه بتحليل مضمون جريدة "المنتقد" التي أسسها عبد الحميد بـــن باديس، قصد التعرف على محتواها وطريقة عرضها، ومدى تمكنها من تحقيق الأهـــداف المسطرة لها، وما إذا كانت هذه الجريدة قد حققت خصائص الصحافـــة ذات الاتجـــاه الإسلامي.

وتحددت أسئلة الجزء التطبيقي في النقاط التالية:

1 - السؤال الأول يهدف إلى التعرف على الجريدة موضوع الدراسة، ومضمونها مـــن خلال المؤشرات التالية:

أ - ماهية شكل الجريدة (الحجم والإخراج)

ب - طبيعتها: صحيفة خبرية أو صحيفة رأي

= الفصل الثاني.

(*) بريزة يحيى، معهد الدعوة وأصول الدين، قسم الدعوة والإعلام، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 1999 - 2000 .

ج - مكوناتها: (القوالب الصحفية)، طبيعة هذه القوالب الصحفيـــة، (نوعـــها، لغتها، مصادرها، ومدى تساندها الوظيفي).

2 - هل جريدة "المنتقد" تحلت بالموضوعية في الطرح؟

3 - هل جريدة "المنتقد" تحلت بالمرجعية في الطرح؟

قسمت الباحثة دراستها إلى مقدمة وأربعة فصول.

- الفصل الأول تضمن خمسة مباحث، المبحث الأول عرفت فيه الصحافـــة ذات الاتجـــاه الإسلامي، المبحث الثاني وخصص لعرض مبررات الصحافة ذات الاتجاه الإسلامي، وبينـــت أنها نوعان: مبررات واقعية ومبررات شرعية.

المبحث الثالث وكان عنوانه: منطلقات الصحافة ذات الاتجاه الإسلامي، وقد حصرتهـــا في الالتزام بالإطار المرجعي - الانفتاح الحضاري الواعي - التعامل مع الواقع.

أما المبحث الرابع فتناولت فيه خصائص الصحافة ذات الاتجاه الإســـلامي علـــى مســـتوى التغيرات الثلاث: المرسل، مضمون الرسالة الإعلامية، وشكل الرسالة الإعلامية.

وأخيرا المبحث الخامس وخصصته للوظائف الإعلامية الشائعة المتمثلة في الوظيفة الإخباريـــة والتعليمية والتثقيفية والترفيهية، وأضافت لها الوظيفة الدعوية، لأنها تراها مدار الوظـــائف جميعا ونقطة التقائها وهدفها النهائي الذي تسعى للوصول إليه.

- الفصل الثاني: تناولت فيه المعالم المميزة لعصر نشأة الصحافة الإصلاحية في الجزائر، مـــن خلال الأوضاع السائدة: السياسية - الاقتصادية والاجتماعية، وذلك من أجل كشـــف وتحديد جوانب التأثير المباشرة وغير المباشرة الإيجابية والســـلبية في ظـــهور الصحافـــة الإصلاحية.
- الفصل الثالث: خصص للصحافة الإصلاحية في الجزائر، وهو يحتـــوي علـــى ثلاثـــة مباحث، الأول: عرفت فيه الصحافة الإصلاحية، الثاني ويحتوي علـــى بدايـــة ظـــهور الصحافة الإصلاحية والمشاكل التي واجهتها، ومبررات إنشائها، والعوامل المساعدة على الظهور ثم الخصائص، وأخيرا أهمية الصحافة الإصلاحية. أما المبحث الثالث فعرفت فيـــه بأهم الأقلام التي ساهمت في تحرير جريدة "المنتقد".
- الفصل الرابع: ومثل القسم التطبيقي من الرسالة وقسمته إلى مبحثين:

الأول: لشرح الإطار المنهجي للدراسة.

والثاني: لعرض البيانات وتحليلها، واحتوى على جداول تحصلت عليها باســـتخدام فئـــات ووحدات التحليل.

نتائج الدراسة:

توصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج مثل قسم منها النتائج الخاصة بالجزء النظـــري، وشملت منطلقات وخصائص الصحافة ذات الاتجاه الإسلامي.

أما النتائج العامة الخاصة بالجزء التطبيقي فكانت تتعلق بـــ:

1 - الصحافة الإصلاحية في الجزائر: حيث قالت إنها فرضت وجودها لجودة مضمونهـــا، وواقعية ما تطرحه من قضايا، ومثل أهدافها رغم بساطة شكلها، وإنها كانت منافسا لغيرهـا من الصحف وخطرا هدد الوجود الاستعماري، ودليل ذلك أن أغلبها لم يتوقف تلقائيا وإنما تعرض للمصادرة.

2 - جريدة المنتقد: حيث ذكرت أنه يمكن اعتبارها صحيفة ذات اتجاه إسلامي وهـــذه النتيجة توصلت إليها بعد مقارنة النتائج الإحصائية لما كانت قد قدرته في الجزء النظـــري. مشيرة إلى أنها إذا كانت قد عجزت عن تحقيق الانسجام المطلوب خاصة من حيث الشكل، فإن ذلك لا يمنع من الاعتماد عليها كمبادرة أولى، والانطلاق منـــها لصياغـــة النمـــوذج الإعلامي الذي ينشده الواقع الإسلامي.

الدراسة الثانية :

النشاط الصحفي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين(*)

دراسة تحليلية لعينة من صحيفة البصائر 1935 - 1939

انطلق الباحث في تصوره لإشكالية الدراسة من خلال اطلاعه على الدراســـات الـــتي تناولت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والدور الذي قامت به في جوانب الحياة المختلفة، حيث لاحظ قلة الاهتمام بالزاوية الإعلامية، وأنها كانت الناحية الأقل حضـــورا في هـــذه الدراسات. والباحث يتبنى الرأي القائل بأن السبب في ذلك راجع إلى الرؤية الضيقة الـــتي تختصر التاريخ في بعده السياسي وتغفل الأبعاد الأخرى، الاجتماعية والثقافية، وأيضا النظـرة التبسيطية التي ترى الإعلام أداة فقط، وتسلب منه أهميته في المجتمع.

وهذه النظرة البسيطة والضيقة لا تجعلنا نتعرف على الخطة الإعلامية التي ســـار عليـــها العلماء في توجيه هذه الوسيلة لخدمة المجتمع الجزائري ومقوماته الأصيلة. وبالتالي فنحـــن لا نملك صورة مكتملة عن النموذج الإعلامي الذي تبنته جمعية العلماء هل قام علـــى أســـاس التوعية أم التعبئة؟ كما أن هذه النظرة لا تكشف لنا عن حقيقة جمعية العلماء، هـــل هـــي

(*) نور الدين فليغة، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، قسم الدعوة والإعلام والاتصال، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر 2002.

وهذه الدراسة من الدراسات الوصفية اعتمد الباحث فيها لدراسة الجريدة على "تحليل المضمون" وقد لوحظ أن الباحث في إشارته إلى منهج الدراسة لم يكن دقيقا، حيث وصف تحليل المضمون بأنه منهج ثم عاد فوصفه بأنه أسلوب. وقد ذكر الباحث مجموعة من التعريفات الخاصة بـــ "تحليل المضمون" والاختلافات القائمة بين الدارسين حول اعتباره منهجا قائما بذاته أو مجرد أسلوب من الأساليب البحثية. ليخلص في النهاية إلى أن التفرقة بين كونه أسلوبا أو منهجا لا يؤثر في عملية التحليل.

أما العينة فقد اعتمد الباحث في اختيارها على أسلوب الدورة، حيث بنى عينة البحث -خلال الإطار الزمني للبحث- على أساس بناء ربع سنة متغير لكل سنة من سنوات الدراسة الأربع، ليتحصل في النهاية على ثلاثة عشر عددا.

جمعية دينية لا يتعدى صوتها أسوار المسجد، ولا يتجاوز نشاطها التوعية الدينية التعبدية. بعيدا عن المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي كان الشعب الجزائري يعاني من ويلاتها في ظل السيطرة الاستعمارية، أم هي جمعية سعت للتعبير عن اهتمامات الشعب الجزائري؟

وهل تقوقعت جمعية العلماء على ذاتها وغرقت في مشكلات الجزائر أم أنها كانت جمعية رائدة تجاوزت النظرات الإقليمية الضيقة فيما يخص القضايا المصيرية للأمة العربية الإسلامية؟

ولهذا، ولإبراز النشاط الصحفي لجمعية العلماء المسلمين، قام الطالب بإجراء دراسة تحليلية لعينة من أعداد البصائر في مرحلتها الأولى المستمدة من سنة 1935 إلى 1939 (**). وذلك من خلال الإجابة على التساؤلات التي وضعها وهي:

1 - ما هو دور ومكانة الصحيفة عند جمعية العلماء؟

2 - ما هي المعوقات التي اعترضت العلماء في إصدار الصحف وخاصة صحيفة البصائر؟

3 - ما هي الموضوعات التي اهتمت بها الصحيفة؟

4 - ما هي مصادر المعلومات التي اعتمدت عليها الصحيفة؟

5 - ما هي القوالب الصحفية التي اعتمدها كتاب البصائر؟

6 - كيف تعاملت صحيفة البصائر مع الإعلام المضاد؟

7 - ما هي الوظائف الإعلامية التي سعت البصائر لأدلتها؟

نتائج الدراسة:

توصل الباحث بعد الدراسة التطبيقية التي أجراها، وحسب ما أوضحته البيانات الإحصائية إلى مجموعة من النتائج الخاصة بالصحيفة محل الدراسة، وتتمثل في:

(**) حدد الباحث أسباب اختيار البصائر في مرحلتها الأولى في الآتي:

- أن البصائر هي لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
- اللغة العربية التي صدرت بها وبلوغها درجة من الرقي في التعبير اللغوي.
- إنها صحيفة أسبوعية، فالفترة الزمنية ملائمة، وتتمثل في أعداد البصائر لسنة 1953 والتي تمتد من 27 ديسمبر 1935 إلى 25 أوت 1939. وتقدر أعدادها ب180 عددا، وهذا ما يساعد على الدقة والتركيز.
- أن البصائر في سلسلتها الأولى والثانية الممتدة من25 جويلية 1947 إلى 6 أفريل 1956 تعد صحيفة ثرية تحتاج إلى الكثير من الدراسات خاصة بسبب كثرة الأعداد وتلاحق الأحداث.

1 - أن الجريدة كانت منبرا للتعبير عن فكر الحركة الإصلاحية في الجزائر وكل البلاد العربية والإسلامية.

2 - أنها أداة دعاية وتعريف بأنشطة جمعية العلماء المختلفة، وذلك بتتبع عمل ونشاط رجالها ومنها الجوالان في أنحاء الجزائر والتعريف بالكتب ككتاب "الشرك ومظاهره" و "سجل مؤتمر جمعية العلماء"، والتعريف بالجمعيات والنوادي التي أنشأها جمعية العلماء أو أنشأها رجالها.

3 - كانت وسيلة اتصال بالأعضاء لحضور مؤتمراتها أو اجتماعات المجلس الإداري.

4 - قامت بالتعريف بالكتب والجرائد التي تؤيد الإصلاح سواء داخل الجزائر أو خارجها.

5 - كانت وسيلة لنشر الوعي الديني والقومي كما أنها وسيلة دعوة واتباع هدي القرآن الكريم والسنة النبوية حسب مفهوم السلف الصالح.

6 - أنها وسيلة من وسائل الرد على الإعلام المضاد سواء الاستعماري أو الصحف الطرقية التي سبقت تاريخيا من حيث الصدور صحف جمعية العلماء المسلمين.

7 - نشر وإعلام بتواريخ الشعائر كهلال رمضان، أو شوال وتوجيه نشرات توعية إلى الحجاج بعد أن كانت جمعية العلماء توزعها عن طريق المنشورات، فكانت تسعى من خلال ذلك لوحدة أداء الشعائر بين المسلمين.

8 - وسيلة للتعريف بالشعب الجزائري لدى إخواننا العرب والمسلمين.

9 - وسيلة لنقل انشغالات الشعب الجزائري إلى حكام فرنسا الذين كانوا يتتبعون ما ينشر فيها وذلك بترجمة مقالاتها.

10 - وسيلة لربط الشعب الجزائري بغيره من الشعوب العربية والإسلامية .

11 - وسيلة لنشر النتاج الأدبي في صوره وأساليبه الراقية فاستطاعت أن تكون منبرا أدبيا يعد مرجعا مهما في دراسة الأدب الجزائري في تلك الفترات لأنها كانت تشجع الإنتاج الفني والأدبي المنتج من قبل الجزائريين.

12 - لسان حال جمعية العلماء وبالتالي فلا بد لأي باحث عن مواقف وآراء جمعية العلماء أن يرجع إلى الصحيفة لتمده بمواقف الجمعية الرسمية بعيدا عن الأحكام المسبقة أو النقل عن الأفواه، فالكتابة قيد.

13 - مرآة عاكسة لواقع الجزائريين قبل الحرب العالمية الأولى، وبحضور ذلك الزخم من رجلها الذين غابوا عن الساحة بعد ذلك.

4 - منهج الدراسة :

يرتبط اختيار المنهج الذي يسير عليه الباحث بطبيعة الموضوع، وبالأهداف التي يصبو إلى تحقيقها، قصد الوصول إلى نتائج علمية دقيقة.

وهذه الدراسة من نوع الدراسات الوصفية التي تستخدم منهج المسح باعتباره أفضل المناهج التي تساعد على تحقيق أهداف الدراسة، ومن خلال تحليل مضمون صحيفة البصائر كما وكيفا، ومن خلال أداة البحث وهي استمارة تحليل المضمون التي تم تصميمها لتغطي أهداف الدراسة.

ويعتبر منهج المسح من أبرز المناهج المستخدمة في مجال الدراسات الإعلامية خاصة البحوث الوصفية الاستكشافية[1]. ويعد من أهم وأكثر المناهج العلمية المستخدمة في بحوث الإعلام والاتصال، وهو يهدف إلى تسجيل وتحليل وتفسير مختلف معطيات الظاهرة الإعلامية المدروسة[2].

وأما تحليل المضمون، فهو أحد الأساليب البحثية المستخدمة في إطار منهج المسح، إضافة إلى أدوات أخرى.

ومن خلال هذا الأسلوب يقوم الباحث بوصف المحتوى الظاهر والمضمون الصريح للمادة الإعلامية المراد تحليلها[3].

ومن حيث الأهمية فإن تحليل المحتوى يعد أكثر الأدوات نفعا في مجال الإجابة على تساؤلات الباحثين التي تدور حول السلوك المرتبط بالرسائل الاتصالية.

ويتم استخدام هذا البحث في تحليل مضمون جريدة البصائر وفي تقسيم هذا المضمون إلى فئات رئيسية وفئات فرعية. وسيتم بيانها في الفصل التطبيقي من خلال استمارة التحليل.

---

(1) محمد سمير حسين، بحوث الإعلام، ط2، (القاهرة، عالم الكتب : 1995)، ص 147.

(2) صالح بن يوزة، "المناهج والمقاربات المنهجية في بحوث الإعلام"، مجلة الثقافة، الجزائر، س20، ع110 – 111 (سبتمبر/ديسمبر 1995)، ص113.

(3) محمد سمير حسين، المرجع السابق، ص233.

الفصل الأول

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

أهدافها ومنهجها في الإصلاح

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من خصوصيات الاستعمار في الجزائر أنه استعمار استيطاني، يهدف إلى تغيير هويـة المجتمـع وملامحه الحضارية، وذلك بتغيير الوضع القانوني والسياسي والثقافي والاجتماعي.
ولتأكيد سيطرته على المجتمع بعد أن أخضعه بالقوة، عمل على محورين : محور الهدم بالقضاء علـى بنائه الاجتماعي المتمثل في نظام العشائر وفكرة الجماعة، وتشتيت أفراده، وتقسيمهم على أسـاس عرقي، وأيضا ضرب المؤسسات الثقافية، وتكريس صور الجهل والحرمان والتخلـف وتوظيـف الخرافة وتحويلها إلى مؤسسة وتزويدها بمناهج وإمكانيات العمل. حيث قام المستعمر بنسج خيوطه حول الطرق الصوفية التي كان لها مكانة مهمة في المجتمع، ليكسبهم إلى جانبه في معركته ضد قيـم المجتمع ومصالحه ووطنيته؛ ومحور البناء بإعادة تشكيل الشخصية الجزائرية، وتكوين نخب ثقافيـة جديدة في المجتمع وربطها بالإطار الثقافي الحضاري الغربي عن طريق المؤسسات الثقافية التي تدعـم وتنشر الثقافة الدخيلة، وأولها المدرسة ووسائل الإعلام.

وقد كان الرد الوطني على المشروع الاستعماري فوريا ومباشرا تمثل في الرد الجهادي والعمـل العسكري لمقاومة الزحف الأوروبي على البلاد خلال القرن التاسع عشر. لكن هذا الرد الجـهادي لم يحقق أهدافه المرجوة وهي إيقاف الزحف الاستعماري.
ومع مطلع القرن العشرين غير الجزائريون أسلوب كفاحهم، فاعتصموا بحصن الثقافة والسياسـة والدين لمقاومة الاستعمار العقائدي والفكري والاجتماعي، وكذا سيطرته السياسية والاقتصاديـة، ليعود الرد الجهادي مرة أخرى مع ثورة 1954.

وقد كان للحركة الإصلاحية في الجزائر دور هام في الرد على مخططات المستعمرين الفرنسيين والحد من تأثيرات وسائل السيطرة على الشعب الجزائري، والمحافظة على الشخصية الوطنية.
وقد مر الإصلاح في الجزائر بثلاث محطات هامة :

- الأولى ويتميز فيها الإصلاح بالعمل الفردي المبعثر المتمثل في جهود رواد الإصلاح.
- الثانية هي مرحلة العمل الفردي المنهجي الذي بدأ مع الحركة التي قادها عبد الحميـد بن باديس، حيث أضاف بجهوده عناصر جديدة للنهضة الجزائرية.
- الثالثة وهي العمل الجماعي (المؤسسي) الذي بدأ مع تأسيس جمعية العلماء المسـلمين الجزائريين سنة 1931، وما خلفه ظهورها من آثار هامة في حياة المجتمع الجزائري.

أولا: ظهور الإصلاح الإسلامي في الجزائر

شكلت المحاولات الإصلاحية التي ظهرت في الجزائر في النصف الأول من القرن العشرين، جزءا من الانبعاث النهضوي الذي عرفه العالم الإسلامي. ظهرت كنتيجة طبيعية لتفاعلها مع حقائق الوحي التي أكسبتها عنصر المقاومة وحركت فيها الشعور بالقلق الحضاري، وحفزتها لنقد الذات من أجل تحديد عوامل التأخر والانحطاط، وبرسم طرق العلاج. وظهرت أيضا تفاعلا مع أحداث الواقع الذي تغيرت ملامحه مع الاستعمار الغربي. فكانت هذه الأوضاع المتردية دافعا قويا للعلماء والمصلحين للمقاومة والسعي من أجل التغيير.

وبهذا فإن الحركة الإصلاحية في الجزائر لم تنشأ بمعزل عن الحركات الإصلاحية التي عرفها العالم الإسلامي، ولا بعيدة عن تأثيرات الواقع.

وإن أغلب الدراسات[1] التي تناولت الإصلاح في الجزائر، تشير وتؤكد على أهمية العمل الخارجي والمتمثل في النهضة المشرقية العربية، وبيان أثرها على انبعاث النهضة الجزائرية وتوجيه الوعي.

وقد تم هذا الاتصال بين المشرق والمغرب عن طريق الصحافة والكتب والمجلات والحج، الذي تعقد فيه المؤتمرات والاجتماعات لدراسة وضع العالم الإسلامي.

وإضافة إلى تأثير الحركات الإصلاحية التي ظهرت في المغرب العربي[*]، وفي مقدمتها تونس التي شهدت حركة صحفية هامة لعبت دورا بارزا في الحفاظ على الشخصية العربية الإسلامية، وبخاصة في القطرين التونسي والجزائري، حيث كانت خلال تلك الحقبة زاخرة بالمقالات الصحفية المروجة للفكر الإصلاحي الوطني المشبعة بحرية الرأي وجرأة الموقف، وكانت رائجة في القطر الجزائري في وقت كانت فيه العروة الوثقى والمنار لا تصلان إليه بانتظام[2].

---

(1) – أنظر : – محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، (الجزائر، المطبعة التعاونية : 1965)، ج2.

- Ali Merad, Le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940

– أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ط4 (بيروت، دار الغرب الإسلامي:1992)، ج2.

(*) – ظهرت في تونس حركة هامة هي حركة خير الدين باشا التونسي (1822 – 1889)، وركز خير الدين منذ توليه منصب الوزارة الكبرى (1873) على إصلاح ميادين التعليم في جامع الزيتونة، وإقامة المؤسسات الفكرية، والاعتماد على النخبة المثقفة في الإصلاح. وصلت أصداء هذه الحركة عن طريق جريدة المبشر التي كانت تصدرها الإدارة الفرنسية في الجزائر، حيث كانت تنشر على صفحاتها فصولا من كتابه "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك".

وظهرت في ليبيا حركة أخرى مهمة هي حركة محمد علي السنوسي (1851)، تشابهت مع الحركة الوهابية في أهدافها ودعوتها إلى بعث العقيدة الإسلامية، كان لها بعض الآثار على النهضة الجزائرية لقرب الحركة السنوسية من حدود البلاد.

(2) – محمد عابد الجابري، وجهة نظر، ط1، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية : 1992)، ص171.

ورغم أهمية العوامل الخارجية، فإن العامل الداخلي يبقى له الدور الأكبر في الدعوة إلى الإصلاح في الجزائر. ويؤكد هذا أن الجزائر قد عرفت الإصلاح قبل الاحتلال، وقبل ظهور دعوة الطهطاوي والأفغاني وغيرها بفترة قصيرة، ويتجسد ذلك في شخصية "ابن العنابي"[1]. وهو يعد أحد رواد التجديد الإسلامي، بدأ دعوته سنة 1826، وأهم القضايا التي استرعت اهتمامه، هي جمود عقلية علماء المسلمين أمام تقدم العقل الأوروبي، وتخلف الجيش الإسلامي أمام زحف الجيوش الأوروبية، فدعا إلى التجديد في النظم الإسلامية عبر كتابه الذي ألفه في مصر بعنوان "السعي المحمود في نظام الجنود"[2].

وإذن فالمحاولات الأولى للإصلاح ظهرت متأثرة بالأوضاع الاجتماعية والدينية التي أصبحت تميز واقعهم، من انحطاط وتخلف، وما تعرضت له حياتهم الفكرية والاجتماعية من ركود وجمود حضاري انتهى بهم إلى سيطرة أوروبية عملت على تدمير كل ما يتصل بالإسلام وتراثه وحضارته، ومحاولة فرض النموذج الغربي.

وجراء هذه الظروف والعوامل فقد المسلمون الجزائريون قيمهم الإسلامية التي تقوم عليها عقيدتهم. وقبل العديد منهم المكونات الأخلاقية والسلوكية للحضارة الغربية، حتى أصبح غالبية أفراد المجتمع لا يبالون بدينهم، وإن بقوا في الظاهر مؤمنين به. وهذا ما أشار إليه المؤرخ إسماعيل حامد حين تحدث عن انتشار الإلحاد الغربي في الجزائر وتأثيرها في عدد غير قليل من المسلمين، جعل روحهم الدينية تتلاشى وغيرهم تفتر[3].

ولهذا كان محور حركة التجديد الإسلامي في الجزائر هو الدعوة لإصلاح الواقع الإسلامي والنهوض به عن طريق نبذ الجمود والتخلف والدعوة إلى التقدم والحضارة.

ويمكن أن نذكر من المصلحين الأوائل الشيخ عبد القادر المجاوي، وهو يعتبر من العلماء القلائل الذين كانوا على رأس الحركة الإصلاحية في الجزائر في وقت مبكر. إذ لا يوجد واحد من المصلحين الذي ظهروا في الربع الأول من هذا القرن إلا وهو من تلامذته[4]. تخرج عليه جماعة من العلماء المسلمين ممن تولوا مناصب الإفتاء والقضاء ومنهم من ابتعد عنها، ومن أولئك الشيخ حمدان لونيسي أستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس[5].

---

(1) – أبو القاسم سعد الله، رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي، ط2، (بيروت، دار الغرب الإسلامي : 1990)، المقدمة.

(2) – المرجع نفسه، ص15.

(3) – لوثروب ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض وتعليق شكيب أرسلان، (مصر، مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه: 1352هـ)، ج1.

(4) – حمزة بوكوشة، "شيخ الجماعة عبد القادر المجاوي"، مجلة الثقافة، الجزائر، س2، ع10 (سبتمبر 1972)، ص10.

(5) – أبوالقاسم سعد الله،"مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي 1830 – 1954 "، مجلة الثقافة، الجزائر، س14، ع79 (يناير / فبراير 1984)، ص76.

وقد كانت معظم كتاباته موجهة ضد الآفات الاجتماعية والخرافات والعادات القديمة التي كان يراها في الحقيقة مصائب، فنادى بالإصلاح الاجتماعي والتعليم واليقظة.

ومن رواد الحركة الإصلاحية أيضا ممن حاربوا البدع، الشيخ صالح بن مهنا القسنطيني الذي يعتبره ابن نبي في طليعة المصلحين الذين ثاروا ضد الخرافيين (الدراويش)، وأن صوت مناجاته للضمير كاد يوقظ أهل قسنطينة كلها حوالي سنة 1898، حاربته الإدارة الاستعمارية وصادرت مكتبته الثمينة[1]، وعده هو وابن المحاوي بطلي الصراع الفكري في الجزائر، وبداية ظهور فكر جديد ضد الجمود وضد المرابطين والخرافات، بعد النوم الطويل الذي عرفه المجتمع[2].

كما تنبغي الإشارة إلى محاولات الشيخ مصطفى بن الخوجة المشهور بالكمال الذي كان حريصا على مطالعة كل ما يصدر في المشرق من كتب ومجلات، فكان يطالع العروة الوثقى والمنار، ويقرأ للشيخ رشيد رضا مقالاته في المجالس ويشرحها.

ومنهم أيضا عبد الحليم بن سماية، وهو يعد من أوائل المصلحين المؤمنين والداعين للجامعة الإسلامية والمتأثرين بحركة محمد عبده. تبلورت أفكاره الإصلاحية من خلال اتصاله بالحركة السلفية الإصلاحية في العالم الإسلامي. ومن خلال مطالعته للصحف العربية والفرنسية، واعتماده على الكتب الأصيلة في الدين والعربية كرسالة محمد عبده ومجلة المنار[3]، وكانت أفكاره الإصلاحية تدور حول معالجة آفات الواقع الاجتماعي آنذاك، الذي عرف بانتشار الطرق الصوفية الضالة، وفساد الأخلاق، واستفحال موجات الإلحاد.

وعموما فإن المصلحين الأوائل يشتركون في تصوير المظهر الأساسي للانحراف في التصور العقدي، وهو الانحراف الذي يطرأ من خلال تأثير الثقافات الوافدة، ومن ذلك الإلحاد الذي بدأ يشيع بين الناشئة الإسلامية، والبدع والخرافات التي انتشرت في المجتمع، كما كان الوضع السياسي مناطا للنقد، إلا أنه نقد اتصف بالاحتراز والحذر، ولعل ذلك راجع إلى الظروف الاستعمارية الصعبة التي لم تسمح بتكوين رأي صحيح وجريء. فتحددت مواقف بعضهم من الاستعمار في صور غير مباشرة. وقد توصل أحد الباحثين[4] بعد دراسة تحليلية وتقويمية لجهود الرواد المصلحين إلى أن برنامجهم الإصلاحي تضمن ثلاث نقاط رئيسية هي :

- الدعوة إلى التكامل الاجتماعي.
- نبذ الآفات الاجتماعية التي تناقض التمدن والرقي.
- اعتبار البذخ والكسل علامات تخلف، والاقتصاد والعمل مفتاح كل تقدم.

---

(1) – مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عمر مسقاوي، عبد الصبور شاهين، ط3 (دمشق، دار الفكر : 1969)، ص29.

(2) – مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ط2، (دمشق، دار الفكر: 1969)، ص20 – 21.

(3) – عمار طالبي، ابن باديس حياته وآثاره، ط1 (الجزائر، دار ومكتبة النشر الجزائرية : 1968)، ج1، ص29 – 33.

(4) – عبد المجيد بن عدة، مظاهر الإصلاح الديني والاجتماعي من خلال جهود الرواد المصلحين 1900 – 1925، ماجستير غير منشورة في التاريخ، معهد التاريخ، جامعة الجزائر 1991 – 1992، ص 311.

ورغم أن جهود رواد الإصلاح افتقرت إلى الحس التنظيمي، وانحصر مضمونها الإصلاحي في محاربة البدع في نطاقات ضيقة، أبقت المجتمع محافظا على كثير من العادات والتقاليد القديمة التي كان يجب أن تتغير من أجل إصلاح أشمل، إلا أن هذا لا ينفي فضلها على المجتمع الجزائري، ودورها في نضج وانتشار العمل الإصلاحي فيما بعد، وانتقاله إلى أطوار ومراحل جديدة.

ثانيا: تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

كانت المرحلة الأولى من الإصلاح في الجزائر عبارة عن جهود فردية لا تعمل ضمن نظام محدد، لكنها كانت مرحلة مهمة سواء من حيث قيمة رجالها العلمية، أو من حيث ما أحدثته من نتائج، خاصة إذا أضيف إلى ذلك عنصر الزمان الذي يتحكم بمعطياته في أية تجربة.

وقبل أن ينتقل الإصلاح في الجزائر إلى طوره الجديد بقي يميز الأوساط الإصلاحية رأيان، يلتقيان في الهدف ويختلفان في الطريقة والأسلوب.

أحدهما : العمل على تكوين النخبة التي تقوم فيما بعد بأعباء الإصلاح عن طريق توجيه الجهود لإصلاح الفرد وتربيته، وترى في التعليم أفضل وأسلم وسيلة تحقق هذه الغاية، فيتخرج من المدارس الداعي والأديب، والخطيب، والكاتب والشاعر والواعظ. وقد طبعوا جميعا بطابع الإصلاح علما وعملا.

والثاني : مقاومة البدع، والاعتقاد بالخرافات، وانحراف الطرق الصوفية وسيطرتها على الفكر الإسلامي، وكشف حقيقتها وبيانها للناس، حتى يضعف تأثيرها وهيبتها في النفوس[1].

ومن خلال مطالعة جهود المصلحين في تلك الفترة، نلاحظ رجحان الرأي الثاني. وكان المنتقد يعمل بكل قوة من أجل هذا الغرض ثم خلفه الشهاب، إلى جانب صحف إصلاحية أخرى.

وإن رجحان الرأي الثاني لا يعني غياب الرأي الأول عمليا، فقد سايرت هذه الدعوة حركة تعليمية هامة كانت تجتذب الشباب، وانتشرت دروس الوعظ والإرشاد تجتذب إليها الجماهير[2].

وكان الإبراهيمي من أصحاب الرأي الأول، وتجسد ذلك في عمله كواحد من أبرز الوجوه في جمعية العلماء المسلمين، التي ركزت على نشر التعليم العربي والإسلامي بالدرجة الأولى، ونشر الثقافة الإسلامية بشكل عام.

وقد انتهت هذه الجهود الفردية إلى مرحلة جديدة متميزة، وهيأت الوضع لظهور عمل جماعي منظم، وفق خطة واضحة وغاية مقصودة، اجتمعت حولها الجهود لنشر الإصلاح.

---

[1] – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، (الجزائر، دار الكتاب:1982)، ص 50–51.

[2] – المصدر نفسه، ص52.

وكان ظهور الإصلاح في صورته الجديدة حدثا طبيعيا لتطور الإصلاح في الجزائر. فالمجتمع وبعد مرور مائة عام على الاحتلال أصبح في حاجة ماسة إلى حركة إصلاحية، ذات برنامج أكثر اتساعا وشمولا، يتجاوز فيه العمل الفردي الذي كثيرا ما تكون نتائجه -على أهميتها- محدودة الأثر غير مستوعبة لمتطلبات الإصلاح.

والإصلاح بمفهومه الشامل لا يمكن أن يقوم إلا بقيادة جماعية تستوعب كل مجالاته وأهدافه وتقوى على النهوض بأعبائه الفكرية والعملية.

ولابد أن تكون هذه الجماعة قادرة على التفاعل مع المجتمع بسائر الإشكالات النظرية التي يطرحها الواقع.

والفضل في ظهور الحركة الإصلاحية في طورها الجديد واتجاهها الذي اصطبغت به بعد الحرب العالمية الأولى يعود إلى عدة عوامل كما حددها الإبراهيمي وهي :

أولا : تأثير حركة الشيخ محمد عبده الإصلاحية، ومجلة المنار، وكتب المصلحين مثل ابن تيمية، وابن القيم والشوكاني.

ثانيا : النهضة العلمية والفكرية التي قادها عبد الحميد بن باديس،بدروسه الحية والتربية الصحيحة التي عمل على غرسها في طلابه الكثيرين في الجامع الأخضر بقسنطينة، وعلى رواد دروس التفسير والحديث[1] .

وبناء على رأي علي المغربي فإن الجزائر حتى سنة 1912، كانت تعاني من التخلف والجهل والجمود حتى ظهر عبد الحميد بن باديس في ذلك العهد ليفتح بابا جديدا للكمال، ويعلم الشباب. ويؤسس أول مدرسة عربية، ويحطم الجهل والخمول[2] .

ثالثا : الأثر النفسي للحرب العالمية على الجماهير، الذي أدى إلى انحطاط وتدهور الاعتقادات الخرافية في أعين الناس، وانكشاف حقيقة المدجلين وظهور نواياهم[3] .

رابعا : عودة الطلبة الجزائريين من الحجاز بعد أن تلقوا العلم هناك، وتأثروا بالفكرة الإصلاحية المستمدة من كتاب الله عز وجل. فأنشأوا الصحف والمدارس والنوادي الثقافية، فكانت اليقظة التي بدأت تنتشر في أوساط المسلمين، ومست جوانب كثيرة من مظاهر الحياة، بحاجة إلى عمل إصلاحي يستجيب لتلك التطورات، ويرتقي أكثر بمستوى الوعي، ويوسع في موضوعاته ومجالات اهتمامه، ويتقرب من القضايا الأكثر مساسا بالواقع[4] .

---

(1) – سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، ص47.

(2) – المصدر نفسه، ص208.

(3) – المصدر نفسه، ص48.

(4) – المصدر نفسه، ص49.

وقبل أن يكون العمل الجماعي حاجة اجتماعية وضرورة واقعية، فهو واجب شرعي أكد عليه القرآن الكريم في قوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [1].

كانت هذه الفكرة القرآنية راسخة في أذهان المسلمين، إلا أنها كانت بحاجة لجهود المصلحين والعلماء لتتحول إلى سلوك عملي وتتجسد في الواقع.

وقد كان ابن باديس هو المحرك لهذه الفكرة، إيمانا منه بوجوب العمل الجماعي، وبأن الأمم لا تنهض إلا بالعمل المنظم والجهود المتضافرة التي تتولى قيادة المجتمع، وهذا رغم الجهود المتواصلة التي بذلها في إصلاح المجتمع، واقتناعه بأهمية الأعمال الفردية ومنافعها ومزاياها. مؤكدا أن النهضة المرجوة لا تتحقق لهم.. "إلا إذا كانت لهم قوة، وإنما تكون لهم قوة إذا كانت لهم جماعة منظمة تفكر وتدبر، وتتشاور، وتتآزر وتنهض لجلب المصلحة ورفع المضرة متساندة في العمل عن فكر وعزيمة"[2].

والوحدة تتحقق بجمع شمل العلماء، وإنشاء جمعية لهم "...تقارب بين مناحيهم في التعليم والتفكير وتكون صلة تعارف بينهم، ومزيلة لأسباب التناكر والجفاء"[3].

فعرض على البشير الإبراهيمي سنة 1924 فكرة إنشاء جمعية تحت اسم : "جمعية الإحياء العلمي". وأوكل إليه وضع قانونها الأساسي، ثم عرض المشروع على عدد من العلماء فاستحسنوه ورحبوا به.

واستغل ابن باديس جريدته الشهاب (1925) ليدعو العلماء إلى تقديم اقتراحات تفيد في تأسيس الجمعية وجاء في الدعوة ما يلي :

"أيها السادة العلماء المصلحون المنتشرون بالقطر الجزائري، إن التعارف أساس التآلف، والاتحاد شرط النجاح، فهلموا إلى تحقيق هذا الهدف بتأسيس حزب ديني محض، غايته تطهير الدين مما ألصق به الجاهلون من الخرافات والأوهام، والرجوع به إلى أصلي الكتاب والسنة"[4].

ووجه ابن باديس والإبراهيمي دعوات لعدد كبير من فقهاء الجزائر، يحثهم فيها على التسابق من أجل خدمة الوطن. وكانا حريصين على أن لا يظهر اسمهما في تلك الدعوات، فكانت صادرة باسم الأمة، ويرجع ذلك كما يقول الإبراهيمي إلى أن "... أولئك الفقهاء كانوا يخافوننا لما سبق

---

[1] – آل عمران: 104.

[2] – عبد الحميد بن باديس، تفسر ابن باديس : مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، جمع وترتيب وإعداد ومراجعة محمد الصالح رمضان–توفيق محمد شاهين، (الجزائر، دار الكتاب الجزائري)، ص 428.

[3] – سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، ص53.

[4] - Ali Merad, Le réformisme musulman en Algerie, p 130.

لنا من الحملات الصادقة على جهودهم، ووصفنا إيّاهم بأنهم بلاء على الأمـــة، وعلـى الديـن لسكوتهم على المنكرات الدينية"[1].

فجاءت الردود[*] سريعة إلى إدارة الجريدة تعلن الدعم المعنوي، وتقدم اقتراحات عمليـة لتجسيد فكرة "الحزب" في الواقع وتحدد أهدافه.

وفي غضون سنة واحدة كانت معظم العناصر ذات الاتجاه الإصلاحي قد تجمعـت حـول هـذه الدعوة، كما أصبحت محل اهتمام ومدار حديث الرأي العام الجزائري مابين 1925 و1930[2].

وعلى الرغم من حماس ابن باديس للفكرة ورسائل التأييد، فإن المشروع لم يتحقق وكـان يجـب انتظار حوالي ست سنوات حتى تصبح حقيقة واقعة. ويرجع ذلك إلى ظروف وحوادث ذكرهـا الإبراهيمي دون أن يعرف بها أو يشرحها، واكتفى بالإشارة إلى أن الفكرة لم تكن قد نضجـت بعد، وأن عملا بهذه الأهمية يحتاج زمنا حتى يستقر في النفوس وتطمئن به الضمائر[3].

لكن المؤكد أن هذه المحاولة جاءت بثمارها فيما بعد حيث تهيأت الأجواء المناسبة التي جعلت مـن تحقق فكرة الاجتماع ممكنة، ومنحت أصحابها الفرصة للاستعداد أكثر حتى لا تتعرض جـهودهم للفشل ثانية، مستفيدين من استعداد الأمة لتبني وتأييد المشروع.

وبعد مرور سنة على احتفالات الاستعمار بتمام مائة عام على الاحتلال، جاء رد العلمـاء المصلحين بإعلان تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (5 ماي 1931).

ولئن كانت بواعث تأسيس جمعية العلماء لدى ابن باديس قديمة ومعروفة فإن الباحثين يجمعـون على أن احتفالات الفرنسيين لسنة 1930، وما صاحبها من استفزازات لمشاعر الجزائريين، كانت السبب المباشر في التعجيل بإنشاء جمعية العلماء[4].

كانت الجمعية بعد تأسيسها تضم في عضويتها اتجاهات مختلفة، علماء مصلحين، وممثلـي الزوايا ورجال الطرقية.

---

[1] – محمد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، 1954–1964، ط1 (الجزائر، شركة دار الأمة : 1994)، ص221 .

[*] أول الرسائل التي وصلت إلى إدارة الجريدة هي رسالة الطيب العقبي، ثم المولود بن الحافظي، ثم مبارك الميلي.

[2] - Ali Merad, Le réformisme musulman en Algrie, p86.

[3] – سجل مؤتمر جمعية العلماء ، ص54.

[4] – انظر:

- Claude Collot et ,Jean Robert Henry, le mouvement national algerien, textes 1912 – (Alger, office, Paris, Harmattan).
- Ahmed Mahsas, le mouvement revolutionnaire en algerie de la 1ère guerre mondiale à1954,(paris Harmattan 1979).

وتعتبر هذه المرونة من ابن باديس ورفاقه في توحيد الصفوف وجمع كل العناصر المختلفة، هي السر وراء مسارعة الإدارة الفرنسية بالاعتراف بالجمعية والموافقة على إنشائها، فلعلها كانت تأمل في أن تسمح الفرصة للعناصر الموالية لها بالسيطرة على الجمعية[1].

وكان العلماء يعرفون هذه النية المبيتة من الإستعمار، خاصة بعد أن اشترط عليهم مدير الشؤون الأهلية (MIRANTE) إدخال شيوخ الزوايا الجزائرية في هذه الجمعية[2]، فعملوا على أن لا يدوم هذا الاتحاد طويلا. حماية لحركة الإصلاح من أن تفشل في أداء رسالتها تجاه المجتمع، ولأهدافهم التي كانت لا تتفق مع أهداف الطرقيين.

حيث تم عزلهم في أول انتخاب عقد لتجديد إدارة الجمعية (1932)، حيث فرض العلماء المصلحون سيطرتهم على الجمعية بقيادة ابن باديس[3].

والطرقيون أنفسهم أحسوا بأنهم معزولون وغير قادرين على التأثير في مسار جمعية العلماء، أو استغلالها لخدمة أهدافهم، فقرروا الخروج منها، وأنشأوا جمعية خاصة بهم تحت اسم (جمعية علماء السنة الجزائريين).

وقد حاولت هذه الجمعية أن تقلد نشاط جمعية العلماء، فأنشأت جريدة (الإخلاص) وفتحت، ناديا وأعلنت أنها تعمل من أجل الإسلام الجزائري، وأما الإدارة الاستعمارية فقد حاولت أن تجعل منها أداة لمحاربة جمعية العلماء والتيارات السياسية[4].

لكنها لم تعش أكثر من ثلاث سنوات لأنها كانت تفتقر إلى الدعم والتأييد، و لم يكن لها أنصار أو أتباع[5].

أما جمعية العلماء المسلمين فقد أصبحت لسان الحركة الإصلاحية في الجزائر، والممثل الشرعي لها ومهما تكن الأسباب والظروف التي نشأت فيها جمعية العلماء، فقد استطاعت أن تقود الأمة ربع قرن مرشدة ومعلمة وموجهة، ومدافعة عن الإسلام والعروبة والجزائر.

وكانت تطمح من خلال توحيد جهود العلماء في منظمة واحدة، وحرصها على أن لا يضم مجلسها الإداري إلا العناصر التي تنتمي إلى الحركة الإصلاحية، تجسيد المشروع الإصلاحي، المناهض للتيار الطرقي وأيضا للمشروع الاستعماري.

---

(1) – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ص83.

(2) – عبد الكريم بوالصفصاف، المرجع السابق، ص105.

(3) – Claude Collot et ,Jean Robert Henry, op,cit, p 95.

(4) – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط 1 (بيروت، دار الغرب الإسلامي: 1998)، ج4، ص 331–332.

(5) – عبد الكريم بوالصفصاف، المرجع السابق، ص109.

ثالثا:أهداف جمعية العلماء المسلمين

تحدث الكثيرون عن أهداف جمعية العلماء، فحصرها البعض في محاربة الخرافات والبدع وربطها البعض الآخر بالقضية الوطنية، ورأوا أن هدفها النهائي كان استقلال الجزائر والانفصال التام عن فرنسا.

وأما قانونها الأساسي فلم ترد فيه سوى مادة واحدة حددت فيها أهدافها في محاربة الآفات الاجتماعية وكل ما يحرمه الشرع وينكره العقل وتحظره القوانين. حيث جاء فيها: "والقصد من هذه الجمعية هو محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر والميسر والبطالة والفجور، وكل ما يحرمه صريح الشرع وينكره العقل وتحجره القوانين الجاري العمل بها"[1].

ويظهر الهدف التعليمي في الفصل السادس الذي يسمح للجمعية ببناء المدارس والنوادي والمكاتب الحرة للتعليم الابتدائي من أجل نشر العلم والدين الصحيح في أوساط الشعب[2].

وحتى عام 1931 كانت هذه هي الغاية التي أعلنتها الجمعية ولكن بعد أن تم عزل الطرقيين وأعوان الإدارة في الانتخاب الثاني الذي أجرته الهيئة العامة للجمعية عام 1932، أخذت غاية الجمعية تتوضح أكثر فأكثر، وبالذات فيما يخص موقفها من الطرقيين، حيث أعلن عنه ابن باديس فيما بعد فقال : "الأوضاع الطرقية بدعة لم يعرفها السلف ومبناها كلها على الغلو في الشيخ والتحيز لأتباع الشيخ وخدمة دار الشيخ وأولاد الشيخ إلى ما هنالك من استغلال... ومن تجميد للعقول وإماتة للهمم وقتل للشعور وغير ذلك من الشرور..."[3].

وإذا لم تحدد جمعية العلماء كل أهدافها في قانونها الأساسي، فإن ذلك لم يمنع بعض رجالها من تسجيل أهدافها في بعض المناسبات وبخاصة في فترة الثلاثينيات، وهي لم تخرج في مجملها عن الإطار العام الذي حددته المادة الرابعة من القانون الأساسي.

ومنها تعريف أبو اليقظان الذي حدد أهداف الجمعية في الإصلاح الديني والعلمي بالقطر الجزائري، وتعميمه وتقويته، مؤكدا أن تلك هي حقيقتها، وغايتها في واضح النهار، ظاهرها باطنها، وباطنها ظاهرها[4] .

وحدد العربي التبسي أهدافها في قوله : "إن جمعيتكم هذه وجدت لخدمة الإسلام وبث علومه ورد الشبه عنه ونشر فضائله، ودعوة الناس إلى هدي نبي هذه الملّة"[5] .

وحصر الإبراهيمي غاية الجمعية في نقطتين هما : "إحياء مجد الدين الإسلامي وإحياء مجد اللغة العربية".

---

(1)- الشهاب، ج 5، م 7، (محرم 1350 هـ - ماي 1931 م) .

(2) - المصدر نفسه .

(3) - عمار طالبي، المصدر السابق، ج3، ص133.

(4) - البصائر، ع 37،(2 أكتوبر 1936).

(5) - سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، ص137.

فأما إحياء مجد الدين الإسلامي فبإقامته كما أمر الله أن يقام بتصحيح أركانه الأربعة: العقيدة والعبادة والمعاملة والخلق.. وأما إحياء مجد اللسان العربي فلأنه لسان هذا الدين والمترجم عن أسراره ومكوناته، لأنه لسان القرآن الذي هو مستودع الهداية الإلهية العامة للبشر كلهم.

ومن خلال العمل على تحقيق هاتين الغايتين تطمح جمعية العلماء إلى إيجاد جيل مزود "بالإسلام الصحيح وهدايته والبيان العربي وبلاغته، عارفا بقيمة الحياة سباقا في ميادينها متحليا بالفضائل عزوفا عن الرذائل، عارفا بماله وما عليه واقعا على مستقر الواقع..."[1]

مشيرا إلى أن جمعية العلماء لا تكتفي بتحقيق هاتين الغايتين فقط، وإنما تعمل أيضا لما وراءهما من كل نافع ومفيد لا ينافي كليات الإسلام.

هذه أهم الأهداف كما حددها بعض رجال العلماء في فترة الثلاثينيات.

وحاول بعض الذين كتبوا عن الجمعية تحديد أهدافها وتجاوز الأهداف المعلنة في القانون الأساسي، واستندوا إلى مواقفها وأعمالها لاستخلاص ما يمكن استخلاصه من مقاصد وغايات وراء جهودها في مجال التعليم الوعظ والعمل الصحفي.

ولعل هذا ما جعل آراءهم تتباين وتختلف، فهم يعتبرون ما جاء في القانون الأساسي وحصر الأهداف في نقاط خاصة بنشر الإسلام ومحاربة الخرافات لا تعبر عن حقيقة أهدافها.

ويعتقدون أنها أخفت كثيرا من غاياتها كي لا تثير الاستعمار ضدها، فتتعرض لما تعرضت له الأحزاب السياسية من التضييق والضغط، وبالتالي لا يمكن الاكتفاء، أو الاعتماد على القانون الأساسي للحديث عن جمعية العلماء وأهدافها.

والذي اتفقوا عليه هو أن جمعية العلماء تعمل من أجل:

- تطهير الدين الإسلامي مما لحق به من خرافات وبدع، ومحاولة للعودة إلى الإسلام الصحيح.
- إحياء اللغة العربية وثقافتها.
- المحافظة على الشخصية الجزائرية بكل مقوماتها.

ولكن النقطة التي اختلفوا حولها هي ما إذا كان للجمعية علاقة أو أهداف سياسية.

والذين استبعدوا أية علاقة لها بالسياسة ينطلقون في ذلك من اعتقادهم بأن السياسة منفصلة عن الدين والثقافة.

وجمعية العلماء نفسها نفت أية علاقة لها بالشؤون السياسية ورفضت أن تصرح بغير الغاية التربوية التهذيبية.

ويعتقد بعض الكتاب الغربيين[1] أن اليقظة الدينية والثقافية التي يقودها العلماء، وراءها أهداف وطنية تتمثل في إقامة كيان جزائري على أسس الثقافة العربية الإسلامية.

---

[1] - محمد البشيرالإبراهيمي، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، (بيروت، دار الغرب الإسلامي: 1998)ج1، ص 133-135-134.

وقد صرح الإبراهيمي -وهو الذي تولى رئاسة الجمعية بعد عبد الحميد بن باديس- أنه غير مقتنع بأن تكون حزبا سياسيا لأنه يرى أن ما تقوم به لهو أشمل وأعم فائدة من العمل السياسي الحزبي الذي كان سائدا في الجزائر في تلك الفترة[1].

وربما رأى العلماء أنه كان من السهل على الجزائريين تأسيس حزب أو أحزاب سياسية، منذ العشرينيات، لكنهم لم يتمكنوا من تأسيس أي جمعية كجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، عملا وتأثيرا في الشعب الجزائري[2].

ورغم أن جمعية العلماء صرحت كثيرا أنها ليست حزبا سياسيا، ولا تخوض في السياسة، فإن ذلك لم يمنعها من إعلان مواقف هامة تجاه بعض القضايا التي عدّت لدى الكثيرين مواقف سياسية، إذ لم يكن بوسعها أن تبقى بعيدة عن القضايا الكبرى التي تهم المجتمع، ولا عن الواقع الجزائري الذي كان يتغير باستمرار.

ومن مواقفها رفضها للتجنيس وما ينجر عنه من انسلاخ عن كل مقومات الشخصية الجزائرية من جنس ولغة ودين، ومحاربة دعاته، ودفاعها عن اللغة العربية، وصراعها مع الإدارة من أجل التعليم العربي، ونضالها ضد المرابطية. هذا الصراع الذي تحول من صراع ديني إلى صراع سياسي لأن الطرفين قد تحولوا إلى أدوات لخدمة الأهداف الاستعمارية[3].

وأيضا مطالبتها باستقلال القضاء الإسلامي، وعدم تدخل الإدارة في الشؤون الدينية للمسلمين، ونحو ذلك من القضايا.

وأكبر حدث سياسي شارك فيه العلماء، هو المؤتمر الإسلامي الذي دعا إليه ابن باديس سنة 1936، عبر جريدة "الدفاع"[4].

ورغم أن بعض المصادر الفرنسية[5]، تعتبر انتصار الجبهة الشعبية هو الباعث الحقيقي لعقد المؤتمر، لأنه حرك بعض الآمال في تغيير عميق في السياسة الفرنسية في الجزائر، يؤكد الإبراهيمي أن فكرة عقد المؤتمر والدعوة إليه قد سبقت فوز الجبهة الشعبية بعدة أشهر[6].

والمبرر الذي استند إليه العلماء هو أن السياسة تعني الأمة كلها، وإليها يجب أن ترجع الهيئات الوطنية والأحزاب على اختلافها، وأن المؤتمر هو سبيل جمع الشمل وتوحيد الصف لتحديد

---

(1) - الإبراهيمي، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص69.

(2) - محمد الهادي الحسني، "الإبراهيمي رئيسا لجمعية العلماء"، مجلة الموافقات، المعهد الوطني العالي لأصول الدين بالجزائر، س4، ع 4 (جوان 1995) ص 595.

(3)- Mahfoud Kaddache, histoire du nationaliseme Algerien, 1919 – 1951(Alger, SNED: 1980)Tome I, p340

(4) - Ali Merad, Le Reformisme Musulman en Algerie, p 185.

(5) - Claude Collot et ,Jean Robert Henry , OP.CIT . P 70.

(6) - الإبراهيمي، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي. ج 1. ص 247.

الهدف[1] .

وغاية ما سعت إليه الجمعية هو أن تمنح الشعب فرصة إبداء الرأي، وتعيد له حقه في تقرير مصيره، وتعود كل الاتجاهات على استشارته في شؤون هي شؤونه الخاصة[2] .

وأما غاية الجمعية من حضور المؤتمر فكان تمثيل مطالب الأمة في مجال الدين واللغة العربية. فتقدمت باسمها رسميا بمطلبين أساسيين، أولهما ضرورة تعليم اللغة العربية وجعلها لغة رسمية في الجزائر إلى جانب اللغة الفرنسية، والثاني يتمثل في تسليم المساجد وأوقافها إلى جمعيات دينية إسلامية، وفقا لقانون فصل الدين عن الحكومة، وتأسيس كلية لعلوم الدين ولسانه، لتخريج موظفي المساجد، والأئمة والمدرسيين، والمؤذنين، والقيمين، وتنظيم القضاء، وإدخال إصلاحات على المدارس التي يتخرج منها رجال المحاكم[3] .

وكذلك ظهرت المواقف السياسية للعلماء من خلال رفضهم الإعلان عن تأييدهم لفرنسا في الحرب ضد ألمانيا وإيطاليا، ومساهمة الجمعية في التحضير للبيان الجزائري، الذي أعده فرحات عباس، ومشاركتها في التحضير لجمعية أصدقاء البيان والحرية، ورأيها في دستور 1947[4] ، وغير ذلك من المواقف والآراء.

وأما الهدف السياسي البعيد للعلماء فقد كان تحرير الجزائر من قبضة الاحتلال الفرنسي، هذا ما ذهب إليه العديد من الباحثين.

ويذكر بوالصفصاف أن الأهداف الحقيقية للعلماء كانت في جوهرها سياسية وطنية، ويتلخص برنامجها في هدفين رئيسيين[5] :

الأول قريب: ويتمثل في تصفية الإسلام مما علق به من الشوائب ومحاربة جهود الزوايا وإحياء اللغة العربية والتاريخ العربي الإسلامي وإنشاء المدارس والمساجد وفصل الدين عن الحكومة وتوعية وتثقيف الشعب الجزائري والحفاظ على شخصيته من كل محاولات المحو.

والثاني بعيد : وهو استرجاع استقلال الجزائر.

وهدف الاستقلال جاء أيضا ضمن مجموعة الأهداف التي حددها بيرك (Bérque) وتتمثل في [6]:

1. تخليص الجماهير الجزائرية من محاولات دمجها في المجتمع الغربي.
2. المشاركة في الدعوة إلى إقامة الوطن العربي.

---

(1) – محمد خير الدين، مذكرات،(الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب)، ج 1، ص 327 .

(2) – الإبراهيمي، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي. ج 1. ص 260.

(3) – محمد خير الدين، المصدر السابق، ج 1، ص334.

(4) – أبو القاسم سعد الله،أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 4، ص 146.

(5) – عبد الكريم بو الصفصاف، المرجع السابق، ص 111 – 112 .

(6) – أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص118–119، نقلا عن:

Revue de la mediteranee N 4. Tome 2 Juillet– Oût. P 419.

3.تكوين الشعب الجزائري الذي عانى من الرزوح تحت الأوامر القاسية والفوضى.
4.العمل على جعل الجزائر دولة مستقلة مرتبطة باتحاد فيدرالي مع الأقطار العربية.

وقبله كتب أحد الفرنسيين في جريدة **الكونكورد** من أن سياسة العلماء الحـــاضرة "تنحصـــر في المرابطة بحصن الثقافة والدين، وهكذا يتدخلون في كل شيء، ينتظرون أن يتقدم رجال آخـــرون لاستعمال السلاح الذي يصقلونه الآن بأيديهم ويعدونه"[1].

وهكذا فإن الرأي العام الفرنسي يعتبر إحياء معالم الشخصية الوطنية، وتنمية الروح العربية عمـــلا سياسيا، وأن تعلقهم بالثقافة العربية الإسلامية كان يعطي لحركتهم مجالا واسعا يتحركون فيـــه، ولهذا عُدّ العلماء الأعداء الحقيقيين لفرنسا واعتبرتهم حكومتها أخطر خصم ينازعـــها في حـــاضر الجزائر ومستقبلها. وأنها "تستر القومية بستار الدين، وتخفي الوطنية بخفاء العلم والعربية"[2].

وهذا دليل على أن المستعمرين لم يكونوا يفرقون بين نشاطات العلماء في المجالات الدينية والثقافيـــة وبين السياسية.

وعبرت الإدارة عن عدائها ومخاوفها من نشاط العلماء في المعاملات الجائرة التي تعاملت بهـــا مـــع الجمعية من أول يوم نشأت فيه.

إلا أن دعوة العلماء ظلت تنتشر بين الجزائريين بفضل تأثيرها الديني القومي واعتمادها على دعـــم الجماهير واتصالها بهم اتصالا مباشرا.

وفي المؤتمر[3] الذي عقدته جمعية العلماء سنة 1951، وحضره عدد من الأحزاب الجزائريـــة ذكر العربي التبسي، وهو يشرح أهمية نضال جمعية العلماء من أجل استقلال الدين عن الحكومـــة، عزمها على السعي الدائم في المجالات التي عملت فيها حتى استقلال الجزائر فقال : "إن اســـتقلال الدين يساوي استقلال نصف الجزائر إذ به يخسر الاستعمار خمس مليارات من الفرنكات الذهبيـــة وجيشا جرارا من الموظفين كان يستخدمهم لمصلحته ومازلنا نقاوم إلى أن يتحرر الدين وتتحـــرر الجزائر"[4].

مؤكدا أن جمعية العلماء مع التحرر وهي تعمل في أحد جوانبه، وهو الدفاع عن الإسلام والعربيـــة لأن الاستعمار قد ظلم الدين والشعب، ولابد لهما من مدافع.

وإن الأسلوب الذي رآه العلماء أنسب لتحقيق غاياتهم القريبة والبعيدة، هو المحافظة علـــى كيان المجتمع ومقوماته، حيث عملوا على بعث الشخصية الجزائرية المتمثلة في الثقافـــة العربيـــة، والتعاليم الإسلامية الصحيحة.

---

(1) – محمود قاسم، الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير، (مصر، دار المعارف: 1988)، ص 28 .

(2) – الإبراهيمي، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي. ج 3 ، ص 61.

(3) – حضر المؤتمر ممثلون عن عدد من الأحزاب الوطنية وهي: حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، حزب البيان، الحزب الشيوعي، الجبهة الجزائرية.

(4) – المنار، س 1، ع 9،(الجمعة 5 أكتوبر 1951).

3.تكوين الشعب الجزائري الذي عانى من الرزوح تحت الأوامر القاسية والفوضى.
4.العمل على جعل الجزائر دولة مستقلة مرتبطة باتحاد فيدرالي مع الأقطار العربية.

وقبله كتب أحد الفرنسيين في جريدة **الكونكورد** من أن سياسة العلماء الحـــاضرة "تنحصـــر في المرابطة بحصن الثقافة والدين، وهكذا يتدخلون في كل شيء، ينتظرون أن يتقدم رجال آخـــرون لاستعمال السلاح الذي يصقلونه الآن بأيديهم ويعدونه"[1].

وهكذا فإن الرأي العام الفرنسي يعتبر إحياء معالم الشخصية الوطنية، وتنمية الروح العربية عمـــلا سياسيا، وأن تعلقهم بالثقافة العربية الإسلامية كان يعطي لحركتهم مجالا واسعا يتحركون فيـــه، ولهذا عُدّ العلماء الأعداء الحقيقيين لفرنسا واعتبرتهم حكومتها أخطر خصم ينازعـــها في حـــاضر الجزائر ومستقبلها. وأنها "تستر القومية بستار الدين، وتخفي الوطنية بخفاء العلم والعربية"[2].

وهذا دليل على أن المستعمرين لم يكونوا يفرقون بين نشاطات العلماء في المجالات الدينية والثقافيـــة وبين السياسية.

وعبرت الإدارة عن عدائها ومخاوفها من نشاط العلماء في المعاملات الجائرة التي تعاملت بهـــا مـــع الجمعية من أول يوم نشأت فيه.

إلا أن دعوة العلماء ظلت تنتشر بين الجزائريين بفضل تأثيرها الديني القومي واعتمادها على دعـــم الجماهير واتصالها بهم اتصالا مباشرا.

وفي المؤتمر[3] الذي عقدته جمعية العلماء سنة 1951، وحضره عدد من الأحزاب الجزائريـــة ذكر العربي التبسي، وهو يشرح أهمية نضال جمعية العلماء من أجل استقلال الدين عن الحكومـــة، عزمها على السعي الدائم في المجالات التي عملت فيها حتى استقلال الجزائر فقال : "إن اســـتقلال الدين يساوي استقلال نصف الجزائر إذ به يخسر الاستعمار خمس مليارات من الفرنكات الذهبيـــة وجيشا جرارا من الموظفين كان يستخدمهم لمصلحته ومازلنا نقاوم إلى أن يتحرر الدين وتتحـــرر الجزائر"[4].

مؤكدا أن جمعية العلماء مع التحرر وهي تعمل في أحد جوانبه، وهو الدفاع عن الإسلام والعربيـــة، لأن الاستعمار قد ظلم الدين والشعب، ولابد لهما من مدافع.

وإن الأسلوب الذي رآه العلماء أنسب لتحقيق غاياتهم القريبة والبعيدة، هو المحافظة علـــى كيان المجتمع ومقوماته، حيث عملوا على بعث الشخصية الجزائرية المتمثلة في الثقافـــة العربيـــة، والتعاليم الإسلامية الصحيحة.

---

(1) – محمود قاسم، الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير، (مصر، دار المعارف: 1988)، ص 28 .

(2) – الإبراهيمي، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي. ج 3 ، ص 61.

(3) – حضر المؤتمر ممثلون عن عدد من الأحزاب الوطنية وهي: حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، حزب البيان، الحزب الشيوعي، الجبهة الجزائرية.

(4) – المنار، س 1، ع 9،(الجمعة 5 أكتوبر 1951).

ورغم أن مفهوم الإصلاح عندهم لا يفرق بين ما هو ثقافي وديني وسياسي، فإنهم كانوا يؤمنون بأن تحرير الجزائر لا يمكن تحقيقه إلا إذا هيئ الشعب لتحمل مسؤوليته السياسية تجاه الوطن، بتعليمه وتوعيته وتحرير فكره من الأوهام والخرافات.

بل إن العلماء كانوا يعتبرون فرض معركة على الشعب الجزائري في مرحلة لم تكتمل فيها الشروط، يعد عملا غير مجد، وقد يضيع الطاقات ويودي بالعمل.

وهذا هو مفهوم السياسة الذي تبناه العلماء والذي يعني "إيجاد الأمة، ولا توجد الأمة إلا بتثبيت مقوماتها من جنس ولغة ودين"[1].

وإن الإصلاح قد يبدأ بالثقافة أو بالدين أو بالمجتمع لكنه في نهاية الأمر يغطي كل مظاهر الحياة في مجتمع ما بما في ذلك السياسة[2].

وبفضل جهود جمعية العلماء أصبحت الأمة كلها مصلحة وثائرة على الشر والباطل، وعلى الاستعمار منبع كل شر وباطل.

رابعا: فلسفة الإصلاح عند جمعية العلماء

عاشت جمعية العلماء فترتين تحت تأثير أهم رجلين من رجالات الإصلاح، الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي يعتبر واضع أسسها ومنهجها الذي سارت عليه بعد وفاته وموجهها الأول، قادها طيلة فترة الثلاثينيات، وكان موضع ثقة الجزائريين والروح التي تتحرك بها الجمعية. ولهذا فإن هناك من يعتبر الحديث عن الجمعية في الثلاثينيات هو حديث عن ابن باديس، وأنه لولاه لما تأسست جمعية العلماء، لأن شخصية ابن باديس هي التي استطاعت أن تجمع كلمة المؤسسين وتلم شملهم بعد تمزق[3].

وإن ما أنجزته جمعية العلماء بقيادة الشيخ ابن باديس "يمثل خير تمثيل الصورة التي يمكن أن تتخذها الدعوة إلى النهضة من خلال العلم والتربية الأخلاقية"[4]، اتخذ هذا المنهج سبيلا لترقية المسلم الجزائري، ليجعله عنصرا حيا وفاعلا في وسطه الاجتماعي .

وهو المنهج الذي تبنته جمعية العلماء وسارت عليه، ولهذا ولفهم فلسفتها في الإصلاح يتوجب علينا معرفة منطلقاته كما بينها ابن باديس، وذلك من خلال نقطتين هامتين، الأولى تتعلق بتحليله لواقع المجتمع الجزائري، والثانية تتعلق بالأسلوب الذي رآه مناسبا لتحقيق الإصلاح.

---

(1) – الإبراهيمي، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي. ج 3 ، ص 61.

(2) – الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، (الجزائر، دار الهدى: 1992) ص 140.

(3) – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3، ص 85.

(4) – فهمي جدعان، أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، ط1 (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر:1985) ص 453 .

فكيف حلل ابن باديس ظاهرة التخلف في المجتمع الإسلامي والجزائري بصفة خاصة وإلى أي أسباب أرجعها؟

رأى ابن باديس، ومن قبله مصلحون آخرون أمثال محمد بن عبد الوهاب، والأفغاني، ومحمد عبده، ومحمد إقبال وغيرهم، أن التدهور الذي يصبغ كل مظاهر حياة الأمة يرجع إلى انفصالها عن الحقيقة القرآنية، ولهذا فالأزمة التي تعيشها عامة وشاملة لكل النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية،لأن الحقيقة القرآنية حقيقة شاملة تضم كل هذه العناصر. إذ لا انفصال في المفهوم الإسلامي بين الدين والدولة، الروح والمادة، ولذلك كانت الأزمة ترجع إلى أسباب متعددة لا إلى سبب واحد[1] .

فابن باديس يعتبر أن الداء في المجتمعات الإسلامية المعاصرة وفي المجتمع الجزائري بصفة خاصة والذي أدى إلى تدهور عام في حياته الفكرية والعملية يكمن في ابتعاده عن مصدري الوحي الكتاب والسنة. فسعى إلى بيان ذلك وبشكل خاص في دروس التفسير، وكان يتخذ من تفسير كل آية دالة على ذلك المعنى سبيلا لإيضاح حقيقة وأصل الداء الذي أصيب به المجتمع، فقال في تفسيره لقوله تعالى :﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2] . "مخالفة السنة النبوية والهدي المحمدي، وما كان عليه رسول الله ﷺ في تنفيذ شرع الله وتطبيق أحكامه وتمثيل الإسلام تمثيلا عمليا، تلك المخالفة هي سبب كل بلاء لحق بالمسلمين حتى اليوم، بحكم صريح هذه الآية، وقد ذكر المفسرون في تفسير الفتنة أشياء على وجه التمثيل لا على وجه الحصر والتحديد فذكروا الكفر، والقتل، والاستدراج بالنعم، وقسوة القلب من معرفة المعروف والمنكر، والطبع على القلب حتى لا يفقه شيئا. وكل هذا قد أصاب المسلمين بسبب مخالفتهم"[3] . وهكذا فالأزمة والتخلف والتدهور يرجع لأسباب كثيرة متصلة بالعقيدة والفكر والعمل، ولكنها ترجع كلها لأصل واحد هو مخالفة الإسلام وما جاء به.

لكن الإحساس بالخلل وتحليل ظاهرة الانحراف عرفت تطورا جاء مع دخول الأمة مرحلة جديدة من حياتها، بدأت مع أولى حملات الغزو الاستعماري للعالم الإسلامي، فتحول الوعي بالخلل إلى وعي مزدوج يجمع بين : الاعتقاد بأن سبب التخلف ذاتي داخلي، حيث تفاقمت الهوة بين المجتمع الإسلامي وبين الإسلام، ويرجع أيضا إلى عنصر خارجي، وهو الفارق الفاصل بين المسلمين وأوربا، وانقلاب العلاقة من التفوق إلى الانحطاط، حيث استغلت أوربا هذا الضعف لتفرض نفوذها وسيطرتها عن طريق الاحتلال.

هل أغفل ابن باديس الحديث أو الإشارة إلى هذا العامل الخارجي؟

---

[1] – عمار طالبي، المصدر السابق، ج1، ص100.

[2] – النور : 63.

[3] – عبد الحميد بن باديس، التفسير ، ص432.

الحقيقة أن ابن باديس لم يغفل العامل الخارجي المتمثل في القوى الأوربية والاستعمار، غير أنه تحدث عنه كوجه من وجوه الفتنة العامة التي هي مخالفة الهدي النبوي، فكان من نتائجها أن الله قد سلط على المسلمين السلاطين الجائرين، ويقصد بالسلطان "...من له السلطة في تدبير أمر الأمة والتصرف في شؤونها"[1].

وهذا التسليط كان سببا في فساد القلوب والأخلاق والأعمال والأحوال، وانحطاط الأمة إلى أحط الدرجات في الدين والدنيا. والسلطان الجائر هو سبب كل شر وبلاء، وسواء جاءها هذه الشرور من السلاطين الجائرين الذين هم منها أو من غيرها[2].

ولابد أنه يقصد بقوله "من غيرها" الأمم الأوربية التي استعمرت البلاد الإسلامية، لأنها هي التي أصبحت بعد احتلالها تدير وتتصرف في شؤون الأمة الدينية والدنيوية.

وأما مظاهر التدهور فتتجلى حسب رأي ابن باديس في عدة نواحي، دينية، سياسية واجتماعية، ولئن ظهر اهتمامه وتركيزه على ناحية أكثر من الأخرى، فإن ذلك يرجع لاعتقاده بأنها أهم النواحي التي أصابتها عوامل الانحراف، وأن الإصلاح لابد أن يبدأ منها.

ولهذا نلاحظ أن جهوده قد اتجهت أكثر إلى الناحية العقيدية، فاهتم بشكل رئيسي بإصلاح الخلل الذي أصبح يطبع علاقة المسلم بخالقه، والذي انعكس على حياته الفكرية والعملية، بعد أن طرقت عقيدته مظاهر الشرك، وانتشرت بين أوساط المسلمين البدع والمحدثات، والتي غذتها الطرقية المنحرفة، بنشرها للاعتقادات الباطلة، وادعاء شيوخها صفة الربوبية ونسبها لأنفسهم، وقد ساعدهم على ذلك ما لقوه من إقبال وتصديق واسعين من العامة.

فكان من نتائج ذلك "... انحطاط الفرد المسلم أخلاقيا وفكريا وروحيا، وبالتالي انحطاط المجتمع الإسلامي إلى درجة مذهلة تستوجب العمل بكافة الوسائل على إنقاذه بكل سرعة"[3].

ولعل ذلك ما يفسر سر حملته القوية على رجال الطرق الصوفية. ولم يكتف ابن باديس بالحديث عن خطرها في الجزائر فقط، وإنما اهتم بها أيضا في بعض دول العالم الإسلامي.

ومنها إنكاره على الحكومة المصرية دعمها للطرقية، ومشاركتها الرسمية لها في بدع المواليد وتأييدها لها في الاجتماعات، وما فيها من مظاهر الانحراف، كما أنكر على بعض علمائه الرسميين سكوتهم، وتأييدهم لها بالدفاع عنها وتأويل ما تقوم به[4].

كما أنكر بشدة على علماء جامع الزيتونة سكوتهم عن البدع والمنكرات التي يأتيها الطرقيون والفظائع التي يرتكبها بعضهم، ويحثهم في إلحاح على القيام بواجبهم في دفعها، فقال مخاطبا إياهم : "إننا

---

(1) – عبد الحميد بن باديس، التفسير ، ص432.

(2) – المصدر نفسه، ص 432-433.

(3) – عمار طالبي، المصدر السابق، ج3، ص48.

(4) – المصدر نفسه، ج3، ص 48.

ندعوكم بكلمة الله إلى الصدع بالحق وإنقاذ المسلمين، فإن أجبتم فذلك الظن بكم، والله معكم ولن يتركم أعمالكم، وإن أبيتم فعليكم إثم الهالكين"[1].

كان للغزو الاستعماري الأروبي على البلاد الإسلامية دور في يقظة شعوبها، وانتشار فكرة الإصلاح، تدعو الناس إلى تجاوز التخلف واجتثاث أسبابه.

واكتشف المسلمون عن طريق هذا الاحتكاك درجة تقدم أوروبا المادي، مما جعل بعض المفكرين يتخذون من الدول الغربية معيارا يحاكمون إليه وضع الأمة الحضاري، ويجعلون منها عنصر المقارنة، إلا أن المجددين وإن لم ينكروا مدى قوة أوروبا وتقدمها، فإنهم ظلوا ينظرون إليها كعامل نبه إلى حالة التخلف، وأنها ليست معيارا تحاكم إليه الأوضاع الإسلامية، ولا نموذجا أمثل لاقتباس الحلول، وتبقى الاستفادة من التقنيات التي أنتجتها نسبية، ومحكومة بشروط.

ولهذا قال ابن باديس أن الإسلام هو وحده المرجعية والمعيار الذي يجب أن تقاس به الأعمال ويحكم به على الأحوال، ولأن الإسلام جاء ليبني الحياة المادية والروحية معا، فلا يمكن اعتبار المجتمع متقدما إلا بهما.

وأما الحضارة الغربية ورغم مظاهر القوة والتقدم، فهي حضارة تنحصر في جانب واحد هو الجانب المادي، وهذه "...المدنية الغربية المسيطرة اليوم على الأرض مدنية مادية في نهجها وغايتها..."[2] أي أن هذا الجانب المادي للمدنية الغربية إنما بني على مقتضى حالها، وفلسفتها للوجود الخاصة بها، ومن ثم فهي ليست مقياسا صحيحا نقيس به وضعنا.

وقد رأى ابن باديس ضرورة التأكيد على هذا، لما رأى كثيرا ممن يعتقدون أن رجال هذه المدنية هم المؤهلون الموعودون بإرث الأرض، وأنهم الصالحون المقصودون في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[3]. فقال : "فيا لله للقرآن، وللإنسان من هذا التحريف السخيف كأن عمارة الأرض هي كل شيء ولو ضاعت العقائد، وفسدت الأخلاق، واعوجت الأعمال وساءت الأحوال"[4]. فمهما بلغت المدنية الغربية من تقدم ومهما بلغ المجتمع الإسلامي من انحطاط فإن انبعاثه لابد أن يكون داخليا بالرجوع إلى الإسلام. إلا أنه لا يمانع من الاستفادة من تجارب الأمم الأخرى، بل إنه يدعو إلى التفكر وأخذ العبرة.

ومادام أصل الفساد كله نابع من ابتعاد المسلمين عن دينهم، فإنه لا إصلاح إلا بالعودة إلى الدين إلى ما كان عليه من أصول صحيحة. "وهو الإسلام الصحيح الذي أنقذ الله به العالم أولا،ولا نجاة للعالم مما هو فيه اليوم إلا إذا أنقذه الله به ثانيا"[5].

---

(1) – البصائر، س 1،ع 11، (20 مارس 1936).

(2) – عبد الحميد بن باديس، التفسير، ص448.

(3) – الأنبياء : 105.

(4) – عبد الحميد بن باديس، التفسير، ص448.

(5) – المصدر نفسه، ص434.

ويذكر في حديثه عن القرآن كيف أن الله تعالى يوجهنا في كتابه إلى سبل النجاة، عندما يتحدث عن قوم يونس، وأنه نجاهم وكشف عنهم العذاب لما آمنوا وأقلعوا عن الكفر فقال : "وقد ذكر لنا في كتابه أمة أقلعت عن سبب العذاب فارتفع عنها بعدما كان يترل بها ليؤكد لنا أن الإقلاع عن السبب ينجي من المسبب فقال تعالى : ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [1]. وأرشدنا في ضمن هذا العلاج الناجع في كشف العذاب وإبطال أسبابه وهو الإيمان كما أرشدنا إليه أيضا في قوله تعالى قبل هذا ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا﴾[2]. أي نجاها من العذاب[3].

وهكذا يتبين أن الهواجس التي كانت تؤرقه وتدعوه إلى النهوض والإصلاح إنما هي أوضاع المجتمع الجزائري، وما وصل إليه من تخلف وابتعاد عن أصول دينه، وأن الإصلاح واجب من الذين لا عذر للقادر عليه في القعود عنه.

ومن هذا المنطلق كانت أهداف ابن باديس من إصلاحه إنقاذ المجتمع الجزائري من الأوضاع المتردية، مقتنعا بعد طول نظر أن المجد لن يعود إلا بعودة الإسلام، فهو وحده مصدر عزهم ووحدهم، وأن الحفاظ على الهوية الإسلامية للأمة في مواجهة التيارات المعادية يتلخص في حقيقة جوهرية هي إسلامية الحل، وإسلامية المنطلق والغاية.

وخلافا لرأي الذين قالوا بأن الاستفادة من الحضارة الغربية في جوانبها المادية والتنظيمية، شرط لازم للخروج من أزمة التخلف متناسين أن كل نواحي الحياة الغربية وحتى المادية منها يصعب فصلها عن نفسية الإنسان الغربي وتفكيره[4]، حصر المجددون الاقتباس في بعض جوانب المدنية الغربية مما لا يتعارض مع المعتقدات والتقاليد الإسلامية.

واهتموا بالتأكيد على شرط وحدود وضوابط هذا الاقتباس وهو أن يحفظ للأمة تميزها الحضاري واستقلالها السياسي، الذي قد تفقده جراء هذا التقليد الأعمى.

ولهذا لم يغفل ابن باديس وهو يقرر أهمية ما وصلت إليه المدنية الغربية من تقدم علمي وعمراني كبيرين، وسبقها في كثير من المجالات، عن الإشارة والتوجيه إلى أول شرط الاقتباس وهو التمييز بين ما هو صالح وما هو فاسد في المدنية الغربية، بالفحص والنظر، ثم انتقاء ما يخدم المجتمع وما لا يتناقض ومقوماته الحضارية.

ولم يكتم حزنه على الأمة الجزائرية التي أصبحت تعيش في تدهور بسبب الجهل وسوء فهمها لدينها، الأمر الذي جعلها تتطلع إلى الأمة الغربية تريد أن تقتبس منها، من غير أن تفكر فيما أوصلها إلى حياة العزة والسيادة، وتهمل الاقتباس من تقدمها العلمي والعمراني وتقنع

---

(1) – يونس : 98.

(2) – يونس : 98.

(3) – عبد الحميد بن باديس، التفسير ، ص164.

(4) – ميمون النكاز، " قراءة في إشكالية التخلف والتبديل"، مجلة الأمة، قطر، ع 93، (نوفمبر1985)، ص9.

بالاندفاع في تقليدها في كل شيء حتى في معاشها ومفاسدها، أو في قشور الحضارة مع ازدراء كل عزيز لديها، ولا يدرك حقيقة هذا "إلا من نظر بعين العلم فعرف أن كل ما عندهم من خير هو عندنا في ديننا وتاريخنا، وأن ذلك هو الذي تقدموا وسادوا به، وأن ما عندهم من شر هو شر على حقيقته، وأن ضرره فيهم هو ضرره، وأنه لا يجوز أن يتابعوا عليه.."[1].

وهذا توجيه ذكي من ابن باديس حين يستفز الضمير الجزائري قبل أن يبدي انبهاره بالمدنية الغربية وما أنتجته، فيسارع إلى الاقتباس منها، أن يفكر أولا في الأسباب التي جعلته يصل إلى ما وصل إليه من رقي، فيستفيد منها في تحديد نفسه على أساس الحقيقة التي وصل إليها، وبما اكتسبه من وسائل الإبداع والاختراع، مادامت السنن الكونية التي تحكم حياة البشر واحدة لا تتبدل. وهكذا تصبح الحاجة إلى الاقتباس ثانوية.

ثم قام ابن باديس ببيان مجموعة من السلبيات التي تصبغ المدنية الغربية، والواجب أخذها بعين الاعتبار في الاقتباس، وحددها فيما يأتي :

- أن المدنية الغربية مدنية مادية بنيت على حساب الأخلاق والعقيدة، لا اعتبار عندها إلا لمبدأ القوة، "فهي عندها فوق الحق والعدل والرحمة والإحسان..."[2].

- الغاية عندها تبرر الوسيلة، وهي في تعاملها مع الأمم الأخرى لا تتورع عن استعمال القوة ونشر الحروب والأزمات إذا كان ذلك يحقق مصالحها، مستنكرا أن تكون عمارة الأرض هي آخر ما تطلب".. ولو ضاعت العقائد، وفسدت الأخلاق، واعوجت الأعمال وساءت الأحوال وعذبت الإنسانية بالأزمات الخانقة، وروعت بالفتن، والحروب المحزنة الجارفة، وهددت بأعظم حرب تأتي على الإنسانية من أصلها والمدنية من أساسها"[3].

والاقتباس -حسب رأي ابن باديس- لابد أن يكون بوعي وتفتح على بصيرة وبعد نظر، ويتحقق ذلك عن طريق :

- الاختلاط المبشر بالأمم الأخرى للوقوف على المظاهر الحقيقية للحضارة الغربية، في موطنها الأصلي حيث نشأت، والتفريق بين الجوهر والمظهر، لأن المستعمر عادة ما يجلب إلى البلاد المستعمرة بعض المظاهر الحضارية القليلة والتي تكون أبعد عن الحقيقة. وفي ذلك يقول: "فإذا أردنا أن نقتبس منهم كما اقتبسوا منا ونأخذ عنهم كما أخذوا عنا، فعلينا أن نخالطهم في ديارهم حيث مظاهر مدنيتهم الفخمة في مؤسساتهم العلمية والصناعية والتجارية.."[4].

- الأخذ منها والاستفادة من تجاربها حيث تكون الفائدة، في الجوانب المختلفة التي برعوا فيها، من تجارة، وسياسة، وصناعة ... وغير ذلك.

---

(1) - عبد الحميد بن باديس، التفسير، ص223.

(2) - المصدر نفسه، ص448.

(3) - المصدر نفسه، ص448.

(4) - وزارة الشؤون الدينية، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ط1 (قسنطينة، دار البعث : 1991)، ج5، ص429.

وكما حذر ابن باديس من التقليد الأعمى للمدنية الغربية، رفض أيضا الجمود وحارب أهله الذين سعوا لتنفير الناس من الجمعية باتهام أفرادها أنهم وهابيون تارة وعبداويون تارة أخرى، لما رأوا سعيها في تعليم الناس وحثهم على فهم القرآن وإعمال الفكر، والنظر في الفروع العقلية والعمل على ربطها بأدلتها الشرعية وترغيب طلبة العلم في مطالعة كتب الأقدمين والمعاصرين[1].

وكان يشجع أصحابه على الصبر ومواصلة العمل رغم ما يلاقونه من القوى المعادية للحركة الإصلاحية.

وفي الأخير يمكن القول بأن فكر ابن باديس يقوم على الجمع بين الأصالة لبناء صرح الإصلاح على أسس سليمة وتحافظ على الذات، وعلى المعاصرة في الاستفادة من العلوم والمنتجات الحديثة، من غير أن يفقد المسلم في احتكاكه مع أوروبا إدراكه لأصالته.

مس المضمون الإصلاحي الذي دعا إليه ابن باديس الجوانب العقدية والأخلاقية والفكرية. وهي المحاور التي رآها أساسية للتغيير.

وأما الأسلوب الذي رأى ابن باديس أن الأمة لا يمكنها أن تنهض إلا عن طريقه هو التربية، والمقصود بالتربية في هذا المقام هو معالجة الخلل الذي أصاب المجتمع ومظاهره بالتوعية والتعليم والوعظ والإرشاد.

فكان هذا هو الأسلوب الإصلاحي الأساسي الذي اعتمده في إنفاذ مضامينه إلى الواقع الفكري والاجتماعي على اختلاف تلك المضامين وتنوعها.

والتربية في أساسها عملية ثقافية وحضارية بعيدة التأثير في حياة الأمم ووسيلة لإعداد الأجيال الصالحة، ولعل أخطر أدوار التربية هو تكوين الشخصية القومية للشعب.

وقد كانت التربية هي المؤسسة الثقافية التي لجأ إليها ابن باديس لتخليص المجتمع من سلبياته والحفاظ على شخصيته الحضارية.

ورغم اهتمام ابن باديس العام بتربية وتوعية كامل الشعب إلا أنه ركز على بناء الشخصية التي تمثل عقل الأمة ومرجعيتها وقيادتها، وتكوينها تكوينا علميا لينطلق بهم فيما بعد لأداء نشاطه الدعوي، ولكي يكونوا له عضدا، بعد أن ساد الأمة الجهل والاغتراب، ولأن كل دعوة لابد لها من مريدين وحواريين يؤمنون بها ويدعون إليها وينصرونها.

وقد كان هذا الجيل الأول الذي كونه ابن باديس هو النواة الأساسية التي تكونت منها جمعية العلماء، حيث قال : "ما كانت جمعية العلماء، حتى كان العلماء القرآنيون الذين فقهوا الدين والدنيا بفقه القرآن، وعرفوا السنن الأقوم بمعرفة سنة محمد ﷺ ، فهدوا واهتدوا بما كان عليه السلف الصالح ورجال الإسلام العظام"[2].

---

[1] – عمار طالبي، المصدر السابق، ج3، ص27.

[2] – محمد الطاهر فضلاء، دعائم النهضة الوطنية الجزائرية، ط1 (قسنطينة، دار البعث : 1984)، ص53، نقلا عن الشهاب، ج8، م13، أكتوبر1937.

ولقد انطلق في تكوين النخبة تكوينا علميا من إيمانه العميق بالعلم ودوره الفعال في نهضة الأمم والشعوب. وهو يعتقد بأن الإسلام دين العلم والثقافة، وأن القرآن الكريم مليء بالآيات التي تمجد العلم وتحث على الثقافة ويوجه الجزائريين للتسلح بالعلم لاستعادة مجدهم الضائع وسيادتهم المسلوبة.

ومن هنا اكتسبت المدرسة أهمية بالغة، وكانت لها خطورتها في إحداث هذه النهضة وترشيدها وتوجيهها.

ولقد أدرك ابن باديس قيمة "المدرسة" في خدمة الأهداف العقدية والفكرية، وحاجة الشعب الجزائري بالذات في ذلك الوقت الذي يهدده فيه خطر الابتلاع والاحتواء من قبل السلطة الاستعمارية.

وكانت الجزائر محتاجة إلى التربية والتعليم لمقاومة هذا الاستعمار الشامل، وكان ابن باديس موفقا في اعتبار المدرسة الأداة الملائمة والفعالة للمقاومة، إلى جانب إقامة التنظيم الإسلامي المتمثل في جمعية العلماء لتحقيق تماسك الكفاح الجزائري وثباته أمام أعمال الاستعمار، فأصبح التعليم جزءا لا يتجزأ من برنامج شامل لحركة شعبية لا ينعزل فيها عن العمل بين الجماهير[1].

ويستمد ابن باديس هذا الاعتقاد بأن المدرسة هي الأقدر على صنع وإحداث التغيير المنشود في أمة أشرفت على الاندثار، من فكر صحيح وتجربة حية، وتحليل للواقع البشري الذي أثبت له أن حياة الأمة الإسلامية كما هي حياة الأمم الأخرى إنما تكون بحياة مدارسها وعلمائها، حيث قال : "لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم فإنما العلماء من الأمة بمثابة القلب إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله"[2].

ثم يربط صلاح العلماء بصلاح تعليمهم، فقال : "ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم. فالتعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته وما يستقبل من عمله لنفسه وغيره فإذا أردنا أن نصلح العلماء فلنصلح التعليم.."[3].

كما أثبت الواقع أن الأمية تلد الجهل والتخلف، وتعمد إلى خصائص الحياة فتقتلها، وقد رأى ابن باديس أن الأمية قد انتشرت في المجتمع الجزائري بشكل كبير كنتيجة لسياسة الاستعمار الذي كان يهدف إلى تجهيل الشعب، كما رأى أن الحياة العقلية والعلمية في الجزائر قد انحطت إلى أدنى المستويات، والمتتبع لتفسيره ودروسه يستخلص من السمات ما يدل على تردي أوضاع المسلمين بوجه عام، وتنكشف به الكثير من أسباب الجمود.

---

(1) – محمد فتحي عثمان، عبد الحميد بن باديس رائد الحركة الإسلامية في الجزائر المعاصرة، ط1 (الكويت، دار القلم : 1987)، ص 82-83.

(2) – عمار طالبي، المصدر السابق، ج 3، ص 217.

(3) – المصدر نفسه، ج 3، ص 217.

والتربية التي تكفل لابن باديس تحقيق أهدافه هي التي تستند إلى التعليم العربي الذي يعيد للمجتمع الجزائري اتصاله بماضيه العربي، ويوثق ارتباطه بأمته.

والتربية عند ابن باديس تقوم على تنمية روح القومية العربية والاعتزاز بها لدى الجزائريين على نهج القرآن الكريم الذي رأى أنه أولى عناية خاصة بالعرب وبإصلاح مجتمعهم، وإثارة معاني العزة والشرف في نفوسهم لأنهم أصحاب رسالة مكلفون بتبليغها للناس كافة، ولهذا يجب أن يأخذوا حظهم من التربية كاملا، مذكرا بالحكمة الإلهية التي اقتضت أن يترل القرآن باللسان العربي، فـ "العرب قوم يعتزون بقوميتهم وهم قوم ذوو عزة وإباء خصوصا في الجاهلية.."[1].

ويهدف ابن باديس من خلال تربية المجتمع على معاني العروبة وإحيائها إلى كون "..الطبيعة العربية الخالصة .. لا تخضع للأجنبي في شيء لا في لغتها ولا في شيء من مقوماتها .."[2].

فيحفظ بذلك كيان المجتمع من عوامل الإندثار، ويقويه لرد اعتداءات الأجنبي التي تستهدف لغته ومقوماته.

ولهذا اعتنى باللغة العربية وبتعليمها لأنها لغة الدين الذي هو أساس حياة المسلمين وسعادتهم، ولأنها تعاني الإهمال من أبنائها، والمطاردة بغلق مدارسها من طرف السلطات الاستعمارية[3].

كان لابن باديس اهتمام تربوي على مستوى التنظير والتعقيد، إذ أنه وجه عنايته بوضع مناهج دراسية هادفة التي يراها كفيلة بتحقيق النهضة الروحية والفكرية، وانتقد مناهج التدريس في المدارس الفرنسية بالجزائر، القائمة على إلغاء الهوية العربية الإسلامية، والتي أرادت أن تكون البديل عن المدارس العربية وكتاتيب تحفيظ القرآن، كما انتقد مدارس التعليم العربي بسبب جمودها وعجزها وتحولها من مقصد تحقيق الأهداف إلى استتراف الجهود في علوم الوسائل[4].

ولم يفت ابن باديس الاهتمام بعمق مأساة المؤسسات العلمية في العالم الإسلامي، التي رأى أنها لم تعد تفتح ذهنا أو تصقل عقلا أو تربي ملكات أو تساعد على الفهم، ولمس ذلك الخلل أثناء دراسته بجامع الزيتونة، فانتقد طرق التدريس به، وبين أنها ليست وسيلة تؤدي إلى تحقيق الغرض من التربية، بل تكون ثقافة لفظية، وليس فيها ما يحمس ويدفع للعلم.

والمنهج التربوي عند ابن باديس يقوم أيضا على مراعاة وضعية المجتمع في علاقته بتراثه وقيمه ومشكلاته وأهدافه، هذا ما صرح به الإبراهيمي في حديثه عن الأساس التعليمي الذي اتفق عليه هو وابن باديس حين قال : "كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس في اجتماعنا بالمدينة تربية النشء هي ألا نتوسع له في العلم، وإنما تربيته على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل،

---

(1) – عمار طالبي، المصدر السابق، ج4، ص60.

(2) – المصدر نفسه، ج 4، ص 60.

(3) – المصدر نفسه، ج3، ص257.

(4) – المصدر نفسه، ج4، ص332.

فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعددناه من تلامذتنا"[1] . وكان الواقع هو الذي فرض عليهما هذا المنهج، والنجاح كان في الابتعاد عن أسلوب التحفيظ الجاف.

وعلى الصعيد العملي فإن ابن باديس مارس التربية والتعليم فترة طويلة من الزمن كان خلالها يبث العلم في الناس، وأثمرت جهوده بعد ظهور جمعية العلماء وأخذ التعليم العربي في الجزائر طابعا رسميا وتطورت أساليبه ومناهجه مرتبطا بحركة الإصلاح الإسلامي.

وقد أثبت التاريخ أن جهود ابن باديس في التعليم، وعنايته ورعايته له هي التي أشعرت الجزائريين بهويتهم وخصائص أمتهم، ووضعتهم على خط المواجهة التاريخية المسلحة مع الاستعمار الفرنسي[2] .

وفي هذا المجال قام بتأسيس مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة في مطلع الثلاثينات، كتب قانونها الأساسي وتولى رئاستها، كما كان يقوم بالتعليم فيها والإشراف عليها مع من اختاره من كبار تلامذته من خريجي المعاهد العربية. ولكي يفتح المجال أمام الجزائريين ويحمسهم لتأسيس مدارس على غرارها، وضع في قانونها الأساسي فصلا يخول لهم فيه تكوين فروع لها في كامل أنحاء الوطن ولاسيما في عمالة قسنطينة وعين لمختلف هذه المدارس عددا من طلبته وتلامذته[3] .

وأما دروس وخطب ابن باديس على اختلاف موضوعاتها، فإن المتأمل فيها يلحظ أنها تقوم على أسلوب الحوار، الذي يحرك العقول ويحثها للتفكير في المسائل المطروحة، وهو أسلوب يشير إلى حس تربوي عميق، يهدف من ورائه إلى تربية العقول والنفوس وصقلها بالحوار القائم على الشرح والتحليل المستند إلى الدليل الشرعي والواقعي وليس بحشوها بالعلوم المجردة.

وإذا كان ابن باديس يتجه بأسلوبه التربوي إلى فئة النخبة من طلبة العلم، فإن هذا لا يعني تقصيره في حق العامة، فقد كان لهم هم أيضا حظا وفيرا من جهده التربوي وكانت دروسه في المسجد وسعيه لإحياء التعليم به دليلا على ذلك الاهتمام، حيث اتخذ من المسجد مركزا للتربية العلمية الروحية، يربي فيه الناس على فضائل الأخلاق، ومعرفة حقوقهم وواجباتهم في المجتمع المسلم.

ويبرر الشيخ ابن باديس الدور الإيجابي الذي تؤديه المساجد في تعليم وتثقيف العامة، بقوله : ".. العامة التي ترتاد تلك المساجد تكون من العلم على حظ وافر، وتتكون منها طبقة مثقفة الفكر، صحيحة العقيدة، بصيرة بالدين .. أما إذا خلت المساجد من الدروس كما هو حالنا اليوم -في

---

(1) – محمد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، ص20 .

(2) – محمد زرمان، " من معالم التغيير الحضاري عند ابن باديس" ، مجلة الموافقات، المعهد العالي لأصول الدين، الجزائر، س 6، ع6، (1997 – 1998)، ص 453.

(3) – محمد الطاهر فضلاء، المرجع السابق، ص53.

الغالب- فإن العامة تعمى عن العلم والدين، وتنقطع علاقتها به، وتبرد حرارة شوقها إليه، وتمسي والدين فيها غريب"[1].

وترجع أسباب انحراف المسلمين في عقائدهم وسلوكهم، وجمود في فكرهم إلى انعدام التعليم الديني في المساجد، ولن تكون لهم من السعادة الإسلامية شيء إلا إذا أقاموا التعليم الديني في مساجدهم كما يقيمون الصلاة جريا على سنة النبي ﷺ[2].

وفي التربية الاجتماعية كان ابن باديس يسعى لإشاعة التآخي، والتعاون بين المسلمين، ودعم الأواصر والروابط بين أفراد المجتمع من أجل تنشئة نواة اجتماعية تكون بداية للمجتمع الصالح.

وأما الشخصية الإصلاحية الثانية التي كان لها تأثير عميق على مسار جمعية العلماء،فهي شخصية محمد البشير الإبراهيمي الذي انتخب غيابيا ليخلف ابن باديس بعد وفاته لأن أعضاء الجمعية رأوا أنه المؤهل لرئاسة الجمعية نظرا لمكانته العلمية وجهوده في خدمة أهدافها ووفائه لمبادئها.

و قد احتفظت جمعية العلماء في هذه الفترة بروحها التي أسست عليها، وحافظت على أهم أهدافها، وظل الإنسان في مشروعها النهضوي هو محور الإصلاح وعنصره الأساسي، والتربية هي الوسيلة لتحقيق ذلك.

والتجديد في مفهوم الإبراهيمي هو عودة إلى الإسلام لفهمه فهما سليما، وتطبيقه تطبيقا صحيحا، وإحياء لما اندثر، وهو أيضا انفتاح على الواقع المعاصر وصلة بالحاضر. يقول: "اليقظة استئناف حياة، والحياة المستأنفة ليس وجودا من عدم، وإنما هي تجديد لما انهدم، فلها تكاليف ثقيلة، ولها صُعَدَاءُ مطالبها طويلة"[3].

وهذه النهضة الإسلامية تقوم على أعمدة أربعة هي : الدين والعلم والأخلاق والمال[4].

وإن رسالة الإبراهيمي ورسالة جمعية العلماء تتلخص في كلمات ثلاث : الإسلام والعروبة والجزائر. حيث ظهر تركيزه في كتاباته على هذه العناصر الثلاث شرحا وبيانا وتأكيدا على أهميتها.

وإن تأثير الإبراهيمي في المشروع النهضوي لجمعية العلماء لم يبدأ مع توليه رئاستها، وإنما بدأ قبل ذلك، عندما وضع قانونها الأساسي بعد اتفاقه مع ابن باديس[5].

---

(1) – عمار طالبي، المصدر السابق، ج3، ص172.

(2) – سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، ص 105.

(3) – الإبراهيمي، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي. ج 3 ، ص260.

(4) – المصدر نفسه، ج 1 ، ص 51.

(5) – المصدر نفسه، ج 1، المقدمة بقلم أحمد طالب الإبراهيمي .

وسبب تأخر المسلمين -حسب الإبراهيمي- يعود إلى نقطة جوهرية، هو ابتعاد المسلمين عن كتابهم، حيث قال : "فلو أنهم اتبعوا القرآن وأقاموا القرآن لما سخر منهم الزمان وأنزلهم منزلة الضعة والهوان"[1] ، والدين هو سبيل الإصلاح والتجديد للإنسان المسلم والإنسان المعاصر وحضارته المعاصرة.

كما كان الإبراهيمي في مقالاته الكثيرة يحذر من المشروع التغريبي، والتبشير والاستشراق والإلحاد والطرقية والبدع والخرافات والأمية التي تمهد كلها لغزو المشروع التغريبي، وتقف في نفس الوقت عائقا دون تحقيق المشروع الإسلامي.

واستمرت جمعية العلماء برئاسته تدعو إلى تطهير الدين الإسلامي وتطالب باحترام اللغة العربية والتعليم وتنادي بفصل الدين الإسلامي عن الدولة الفرنسية.

وأهم ما ميز رئاسة الإبراهيمي لجمعية العلماء هو أنه ربطها بالمشرق العربي وحركاته، لأنه كان عارفا به بحكم إقامته هناك قبل أن يجيء إلى الجزائر، وبالتالي خرج بدعوة الجمعية من النطاق المحلي إلى الصعيد العربي الإسلامي، حيث أشرف على إرسال بعثات طلابية كثيرة لمختلف الدول العربية وزار العديد من الأقطار العربية وغير العربية، عرف خلالها بجمعية العلماء، وشرح أهدافها وأعمالها.

كما أعاد إصدار جريدة البصائر في سلسلتها الثانية، وأسس معهد ابن باديس بقسنطينة.

وفي هذه الفترة نشطت حركة التعليم، وتأسست عدة مدارس ومساجد حرّة كان يمولها الشعب وتقودها جمعية العلماء.

إذن فكل من ابن باديس والإبراهيمي، اهتم بحال الإسلام والمسلمين في فترة مبكرة وخططا للنهوض بالجزائر. وقد هيأت لهما الأقدار في وقت مبكر من تاريخ الجزائر الحديث فرصة الاجتماع بالمدينة المنورة عام 1913، حيث تسنى لهما دراسة حالة المجتمع، والتفكير في مستقبله وضرورة إخراجه مما هو فيه.

واتفقا على أنه يعيش تحت وطأة استعمارين خطيرين هما سبب معاناته، أحدهما مادي وهو الاستعمار الفرنسي، والآخر "روحاني يمثله مشايخ الطرق المؤثرون في الشعب والمتغلغلون في جميع أوساطه، المتاجرون باسم الدين، المتعاونون مع الاستعمار عن رضى وطواعية... ومظهرهما معا تجهيل الأمة لئلا تفيق بالعلم فتسعى في الانفلات، وتفقيرها لئلا تستعين بالمال على الثورة"[2] .

وبعد هذه الدراسة أدركا الحاجة الماسة إلى العملية الإصلاحية، فإنه كلما انعدم الوعي الحضاري في الأمة، وقعدت عن أداء رسالتها، وفقدت صوتها وتفاعلها مع حقائق الوحي، أصابها الضعف والوهن واعتراها الفساد، وأصبحت العملية الإصلاحية التربوية ضرورية حتى تعود الأمة إلى حقيقتها ومنهجها ورسالتها التي أنيطت بها، والتي لا صلاح لها إلا بها.

---

[1] - الإبراهيمي، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ج 1، ص 152 .

[2] - الإبراهيمي، في قلب المعركة، ص220.

فدعا العلماء الحاجة إلى ضرورة الإصلاح الإسلامي، الذي يهدف إلى العودة إلى الإسلام في بساطة عقائده وسهولة تعاليمه إلى ما كان عليه الحال في الصدر الأول، والوقوف في أمور الدين عند حدوده ونصوصه، والسعي إلى فهمه وتعلمه والعمل به. وأخيرا العناية ما أمكن بأمور الدنيا ومقومات عمرانها.

وأشاروا إلى أن بواعث هذا الإصلاح ترجع إلى حالة المسلمين التي أصبحوا عليها، حيث فقدوا صلاتهم بدينهم، فبدوا وكأنهم غير مسلمين. ويرى المطلع على أحوالهم كيف صارت التقاليد والأوهام شائعة بينهم على اختلاف أجناسهم وتباعد ديارهم[1] ،وإلى أن القوتين المادية والمعنوية بعد الغزو الاستعماري قد أصبحتا بيد الأوربيين، فهم المالكون الجدد للبلاد والمتصرفون في شؤونها الاجتماعية العامة، وأخيرا ثمة باعث قوي على ضرورة الإصلاح ويتمثل في المشكلة التي يثيرها وجود طائفة من الشبان ممن تعلم في المدارس الفرنسية اللائكية، وتبنّى الثقافة الأوربية.وكيف أن هذه الطائفة وجدت نفسها أمام موروث ثقافي غلفته الخرافات والأوهام، ثم لم تجد من العلماء من يزيل شكوكها، فرأت جمعية العلماء أن هذه الطائفة من الشباب هي أمل الأمة، وأنها جديرة بكل عناية[2].

فأخذ المصلحون عن طريق الخطب والكتابات والمدارس التي شيدوها والصحف التي أنشأوها، يدعون جمهور الأمة وأفرادها إلى الإصلاح الذي يستند وينطلق من الدين ولكن بمفهوم واسع وشامل للدين لتحقيق النهضة.وهو غير المفهوم الذي التصق بأذهان الكثيرين حينما اعتبروا الدين عقائد وعبادات فقط، وبالتالي فإن الإصلاح الذي يقوم به العلماء شبيه بالإصلاح الديني المسيحي، وقد رد الإبراهيمي على ذلك، وبين أن الإصلاح له وجه آخر جعل منه إصلاحا عاما يتجاوز الأفراد إلى الهيئة العامة. وهذا المفهوم مستمد من حقيقة الإسلام، فهو دين واجتماع.

والجمعية تعمل من يومها الأول للإصلاح الديني والإصلاح الاجتماعي، لأنها "تعلم أن المسلم لا يكون مسلما حقيقيا مستقيما في دينه على الطريقة حتى تستقيم اجتماعيته فيحسن إدراكه للأشياء وفهمه لمعنى الحياة وتقديره لوظيفته فيها..."[3].

وإذا ركزت على إصلاح العقائد فلأنها تعتبرها الخطوة الأولى للإصلاح العام.

والمصلحون يجمعون على أن أهم نواحي الإصلاح وأنجعها في بناء مشروعهم هو العقيدة، هذه الدعامة الأولى التي ينبغي أن توجه نحوها الجهود لتدارك ما آلت إليه أوضاع الأمة من انحراف في قواها الإيمانية، وإبراز فعالية الزاد الروحي في عملية البناء الحضاري.

---

(1) – الإبراهيمي، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي. ج 1 ، ص 210.

(2) – سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، ص 70 .

(3) – الإبراهيمي، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي. ج 1 ، ص 283.

وهذه النهضة يفرضها واجب الخروج من مجمل أوضاع الخذلان والرجوع إلى الفضائل الصالحة التي تمتد جذورها في أعماق رسالة "الدين نفسه" أو كما عبر عن ذلك الإبراهيمي أن يكون المسلم مسلما كما يريده القرآن[1].

والدين أقوى عامل في خلق الانبعاث والنهوض في الأمة، وهي بحاجة إلى أن تكتشف ذاتها من جديد من خلال نظرة صحيحة له.ولهذا حاول الاستعمار فرض رقابته وسيطرته على الحياة الدينية، بتعيين رجال الدين كالمفتي والإمام طبقا لهواه ومشيئته.وبذلك يجمع في يده أنفذوسائل الإفساد[2] .

وإذا أراد المصلحون تغيير الواقع الاجتماعي، عليهم أن يبدأوا بتحرير ضمير الفرد من كل سيطرة، ويستعيدوا به وعيه الاجتماعي.

ولهذا كان إصلاح ضمير الفرد وبناء عقله وتصحيح عقيدته، وأخلاقه هو الطريق المستقيم الذي اختاره العلماء لبناء المجتمع وإصلاحه، انطلاقا من مفهوم التغيير الذي احتواه قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[3] .

كما أن الإسلام هو العامل الأساسي للمقاومة وإثبات الشخصية الجزائرية أمام المد الاستعماري ومحاولات التغريب والإدماج، وهو أيضا أداة الربط القوية بين كل المسلمين.

وإن الإصلاح عند جمعية العلماء قد توزع على محورين أساسيين هما :

المحور الأول : هدم كل ما علق بالفكر الإسلامي من رواسب الجهل وإزالة كل ما دخل عليه من فكر وافد وثقافة دخيلة، على أساس القاعدة التي تقول أن الهدم يسبق البناء.

المحور الثاني : إعادة بناء المسلم على قواعد الدين والعلم الصحيح.

والمحور الأول يتوزع إلى بعدين :

1- هدم المعتقدات الباطلة النابعة من داخل المجتمع، والمصلحون يدركون أن انتكاسة الأمة في حاضرها إنما جاءتها من قبل نفسها، فهي هزيمة روحية فكرية قبل أن تكون شيئا آخر.

إذ مس المجتمع الإسلامي ككل تخلف حضاري عام، كان من نتيجته ضعف الروح الدينية وجمود الحياة الفكرية وطغيان الجهل وسيطرة التقليد وانتشار الفساد، والاستسلام للخرافات والأوهام، وأشد العوامل خطرا على المجتمع ظاهرة الفساد العقائدي، الذي كان منشؤه من الطرقية التي انحرفت عن مسارها الصحيح وتخلت عن وظيفتها الأساسية في تعليم وتوعية المجتمع.

وأصبحت في نظرهم خطرا على المجتمع، لأنها تقوم على إفساد عقيدة المسلمين بنشر البدع والخرافات، وإضعاف الوازع الديني لدينهم بالحيلولة بينهم وبين مصدر الوحي الأول، ومصدر العقيدة والشريعة، ومصدر العلم والعمل، وهو القرآن[4].

---

(1) - الإبراهيمي، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ج 1، ص 283.

(2) - مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه، (دمشق، دار الفكر: 1986)، ص 116 .

(3) - الرعد: 11 .

(4) - سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، ص 32 .

كما كانت سببا في فساد الأخلاق حيث رضي الطرقيون بأن يكونوا عضدا للاستعمار وكرسوا أوقاتهم لمطاردة العفاف والتقوى، وتوطين المجون والهوى، وتزيينه للأمة، وأوهموا العامة أن ارتكاب المعاصي يغفر بمجرد انتسابهم للطريقة. وكانت العلاقة التي تربطهم بأفراد المجتمع قائمة على الاستغلال والسيطرة، وكان الجهل عونهم في ذلك.

ومن الناحية الاجتماعية فقد فرقت الطرقية بين أبناء الوطن الواحد، وذلك بتضييق معنى الأخوة وحصرها في أتباع الطريقة الذين يصل بينهم حبل الشيخ وهي أخوة تفرض عليهم بغض من سواهم[1].

وهذه الأسباب كانت كافية كي يوجه رجال الجمعية جهدهم الأكبر في محاربتها واعتبار مقاومة الطرقية هي مقاومة كل شر ودفع لكل باطل، وأنه لا يمكن للإصلاح أن ينجح في أي فرع من فروع الحياة، والطرقية موجودة ومنتشرة في البلاد تفرض سلطانها على العقول والقلوب والأبدان.

2- هدم الأفكار والمعتقدات الباطلة التي كان منشؤها من خارج المجتمع، والتي دخلت إليه عن طريق الاستعمار الذي أراد إحكام سيطرته على المجتمع بالاستغلال المادي وكل أنواع الغزو الثقافي والروحي، وفصل المسلم عن الإسلام، عن طريق محاولاته ذات الطابع اللاديني أو الديني الهادف إلى التمسيح.

وبسبب ذلك رأت جمعية العلماء نفسها في مواجهة عدوين، اعتبرتهما خطرا على مستقبل الأمة وعلى دينها، وهما الإلحاد الذي بدأ ينتشر بين الشباب، وحركة التبشير بكل مقاصدها.

فأما الإلحاد فترجع أسباب انتشاره كما حددها الإبراهيمي إلى :

1. التعليم الفرنسي اللائكي (اللاديني) حيث كان الاستعمار يغري المسلمين بدخول مدارسه، ليتمكن من إغراء الناشئة بتقليد الأروبيين وتقديم نموذج ثقافي مزدر للدين ومصطبغ بصبغة الإلحاد[2].
2. إهمال الآباء تعليم أبنائهم أمور دينهم وعدم إحاطتهم بالرعاية الدينية اللازمة التي تحميهم من عوامل الانحراف والفساد.
3. ضعف العلماء الجامدين وإهمالهم الاعتناء بهذه الفئة من الشباب ممن تأثروا بموجة الإلحاد.
4. فشو الخرافات وأضاليل الطرق بين الأمة، وهذه كان لها أثر كبير في فشو الإلحاد بين المتعلمين في المدارس الفرنسية الجاهلين بدينهم، وقد رأى العلماء في القضاء على الطرقية قضاء على الإلحاد في بعض معانيه وحسم لبعض أسبابه.

فقد شوهت الطرقية صورة الإسلام بنشر الخرافات والأباطيل، التي لا يستسيغها العقل، ولذلك عند اصطدام المتعلمين والمثقفين بها وبخاصة المتعلمين في المدارس الفرنسية تترك في نفوسهم انطباعات سلبية، تدفعهم لإنكارها ومهاجمتها، كانت ردة الفعل هذه إيجابية لو أن المتعلمين في

---

(1) - سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، ص 33 .

(2) - المصدر نفسه، ص 69 .

المدارس الفرنسية كانوا مزودين بثقافة إسلامية أصيلة، أو تحصلوا على تربية دينية صحيحة، لكن الأمر على العكس من ذلك،فهم يجهلون أبسط أمور دينهم، بل وأكثر من ذلك فهم منذ صغرهم يعتبرونها هي الدين، ذلك أن رجال الطرق وفي ظروف الجهل والانحطاط أصبحوا يمثلون لدى السواد الأعظم من الأمة الشرعية الدينية.

ولهذا فإن هذه الفئة المثقفة ثقافة أجنبية لم يتوقف رد فعلها إزاء مظاهر التخريف والشعوذة التي يروج لها رجال الطرق على إنكارها وإنما إلى إنكار الدين معها جهلا بحقيقة الإسلام واعتبار تلك المظاهر المقيتة الخارجة عن أصوله وماهيته من الدين.

ولهذا السبب اعتبر العلماء الطرقية وأعمالها من أهم عوامل تنفير الشباب من دينهم وارتمائهم في أحضان الإلحاد، يجب محاربتها والقضاء عليها لتبقى مظاهر الإسلام الصحيح التي يشيعونها بين الناس ويدعون لاعتناقها هي العنوان الوحيد على صفاء الدين من التحريف والتخريف، فتكون عامل جذب وترغيب لهم في معرفته والالتزام به.

وكان الاستعمار حريصا عن طريق مدارسه للفت أنظارهم إلى الطرقيين وجمودهم واتهام الإسلام من خلالهم، فخلق للإسلام والعربية عدوا جديدا من أبناء الجزائر.

والطريق الذي اختاره العلماء لمحاربة الإلحاد وحماية الشباب كان بالاتصال المباشر بالشباب ومخالطتهم، وتلقينهم دروسا في اللغة العربية والدين الإسلامي والحضارة الإسلامية، والعمل على إزالة الشبه التي تُحَيِّرُهم، ومحاولة معرفة أسباب هذا المرض.

والنظر إلى الملحدين على أنهم مرضى يحتاجون للعلاج، وهو دور العالم المصلح، حيث قال الإبراهيمي : "...إن العالم المرشد كالطبيب لا ينجح في إنقاذ المريض من الموت إلا بغشيان مواقع الموت ومباشرة جراثيم الموت"[1].

وأمل العلماء في رجوعهم كبير، غير أنه لن يتحقق إلا إذا آزرهم جهود الآباء، بالقيام بواجبهم التربوي الصحيح، وهو الدواء الذي يجتث هذه العلة من أصلها.

وأما حركة التبشير فإن العلماء لم يفتهم أن يشيروا إلى الخلفية الدينية للاستعمار، وإلى البعد التنصيري الذي كانت تنطوي عليه الحركة الاستعمارية فيما كانت تتضمنه من أبعاد.

وأن الكنيسة في الجزائر كانت رفيقة جيش الاحتلال، وأداة الاستعمار أمدها هو بالحماية وأمدته هي بالمعونة.

وقد حاولت حركة التبشير تشكيك المسلمين في دينهم وتنصير أبنائهم، والوقوف في وجه الحركة الإصلاحية التي تعيق نشاطها وتضعف تأثيرها، وفي مقدمتها جمعية العلماء.

كما لم يفت العلماء الإشارة إلى الفشل الذريع الذي منيت به المحاولة رغم دعم الإدارة الاستعمارية بسائر مؤسساتها، ويرجع ذلك إلى شيء واحد وهو تصلب الجزائري في دينه، رغم الأمية والفقر.

---

[1] - سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، ص 71 .

وبرنامج جمعية العلماء في مواجهة التبشير يهدف إلى توفير الوسائل الممكنة لتنظيم مقاومة منتجة، وفي مقدمتها المال، وإذا اشتكت الجمعية من ضعف إمكانياتها، فإن ذلك لم يقعدها عن التحذير من خطرها، وتحريك همم المسلمين لمواجهتها، وبذل المال في سبيل ذلك، لأن المعركة مع التنصير ليست مهمة الجمعية وحدها بل هي واجب كل أفراد المجتمع.

وأما المحور الثاني الذي هو إعادة بناء المسلم فيتوزع إلى بعدين :

أ – إصلاح الفرد :

اهتمت جمعية العلماء بتكوين وبناء الفرد وإصلاح عقله وعقيدته وأخلاقه، على أساس أن الفرد هو الطريق المستقيم لإصلاح المجتمع، والمسلك العملي الصحيح لبناء المجتمع الراقي، والحجر الأساس في إصلاح أحوال المجتمع وتطويره.

وإن تغيير الفرد يبدأ من تغييره الداخلي، تغيير قناعاته الفكرية، وطريقته في ممارسة عواطفه ومشاعره وبالنهاية تغيير مساره في الحياة. لكن لا على أساس أن هناك انفصالا بين تغيير الفرد وبين تغيير المجتمع[1]، لأننا عندما نريد تغيير المجتمع فإننا نهدف إلى أن تكون الذات الجماعية منسجمة مع الذات الفردية.

والمجتمع البشري أو الأمة هو مجموعة من الأفراد، فلا جرم إذا بدأ إصلاح المجتمع من إصلاح الأفراد فإذا صلح الأفراد ساد المجتمع الصلاح، "ومتى قعد الأفراد عن تعاطي أسباب الكمال فشت النقائص في المجموع"[2] .

وهذه نقطة جوهرية اتفق عليها غالبية المصلحين في العالم الإسلامي.

ومن جهة أخرى فإن عناية جمعية العلماء بالفرد تعد الطريقة الناجحة لتكوين جيل جديد مزود بتربية عربية إسلامية أساسها القرآن، والقاعدة التي يتخرج منها القادة والمفكرون الذي يقومون بعملية التغيير الثقافي والحضاري في المجتمع.

وفي نفس الإطار –تكوين الفرد– كانت الجمعية تهدف إلى دعم دور العلماء في قيادة الأمة، حيث أشار الإبراهيمي إلى خطر خروج قيادة الأمة من يد العلماء، فقال : "إن خروج قيادة الأمة الإسلامية من أيدي العلماء هو أكبر الأسباب فيما وصلت إليه من انحطاط"[3] .

ولهذا كان استيقاظ الضمير المسلم الجزء الأساسي من الخطة الإصلاحية التي وضعتها جمعية العلماء، تكشفه عنايتها الكبيرة بقضية التربية والتعليم، واجتهادها المتواصل لتزويد الأفراد بالحقائق التي ترتقي بأفكارهم ووجدانهم، في سبيل تهيئتهم للتعامل الإيجابي مع معطيات الواقع وميادين الحياة المختلفة.

---

(1) – حسين فضل الله، "دور الثقافة في عملية التغيير"، مجلة الثقافة الإسلامية، إصدار المستشارية الثقافية الإسلامية الإيرانية بدمشق، ع 10(1986 م)، ص 134 .

(2) – الإبراهيمي، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي. ج 1 ، ص 139.

(3) – المصدر نفسه، ج 1، ص 76 .

ب – إصلاح المجتمع :

إضافة إلى إصلاح الأفراد، المجتمع بحاجة إلى إصلاح نواحي الهيئة في أحوال علاقات الأفراد بعضهم ببعض، لأنه من طبيعة التجمع أن تظهر عوارض جديدة واختلالات لم تكن ظاهرة في حال انفراد الأفراد[1] . وقد يظهر أن حالة الفرد وصورته غير منسجمة أو متطابقة مع حال المجموع.

من هذا المنطلق كان اتجاه جمعية العلماء إلى تغيير المجتمع الجزائري، وأنه لا يمكن الاعتماد عليه في استرداد حقوقه كاملة، وقد بلغ أدنى درجات الانحطاط، ووصل إلى أدنى مستويات الضعف وعدم الثقة بالنفس، إذ لا يكفي أن توجد جماعة واعية، إذا كان الشعب كله غير واع.

لهذا وجهت جمعية العلماء جهودها الإصلاحية والتربوية إلى كامل فئات المجتمع، وسعت إلى تهيئة كل فئة بما يناسبها من الأساليب، وما ينتظر منها أن تنجزه من أعمال وتحققه من أهداف.

فإضافة إلى المدارس التي كانت مجالا لتعليم الصغار، كانت المساجد وميادين الوعظ والإرشاد موجهة لتعليم وتوعية الكبار، أما النوادي فقد كانت للشباب. تأكيدا على حق جميع الجزائريين كبارا وصغارا، ذكورا وإناثا في التعليم وفي معرفة لغتهم ودينهم وتاريخهم. وهو حق يرتبط بحقهم في الحياة الكريمة الفاضلة.

وإذا كانت جمعية العلماء ترى أنها مسؤولة عن توجيه المجتمع وإصلاحه، فهي أيضا تدرك حاجتها لهذا المجتمع ومساندته ومؤازرته وتأييده في كل ما تقوم به من أعمال وما تسعى إليه من غايات. ولهذا كان الإبراهيمي يؤكد دائما أن جمعية العلماء هي جمعية الأمة كلها وليست جمعية فئة أو نخبة.

فكان حظ الأمة من التوجيه إلى الصالحات والتربية العقلية والروحية المثمرة كبيرا، في سبيل تحرير العقول من الأوهام والضلالات في الدين والدنيا. وإن تحرير العقول أساس تحرير الأبدان من كل أشكال العبودية، وبهذا التحرير كانت تسعى لأن توجد رأيا عاما جزائريا، قادرا على التمييز بين "الصالح من الرجال والصحيح من المبادئ وبين الطالح والزائف"[2].

ورأي عام جزائري يعني جمع أفراد المجتمع بعد أن مزقت شملهم العصبيات والأهواء على طريقة وغاية واحدة.

خامسا:وسائل الإصلاح عند جمعية العلماء

رغم أن جمعية العلماء استعملت أكثر من وسيلة في نشاطها، إلا أن المظهر الرئيسي الذي ميز حركة النهضة التي قادتها،هو تأسيس المدارس العربية الحرة التي لم تكن تحت سيطرة الفرنسيين.

---

[1] – حسين فضل الله، المرجع السابق، ص 135 .

[2] – الإبراهيمي، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي. ج 3 ، ص 56.

ولهذا نجد أغلب الباحثين والكتاب يؤكدون على ذلك، ويذهب بعضهم[1] إلى القول بأن العلماء كغيرهم من أعلام النهضة سلكوا في حركتهم منهجا أحاديا قام على علة التربية والتعليم المدعومين بالأخلاق.

وإذا جاز التسليم بهذا فإن له ما يبرره عند العلماء، فالتربية كانت سبيلهم لنشر الثقافة العربية والإسلامية لتكوين الجيل، وأي سبيل أفضل في فترة سادت فيها الحضارة الغربية، وأصبحت البلاد مهددة بضياع شخصيتها وتاريخها ولغتها[2]. وبالتالي فإن هذا الاختيار كانت تحكمه مبررات منهجية وأخرى واقعية.

فجمعية العلماء كانت ترى أن التربية الصالحة التي قوامها العروبة والإسلام هي وسيلتها لتكوين الشخصية المتكاملة المتوازنة العابدة بالمفهوم الشامل للعبادة، ووسيلتها لتكوين الشخصية المتحررة التي تدافع عن قيمها الحضارية ضد الغزو الاستعماري.[3] ثم هي ملزمة بالاعتماد على الوسائل الممكنة والمسموح استعمالها في تلك الفترة.

وقد نصت عليها المادتان الخامسة والسادسة من قانونها الأساسي[*] وتتمثل هذه الوسائل أساسا في تأسيس المدارس الحرة وبناء المساجد وإنشاء النوادي والصحافة، إضافة إلى الوسائل التي تفرض وجودها المناسبات والظروف كعقد المؤتمرات والاحتجاجات وإرسال الوفود والمشاركة في التجمعات. [4]

1 - تأسيس المدارس الحرة

لم تكن المؤسسات التعليمية والمراكز الثقافية في الجزائر بعيدة عن تأثيرات واقع التخلف الحضاري، الذي مسها ومس كل العالم الإسلامي، فكانت بحق انعكاسا لذلك، وتعبيرا صادقا عن الحالة التي وصلت إليها المجتمعات الإسلامية وحياتها الثقافية من ركود وجمود.

وقد كشفت المواجهة مع الحضارة الغازية عن ضعفها وعدم قدرتها على الصمود أمام الأفكار والتقاليد الجديدة والمنجزات الحديثة، فبدأت قطاعاتها تنهار تدريجيا.

---

[1] - فهمي جدعان، المرجع السابق، ص 465.

[2] - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3 ، ص 98 - 99 .

[3] - الإبراهيمي، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، ج 1، ص 138 .

[*] - نص المادة الخامسة: " تتذرع الجمعية للوصول إلى غايتها بكل ما تراه صالحا نافعا لها، غير مخالف للقوانين المعمول بها، ومنها أن تقوم بجولات في القطر في الأوقات المناسبة."

- نص المادة السادسة: " للجمعية أن تؤسس شعبها في القطر، وأن تفتح نوادي ومكاتب حرة للتعليم الابتدائي."

[4] - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3، ص 90 - 91 .

وتضررت الثقافة وحركة التعليم أكثر، من السياسة الاستعمارية التي استولت على المساجد وأوقافها وقضت على أغلب المؤسسات التعليمية، وخربت الزوايا وبعثرت المخطوطات[1].فلم يعد العلماء قادرين على ممارسة وظيفتهم الدينية والعلمية كما كانوا في الماضي[2].

وأما من حيث المضمون التربوي فإن المخطط الاستعماري قد ركز هجماته على مقومات الشخصية الوطنية، وذلك بحرمان أغلبية الجزائريين من حقهم في التعليم، وفتح المدارس الرسمية التي لم يكن يهدف من ورائها إلى تثقيف الفرد بقدر ما كان يريد تغيير نظرة أبناء المجتمع إليه، وإدخال عناصر ثقافية جديدة إلى الحياة الإسلامية.وإغلاق الهياكل التعليمية الوطنية أو تحويلها عن أهدافها أو تخريبها في محاولة للقضاء على النموذج التربوي المحلي الذي كان موجودا آنذاك.

فكانت المدارس والمؤسسات التربوية التي فتحها جزءا من عملية توسيع النفوذ الاستعماري، وجزءا أساسيا من مشروعه وأداة من أدواته، يحاول من خلالها قتل المواهب ومحاربة أصحابها حتى لا ترتفع أصوات الجزائريين مطالبة بحقوقهم.

وإن اهتمام الاستعمار بمجال التربية والتعليم والسعي للسيطرة عليه، يرجع لإدراكه أنها الوسيلة الفعالةالتي"يمكن بها السيطرة علىأسلوب حياة مجتمع ما"[3]،وقدجاءت هذه المعرفة كما يقول مالك بن نبي عن دراسة عميقة لنفسية المجتمع الجزائري وإدراك مواطن ضعفه[4].وتتلخص أهدافه في:

- القضاء على خصائص الشعب الجزائري من لغة ودين، بطريقة تدريجية أفضل من استعمال القوة والضغط، وتجنب ردود الفعل التي قد تتحول إلى عائق أمام تحقيق ذلك، وتشكيك الإنسان الجزائري في أصوله الإسلامية ووضع القطيعة بينه وبينها[5] تمهيدا للغزو الثقافي الشامل.
- خلق آلات ذات كفاءة محدودة تسخر لخدمته، بتقديم برامج يكون قد أعدها خصيصا لهذا الغرض، مستعينا بخريجي مدارسه من حملة أفكاره المناصرين لثقافته.

ومهما كانت منطلقات التربية الاستعمارية في الجزائر فإنها تجتمع عند نقطة واحدة، وهي خدمة المشروع الاستعماري في جوانبه المتعددة ضد المجتمع الجزائري وحضارته.

وقد قوبلت حركة التعليم الفرنسية بالرفض من قبل الجزائريين[*]، وأرجع بعض المؤرخين والكتاب الفرنسيين عزوف الجزائريين عن الثقافة والتعليم الفرنسي إلى تأخرهم الذهني.

---

(1) Charles Robert Ageron, les algériens musulmans et la France, 1ère édition, (Paris, Presses universitaire de France 1968), tome I, p 317.

(2) - أبو القاسم سعد الله، " مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي"، ص 66 .

(3) - مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط 3 (دمشق : دار الفكر، 1986)، ص : 72 .

(4) - مالك بن نبي، شروط النهضة، ص20.

(5) - حسين بن مرسلي، الرد التربوي لابن باديس على المشروع التربوي الاستعماري، ماجستير في علوم التربية غير منشورة، معهد علم النفس، جامعة الجزائر، 1990-1991، ص50.

(*) - حاولت الإدارة الاستعمارية فيما بعد تعديل هذا الموقف الرافض لمدارسه بإدخال مادة اللغة العربية إلى بعضها، =

واكتفت بعض وجهات النظر[1] بالتأكيد على الجهود الفرنسية في تطوير حركة التعليم، والإشارة إلى الموقف الجزائري الذي لم يكن مشجعا عليها، دون البحث عن الأسباب الحقيقية التي كانت وراء ذلك، بل وتعتبر رفضهم لا مبرر له. والقصد من هذا اتهام الجزائريين بعدم قدرتهم على التأقلم مع النمط الحضاري وأشكال التقدم التي تعرض عليهم، وتجاهلوا الحقيقة وهي أن هذا الموقف يرتبط في الأصل بطبيعة التعليم الفرنسي ومحتواه الذي لا يمكن فصله عن عقلية المستعمر وثقافته وهدفه في البلاد المستعمرة، وأن الجزائريين ورغم كل الظروف لازالوا يشعرون بكيانهم المستقل، وبشخصيتهم ببعديها العربي والإسلامي، ومن الطبيعي لهذا الشعور أن يترجم إلى رفض لسياسة تحاول قيادته بالقوة إلى وجهة غير وجهته الطبيعية.

وإن ظهور التعليم العربي الحر يرجع الفضل فيه إلى الحركة الإصلاحية، وإلى جمعية العلماء التي اضطلعت منذ تأسيسها بمهمة تربية وتعليم المجتمع، وقامت بوضع خطة علمية تعليمية واسعة النطاق، انطلاقا من أهمية المدرسة في توعية الضمير وإحياء الشعور بالقيم الإنسانية، وذلك وفق الأصول الإسلامية العربية.

وفي هذه النقطة اختلفت جمعية العلماء مع بعض الأحزاب السياسية في وسائل النضال للحصول على الاستقلال.

ففي الوقت الذي رأت فيه تلك الأحزاب أن المطالبة بالحقوق السياسية هي الخطوة الأولى السابقة لكل الخطوات، والوسيلة الأساسية قبل كل الوسائل، رأت جمعية العلماء تقديم التربية والتعليم، لأن الاستقلال يؤخذ بالقوة ولا يوهب، ولا يمكن لشعب جاهل أمي "... انتزاع حريته، وإنما ينتزعها الشعب المتعلم الواعي، المعبأ بالإيمان القوي الذي يمده بالعزيمة والصمود والقوة على الاستمرار والمواجهة"[2] معتبرة العلم هو الأصل وما السياسة إلا فرعا منه، على لسان رئيسها الإبراهيمي الذي قال : "إن جمعية العلماء تعمل لسياسة التربية لأنها الأصل، وبعض ساستنا –مع الأسف– يعملون لتربية السياسة، ولا يعلمون أنها فرع لا يقوم إلا على أصله..."[3] وأضاف في الأخير أن لا استقلال بدون علم.

= وفي سنة 1850 أنشأت ثلاثة مدارس في كل من العاصمة وقسنطينة وتلمسان، لتحتضن الدراسات التقليدية الموجهة لتخريج الموظفين، تحت إشراف مستشرقين فرنسيين يعرفون قواعد اللغة الغربية لكنهم يجهلون أسرارها، ويعتبرونها أداة وظيفية لا حس فيها ولا ذوق ولا جمال.

– أبو القاسم سعد الله، " مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي" ، ص 66 .

[1] – انظر : B. Boyer, l'évolution de l'Algérie. Médiane de 1883 à 1956 (Adrion - Maisanneuve. 1960.)

[2] – محمد زرمان، " من معالم التغيير الحضاري عند ابن باديس"، ص454.

[3] – الإبراهيمي، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص65.

وقد أثرت جمعية العلماء على بعض الأحزاب السياسية، حيث أقنعتها بأهمية التعليم العربي، وضرورته لإعداد وتكوين المجتمع، وجعلتها تدرك أن صراعها مع المستعمر هو في الأصل صـــراع حضاري من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية[1].

تحوّل التعليم التقليدي ومدارسه على يد جمعيـــة العلمـــاء إلى أدوات مقاومـــة ونضـــال. وأصبحت الحركة التعليمية وإنشاء المدارس التي كانت تقودها نموذجا اقتدت به الأحزاب السياسية بداية من سنة 1947 [2].

وكان على العلماء ولنجاح مشروعهم التربوي التعليمي، أن يضعوا في اعتبارهم نقطتـــين رئيسيتين:

أ- ضرورة تجاوز سلبيات المدارس التقليدية، وجمود أساليب التدريس بها والتي لم تعد تســـتجيب لمتطلبات الواقع.

وأهم عمل قامت به جمعية العلماء في إصلاح التعليم - كما أشار الإبراهيمي - هو قضاءها على الأساليب العتيقة التي كان يباشر بها التعليم بقسميه المكتبي (المدرســـي) والمســـجدي[3] مـــع المحافظة على الأصول العربية والاقتباس من الأساليب التربوية الحديثة، من غـــير أن يمـــس هـــذا الاقتباس جوهر الأسس التي يقوم عليها النظام التربوي، كي لا تتعرض الملامح الرئيسية للشـخصية الجزائرية لخطر الفناء.

وقد جهزت بوسائل عصرية حتى أصبحت تنافس المدارس الرسمية الفرنســـية، ولهـــذا تعرضـــت وتعرض معلموها إلى المضايقات والملاحقات[4].

ب- مواجهة المشروع التعليمي الاستعماري وأهدافه، وأن تكون مدارس الجمعيـــة بديـــلا عـــن المدارس الفرنسية، والموجه الوحيد للمجتمع الجزائري.

وإن تركيز جمعية العلماء على قضية التعليم يكشف عن الهدف الحقيقي من كل نشـــاطها، وهو بناء المجتمع الجديد تكون لبنته الأساسية، نخبة ذات خصائص ثقافية متجانسة، تكون قـــادرة على تجاوز سلبيات المرحلة السابقة، ومواجهة سلبيات الواقع الحاضر بكل جوانبه والعوامل المتسببة

---

(1) - محمد العربي ولد خليفة، الثورة الجزائرية معطيات وتحديات، ط1 (الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب: 1991)، ص65.

تضمن البرنامج السياسي لنجم شمال إفريقيا 1933 بندا يتضمن: " إجبارية التعليم والتكوين باللغة الوطنية، إمكانية انخراط الجزائريين في جميع مراحل التعليم، ينبغي أن تكتب كل الوثائق باللغتين العربية والفرنسية." وكرر مطالبته بوجوب تعميم التعليم باللغتين في صورة حزب الشعب سنة 1938. وهو نفس ما ألحت عليه سنة 1943 حركة أحباب البيان والحرية، وحركة الانتصار للحريات الديمقراطية سنة 1950.

(2) - B. Boyer, op-cit, p: 362-363.

(3) - سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، ص: 57.

(4) - الطيب العلوي، مظاهر المقاومة من عام 1830 حتى ثورة نوفمبر 1954، (قسنطينة، دار البعث: 1985)، ص 115.

فيه، وتأكيدا على أهمية الفرد في المواجهة، فمن الخطأ الاتجاه إلى كفاح المستعمر دون الالتفاف إلى الفرد الذي يسخر في القضاء عليه[1].

وهكذا يمكن القول أن جمعية العلماء قد وجدت في حركة التعليم العربي الحر الوسيلة الأمثل لنشر أفكارها وتوجيه الشباب إلى الإسلام والعروبة، وكانت تأمل من هذا العمل أن تؤثر في كل المجتمع الجزائري، وبالتالي كان التعليم العربي وسيلة ثقافية من جهة، ومدرسة للوطنية من جهة أخرى[2]، حيث أن فكرة التعليم لم تكن منفصلة عن فكرة الاستعمار، وتجسد ذلك من خلال اعتمادها على بيداغوجية وطنية، في حملتها التعليمية. وكان ابن باديس يعلم طلابه "المحفوظات العربية" و"الأناشيد الوطنية" التي أصبحوا ينشدونها في المناسبات الاجتماعية والدينية مثيرين بذلك روح الوطنية، والتضامن الإسلامي والحرية[3].

وقد أوضح البشير الإبراهيمي حقيقة الصراع القائم بين الاستعمار وجمعية العلماء فقال : "هدف هذا الصراع هو الأمة الجزائرية، فالجمعية تريدها أمة عربية مسلمة (...) والاستعمار يريدها هيكلا لا تترابط أجزاؤه، ولا تتماسك أعضاؤه، يوجه وجهه إلى الغرب، ويمكن في أفكاره لأهواء الغرب، وفي لسانه رطانات الغرب، بل يريد الاستعمار أن يقتلع جذور هذه الملة من تربة، ويغرسها في تربة، فتأتي هزيلة، لا من هذه ولا من هذه"[4].

2 – المساجد الحرة:

إضافة إلى كون المساجد محلا للعبادة ومنبرا للوعظ والإرشاد، فقد كانت مدرسة لمكافحة الأمية، وحلقة الوصل التي كانت دائما تجمع ما بين المصلحين وأفراد المجتمع.

وقد كانت المساجد محل صراع مرير بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والإدارة الاستعمارية التي كانت تخاف من أثرها وأثر دروس الوعظ في إيقاظ الحس الديني والوطني لدى المجتمع الجزائري، فقامت بإغلاق وتهديم عدد منها وتحويل بعضها إلى كنائس وإسطبلات، كما أصدرت القرارات التي تمنع العلماء المصلحين من إلقاء الدروس والمحاضرات بها، وعينت الأئمة وفق مقاييس صيغت بشكل يناسب سياستها ويخدم مصلحتها.

ومن أمثلة الإجراءات التي اتخذتها الإدارة الفرنسية ضد الجمعية تعميمين رسميين عُرفا بـ "تعميمي ميشال" صدرا في 16 و 18 فيفري من سنة 1933، وأهم ما ورد فيهما:

- حظر المساجد الرسمية على العلماء المصلحين.
- فرض الرقابة على تحركات العناصر الإسلامية.

---

(1) – مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط5، (دمشق، دار الفكر:1986)، ص76.

(2) – Ali Merad, le reformisme musulman en Algerie, p 337.

(3) – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص400 عن ديبارمي، الوطنية في مدرسة الأهالي 1935.

(4) – الإبراهيمي، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص33.

وتدريجيا امتد مفعول هذين التعميمين ليشملا كافة المناطق الجزائرية. وكان من آثارهما، وقف الوعظ نهائيا في المساجد، وإغلاق عدد كبير من المدارس، ورفض أي طلبات مقدمة بفتح مدارس جديدة، وأيضا حجرت حرية تنقل بعض أعضاء الجمعية، وفرضت أحكام السجن على البعض الآخر. وهذه الإجراءات كانت تهدف إلى وقف نشاط جمعية العلماء المسلمين وإضعاف الحركة الإصلاحية.[1]

وقد احتجت الجمعية على كل هذا، وطالبت الإدارة الفرنسية برفع يدها عن الشؤون الإسلامية وتطبيق قرار فصل الدين عن الدولة على غرار الديانتين اليهودية والمسيحية في البلاد، معتبرة المجتمع الجزائري المسلم وحده صاحب الحق في تسيير شؤونه الدينية. واستمرت تطالب بذلك رغم أن الإدارة كانت تقابله بالرفض والمماطلة، وذلك إبراء لذمتها، وتأكيدا منها على أن سيطرة المستعمر على مساجد المسلمين وأوقافهم هو أس البلاء الذي أصاب المجتمع الجزائري، ولا ينتهي هذا البلاء حتى يمنح حقه المطلق في تسيير شؤونه الإسلامية بنفسه. وهي - جمعية العلماء - تعتبر تمسكها بهذا المطلب هو تمسك بحقها وواجبها في إرشاد المجتمع وتوجيهه[2].

ولم تكتف جمعية العلماء المسلمين بمجرد الطلب والاحتجاج بل سعت لإيجاد مساحات عمل حرة، وذلك بإنشاء مساجد حرة غير خاضعة لسيطرة الإدارة، وذلك اعتمادا على مساهمة الجزائريين ودعمهم المادي والمعنوي.

3 - النوادي :

أما رسالة الجمعية التي وجهتها للشباب فكانت عبر النوادي الثقافية والرياضية والكشفية التي قامت بتأسيسها[3].

وكانت جمعية العلماء تعتبر رسالة النوادي مكملة لرسالة المسجد، لأن عددا كبيرا من الشباب الجزائريين لم يكونوا من رواد المساجد، وبالتالي فقد كانوا محرومين من ثمار الحركة الإصلاحية والنهضة العلمية والأدبية التي عرفتها الجزائر في تلك الفترة.

فكان النادي أفضل وسيلة تمكنهم من تبليغ المبادئ الإسلامية، ونشر الثقافة العربية، لأن الشباب كانوا يجدون فيه التوعية والتوجيه الوطني من خلال مختلف الأنشطة الثقافية والاجتماعية والرياضية التي كان يقدمها، كما كانت منبرا لنشر الفكرة القومية ومناقشة القضايا السياسية[4].

وكانت الأهداف الرئيسية لهذه الأنشطة التربوية والتثقيفية :

- حماية الشباب من عوامل الانحراف والفساد الخلقي والاجتماعي خصوصا في مرحلة المراهقة.
- استغلال طاقات الشباب فيما يعود على الأمة والوطن بالنفع والفائدة.

---

(1) - Ali Merad, le reformisme musulman en Algerie, p : 149.

(2) - الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص107.

(3) - محمد خير الدين، المصدر السابق، ج1، ص349.

(4) - أبو القاسم سعد الله، محمد العيد آل خليفة، رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، (مصر، دار المعارف: 1961) ص26.

- تربية الشباب تربية قومية، وطنية سليمة، حتى لا يجرفهم تيار الفرنسة والتغريب الذي كان يهدد الوطن الجزائري كله في الثلاثينات[1]. فالشباب كانوا محل نزاع شديد من التيارات المختلفة، والجمعية أرادت أن تفوز بهذه المعركة وتكسب الشباب لصالحها ولصالح الحركة الإصلاحية الوطنية[2].

امتد نشاط جمعية العلماء التعليمي والتربوي والتوجيهي، وحركة تأسيس المدارس والنوادي الثقافية والاجتماعية إلى خارج الجزائر، وتحديدا في فرنسا حيث يقيم الآلاف من العمال مع ذويهم، وعدد من الطلبة الجزائريين، فكانت تعقد فيها دروس باللغة العربية لأبنائهم، ودروس أخرى ليلية للشبان بعد الانتهاء من أعمالهم. وذلك ليحفظوا على العمال دينهم وعلى الأبناء المولودين بفرنسا لغتهم وتربيتهم الإسلامية[3] لأنها رأت أن خطر ذوبانهم في المجتمع الفرنسي بدأ يهدد الكثيرين منهم، فأرسلت الجمعية إليها المعلمين والوعاظ والمرشدين، وتمكنت من إنشاء عدد من النوادي في فترات قصيرة[4].

4 ـ الصحافة :

إلى جانب المدارس والمساجد والنوادي، أسست جمعية العلمية أربعة صحف هي : السنة المحمدية، والشريعة، والصراط السوي، والبصائر. وكان لها هي الأخرى دورها المهم في التعريف بمشروعها التغييري، وبمبادئها في الدفاع عنها وفي توعية الرأي العام وتثقيفه.

وإن مبادرة جمعية العلماء إلى إصدار الصحف سنتين فقط بعد تأسيسها، يؤكد حرص ووعي الجمعية بالخدمة الجليلة التي قد تؤديها لها الصحافة في مواجهتها مع الاستعمار والطرقية التي تعاونت معه وسارت في ركابه، إضافة إلى واجباتها تجاه المجتمع وحاجة هذا الأخير إلى الموجه والمربي.

وهذا الحرص أيضا يؤكد صبرها في تحمل المشاق والعراقيل التي كانت تعترض إصرار الصحف العربية من قرارات التعطيل والتغريم والسجن.

ومهما كانت الظروف والأحوال التي ميزت فترة صدورها فإن الكتاب الذين تحدثوا عن صحافة جمعية العلماء يؤكدون على دورها المهم في تقدم الصحافة العربية الجزائرية، وفضلها الكبير على النهضة الجزائرية.

وأخيرا يمكن القول بأن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعتبر نقلة نوعية في مجال العمل الإصلاحي، ونقطة تحول استراتيجي للمجتمع الجزائري، وذلك بفضل المنجزات الحضارية الهامة

---

(1) – تركي رابح، ابن باديس، فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، (الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع:1969) ص371.

(2) – الإبراهيمي، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص221.

(3) – المصدر نفسه، ج4، ص 255.

(4) – تركي رابح، المرجع السابق، ص367.

التي حققتها وفي مقدمتها إحياؤها للدين الإسلامي وتطهيره من مظاهر الشرك والخرافة، عن طريق الدعوة إلى الإسلام الصحيح المستمد من الكتاب والسنة، والحد من تأثير الطرقية.
وعملها على بعث وتطوير الثقافة العربية الإسلامية وفي مقدمتها اللغة العربية الـــتي كـــادت أن تندثر، فساهمت بالفعل في إعادة المجتمع الجزائري إلى محيطه الثقافي الأصيل، وقد تحقق لها ذلـــك عبر المؤسسات المختلفة التي أنشأتها في كل القطر الجزائري وفي فرنسا.

وأهم ما ميز جمعية العلماء المسلمين هو استقلاليتها وفعالية نشاطها، فجمعية العلماء لم تكـــن تابعة أو مقلدة لأي حركة من الحركات التي عاصرتها أو سبقتها في الظهور، فقد رسمت لنفســـها منهجا خاصا بها، وذلك بعد دراسة لواقع المجتمع الجزائري والإدراك الواعي لطبيعـــة المجتمـــع، وخصوصيته وقضاياه، ويرجع الفضل في هذا إلى رجال الجمعية الذين يوضعون في صف العلمـــاء لا التلاميذ.

أما فعالية نشاطها فيؤكده تنوع وسائلها الذي بلا شك ساعدها في الوصول إلى مختلف طبقـــات المجتمع،وفي الانتشار الواسع لأفكارها الإصلاحية. ومن جهة أخرى يمكن أن نلمس فعاليتـــها في تمكنها من الاستغناء عن المؤسسات التي أصبحت تحت السيطرة الاستعمارية، وتجاوز القيود الـــتي فرضتها على نشاطها، وذلك من خلال المؤسسات الحرة التي أنشأتها من أجل عمل حر غير مقيـــد وبعث فكرة حرة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني

الصحافة الإصلاحية في الجزائر

نشأتها وتطورها وأهدافها

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لم تعرف الجزائر كغيرها من بلدان العالم العربي والإسلامي الصحافة إلا مع الوجود الاستعماري، الذي استعملها لخدمة أهدافه السياسية وتحقيق أضماعه الاستعمارية، وعمل كل ما في وسعه للحيلولة دون امتلاك الشعب الجزائري لها.

لكن هذا الاحتكار الفرنسي للصحافة لم يدم طيلة فترة الاحتلال بفعل التغيرات الاجتماعية والسياسية التي عرفها المجتمع الجزائري، والتي بدأت مع ظهور اليقظة والإحساس بضرورة النهضة وأيضا ظهور اتجاه سياسي جديد مع فئة من المعمرين التي خالفت في نظرتها وموقفها من معاملة الجزائريين نظرة وموقف الإدارة الفرنسية.

وقد تظافرت عوامل كثيرة عرفت الجزائريين بوسيلة الصحافة وأهميتها،وأيقظت فيهم الرغبة لامتلاكها واستعمالها في التعبير عن مواقفهم ومشاكلهم.

وسمحت بعض الظروف لعدد من المثقفين الجزائريين بالاحتكاك بالعمل الصحفي من خلال المساهمة في تحرير بعض الصحف في داخل وخارج الجزائر.

وكان على الجزائريين أن ينتظروا إلى غاية حلول سنة 1893 كي تسمح لهم الظروف بإصدار أول جريدة عربية جزائرية. ليبدأ من هذا التاريخ نمو وانتشار الصحافة، فتعكس على صفحاتها وبخاصة في فترة استيقاظ الوعي الوطني، الآراء والاتجاهات المختلفة، وأيضا تعدد المضامين الإعلامية، وأشكال التأثير الذي تمارسه، وليعكس نموها المستمر تطلع الاتجاهات والتيارات الموجودة في تلك الفترة إلى الاتصال بالجماهير العريضة، ومن جهة أخرى مساهمتها في تطور الصحافة في الجزائر.

أولا: عوامل وظروف نشأة الصحافة العربية الجزائرية

1 – عوامل ظهور الصحافة العربية في الجزائر :

على الرغم من أن العالم الأوربي قد عرف الصحافة منذ زمن بعيد، ثم عرفها من بعده العالم العربي والمشرق(*) تحديدا، فإن الظاهرة الإعلامية في الجزائر عرفت تأخرا في الظهور، إذ لم ينشئ الجزائريون صحفا قبل الاحتلال، ولما نشأت كانت البداية فرنسية.

وقد تساءل أحد الكتاب[1] عن الأسباب التي كانت وراء ذلك، واستبعد أن يكون أعيان الجزائريين على غير اطلاع بالصحف العربية أو الأوربية ودورها، ويستند هذا الغرض على معطيين هامين :

– **أولهما** : أن القنصليات الأجنبية التي كانت موجودة في الجزائر، كالقنصلية الفرنسية والبريطانية والهولندية بلا شك كانت تصلها صحف بلدانها، ثم إن عددا من الجزائريين كان يعمل في تلك القنصليات، فلا بد أن يكونوا قد اطلعوا عليها.

– **وثانيهما** : أن الفترة التي سبقت الاحتلال عرفت أحداثا سياسية هامة حيث توترت العلاقة بين الجزائر وأمريكا، وبينها وبين بريطانيا، ثم بينها وبين فرنسا، ثم الحملة النابوليونية على مصر وموقف الجزائر من كل ذلك، فلا بد أن يعني الجزائر كل ما تنشره الصحف الأوربية والأمريكية عن ذلك كله.

هذا يقود إلى القول بأن الجزائريين لم يكونوا يجهلوا دور الصحافة في أوربا وأمريكا، أو التي أنشئت في مصر وإسطنبول، ولكنهم ربما لم يقدروا أهمية إنشاء الصحف، أو ربما لم ينشأ في داخلهم إحساس بحاجتهم لهذه الوسيلة. وهكذا ظل موضوع الصحافة غير مطروح لدى الجزائريين في تلك الفترة، لكنهم عرفوها فيما بعد وظهر لديهم اهتمام خاص وكبير بهذه الوسيلة الإعلامية الدعائية الحديثة، وتحملوا في سبيل وجودها وبقاءها المشاق والعراقيل الكثيرة.

من المهم الآن ولفهم ظاهرة الصحافة العربية الجزائرية من توضيح أهم التأثيرات والعوامل التي ساهمت في ظهورها.

(*) – أول الجرائد التي صدرت في العالم العربي هي : "لوكوريه دي جيبت" و "لاديكالـ‍ـجيبسيان" أصدرهما "نابوليان بونابرت" بمصر سنة 1789، وفي عام 1813 أصدر محمد علي "جورنال الخديوي" ثم الوقائع المصرية سنة 1828، أما العراق فأول جريدة بها كانت من إصدار الوالي العام مدحت باشا في بغداد سنة 1869 باسم "جريدة الزوراء"، وفي سنة 1922 صدرت جريدة "الوقائع العراقية" وهي جريدة الحكومة العراقية الرسمية.

(1) – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص 211-212.

العوامل الداخلية :

- الصحافة الفرنسية :

كان الاحتكاك المباشر مع الصحافة التي كانت تصدرها الإدارة الفرنسية أمرا له تأثيره، ومن العوامل الأساسية التي فتحت أعين الجزائريين على أهمية الصحافة "وأثارت في نفوسهم التساؤل عن الدور الفعال الذي يمكن أن تقوم به في مجال الإعلام والتوجيه"[1] ، فقد لاحظ الجزائريون تلك الحركة الإعلامية الواسعة التي قامت بها الإدارة الفرنسية والمعمرون الذين اهتموا بإصدار صحف عديدة انتشرت في كامل القطر الجزائري. حيث عرفت الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى ما يزيد عن مائة دورية ما بين يومية وأسبوعية[2] . وكانت صحف بعض الكولون تستعمل لهجة حادة في مخاطبتها للإدارة، وفي مطالبها وانتقاداتها، وما من شك في أن ذلك قد أثار في الجزائريين الرغبة في التعبير عن آرائهم ومطالبهم وحقوقهم.

وعن هذا التأثير يؤكد علي مراد[3] في إحدى المجلات الفرنسية أن الصحافة الأوربية كانت أحد العوامل الأساسية التي دفعت الرأي العام الجزائري إلى إنشاء الصحف العربية للدفاع عن مصالح الجزائريين ؛ إذ لا يمكن للجماهير الإسلامية، أمام هذه الحركة الإعلامية النشطة، وهذا الهيجان الذي يعرفه الرأي العام الأوربي أن تبقى ساكنة دون أن تصدر منها أية ردود فعل.

ويذكر مراد أن أهم درسين تعلمهما المثقفون الجزائريون الذين تخرجوا من المدارس الفرنسية اثنان:

الأول : شرعية الدفاع عن حقوقهم والتعبير علنية عن مطالبهم، قدوة بالأوربيين الذين كانوا لا يترددون في المطالبة أو الانتقاد.

والثاني : قدرة الصحافة كوسيلة نشر تستطيع أن توصل شكواهم والمعلومات عن وضعيتهم الحقيقية إلى المستويات الإدارية العليا -الجمعية الوطنية والحكومة- دون أن تحتاج لواسطة أو تتعثر أمام حواجز النظام الاستعماري.

*** الصحافة الحكومية :**

بعد احتلال الجزائر احتاجت الإدارة الفرنسية إلى وسيلة إعلامية بمثابة الناطق الرسمي للاستعمار الفرنسي في الجزائر، فكانت أول محاولة في 26 يونيو 1830 وجريدة "**ستافيت داجيه**"[*]

---

[1] - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الموسوعة الصحفية العربية، (تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : 1995)، ج4، ص 69.

[2] - الموسوعة الصحفية العربية، نقلا عن Emile Morament, Anuaire de la presse Française Etrangère، ص 69.

[3] - Ali Merad,La formation de la presse musulmane en Algérie ,IBLA ,N 105,1 triméstre 1964, P23.

[*] - ظهرت هذه الجريدة بقرار من الأمير بولينياك، لنشر أخبار الجيوش وانتصاراتها، وبالتالي الرد على الدعاية ضد الحكومة، ولتخدم الأغراض الاستعمارية.

(بريد الجزائر)، أول جريدة تأسست فوق أرض الجزائر.

وقد أعطى منفذ ومتبني هذا المشروع الجنرال "دوبورمون" هذه الجريدة قيمة كبرى وأهمية خطيرة، وذلك لأنها كانت تعتبر بالنسبة للحكومة أو لرئيسها على الأصح، في نفس المستوى مع الوحدات العسكرية المتوجهة إلى غزو الجزائر..."[1]. ثم ظهرت "المونيتور الجيريان" (المرشد الجزائري) في سنة 1832، وجريدة (الأخبار) في 1839، ورغم اسمها العربي فإنها كانت تصدر بالفرنسية، هي وغيرها من الصحف الفرنسية الأخرى.

لكن الجريدة التي كان لها التأثير الأكبر والمباشر على الجزائريين رغم طابعها الرسمي هي جريدة "المبشر" أول جريدة تصدر باللغة العربية إلى جانب الفرنسية في المغرب العربي كله، بإشراف الجنرال دوماس (Dumas) في أول سبتمبر 1848.

وقد مرت المبشر بثلاث مراحل أساسية[2] :

الأولى : كانت تنشر فيها المراسيم والقوانين الإدارية، وتغطي نشاط الإدارة الفرنسية، ودامت حوالي عشر سنوات.

الثانية : وهي مرحلة مهمة نظرا للدور الثقافي الذي قامت به، كما أنه في هذه المرحلة أسندت رئاسة تحريرها لبعض الشخصيات الجزائرية المثقفة ممن لا يعارضون التعامل مع الإدارة الفرنسية مادام ذلك التعامل يقتصر على الجانب الثقافي، ومن تلك الشخصيات الشيخ الحفناوي والشيخ ابن خوجة الكمال، والشيخ ابن زكري وغيرهم.

وأما **الثالثة** : فقد تركت فيها الجريدة النشاط الثقافي لتتخصص في نشر المراسيم والقوانين وبذلك تصير بمثابة "جريدة رسمية"،وبقيت كذلك حتى سنة 1927 لتتوقف نهائيا[3]

حددت المبشر مجالات اهتمامها في مقدمة عددها الأول، وتتمثل في :

- الجانب الإخباري، حيث وعدت الجزائريين بإطلاعهم على كل أخبار العالم الإسلامي.
- القيام بتعريف الجزائريين بعلمائهم القدماء وعلماء فرنسا الجدد، والتنويه بالكتب التي ألفها هؤلاء وأولئك.
- والأهم من هذا كله، أنها ستعمل على تعريف الجزائريين بواجباتهم نحو فرنسا، وهي السمع والطاعة والابتعاد عن سائر الوشايات الشيطانية. وتقصد بذلك تحذير الجزائريين من الثورة على الإدارة، والابتعاد عن إثارة الفتن المضادة للفرنسيين، ولا شك أنها تقصد بالفتن ثورة الأمير عبد

---

(1) - الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، (الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع: 1982)، ص 9.

(2) - إبراهيم لونيسي، القضايا الوطنية في جريدة المبشر 1847-1870، ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1994/1993، ص 30-31.

(3) - زهير أحدادن، الصحافة الجزائرية من بدايتها إلى الاستقلال، عالم الاتصال سلسلة الدراسات الإعلامية، (الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية : 1992)، ص 100-101.

القادر[1] خاصة إذا علمنا أن "المبشر" صدرت مع نهاية المقاومة العسكرية التي قادها الأمير عبد القادر ضد الاحتلال.

وأما عن مشاركة الأقلام الجزائرية في "المبشر" فإنها كانت قليلة "وكان على الجزائريين أن ينتظروا طويلا كي يتاح لهم التعبير عن طريق الصحافة العربية"[2]، لكن على قلة المشاركة الجزائرية،فإن المبشر قد فتحت أعينهم على عالم جديد هو عالم الصحافة، وأفادهم بمقالاتها العلمية المعربة في التاريخ والجغرافيا والفلك، والزراعة والتجارة والصناعة[3].

ولهذا، فالصحافة الأهلية العربية تدين للمبشر بصحفييها الأوائل أمثال محمود كحول وعمر راسم ممن جعلوا المبشر سلاحهم الأول قبل أن ينشئوا صحفا خاصة بهم، كما أن عمر بن بريهمات الذي تخرج من مدرسة المبشر، كان واحدا من المحررين بجريدة المنتخب[4].

* صحافة المعمرين الأوروبيين (أحباب الأهالي) :

أثرت أحداث ثورة الأمير عبد القادر وإعلان الجمهورية الفرنسية (23 فبراير سنة 1878) على الحياة السياسية للأقلية الأوربية بالجزائر، وبالتالي على الصحافة التابعة لهم، إذ أخذت في الاتساع والنمو والانتشار في المدن الكبرى والداخلية وحتى بعض القرى، وتنوعت بين الإخبارية وصحف الرأي[5].

وظهرت جماعة من الفرنسيين ممن أسماهم إحدادن بأحباب الأهالي، وأخذت تعبر عن استيائها من السياسة الاستعمارية، وأراد هؤلاء الفرنسيون أن يقدموا معرفتهم إلى نخبة من المسلمين حتى لا ييأسوا من الوجود الفرنسي في الجزائر.

ترجع بداية نشاطهم إلى السنوات الأولى من الاحتلال عندما بدأ "إسماعيل طوماس أربان" (Ismail Thomas urbains) بنشر مقالات سنة 1847 يدعو فيها السلطات الفرنسية إلى الاهتمام بالسكان المسلمين والاعتماد عليهم في استثمار الأرض وتعميرها، وفي سنة 1881 تأسست "الجمعية الفرنسية لحماية الأهالي" وتضم رجال السياسة والعلم، والأدباء والوزراء، وتهدف إلى تحقيق سياسة المشاركة التي وضع خطوطها العريضة "إسماعيل أربان"، واعتمدت في عملها على الصحافة

---

(1) – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص 223-224.

(2) – المرجع نفسه، ص 231.

(3) – محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939، (الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع : 1980)، ص 19.

(4) - Zohir Ihaddaden, Histoire de la presse indigène en Algérie des origines jusqu'à 1930, (Alger, Entreprise Nationale du livre : 1983), p : 36.

(5) – عواطف عبد الرحمن، الصحافة العربية في الجزائر:دراسة تحليلية لصحافة الثورة 1954-1962، (الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب:1985)، ص: 19.

مستفيدة من الحرية المسموحة لها، فأنشأت في قسنطينة جريدة "المنتخب"(*)، أول جريدة غير رسمية تصدر باللغة العربية[1].

وجريدة "المنتخب" إضافة إلى سياستها الاندماجية، تتبنى الدفاع عن حقوق الأهالي، وتقوم بنقد السياسة الفرنسية التعسفية تجاه المسلمين الجزائريين، لكنها رغم موقفها هذا تنصح المسلمين باتباع الطرق السلمية للدفاع عن أنفسهم والمطالبة بحقوقهم.

لم يكن لجريدة "المنتخب" تأثير مباشر على المسلمين، لأن الموقف كان جديدا عليهم، لكنها ساهمت في توجيه النخبة المسلمة لاستعمال الصحافة في التعبير والإعلان عن مطالبهم السياسية[2].

هذا الموقف أثار غضب المعمرين وسخطهم عليها، فأوقفت بعد مرور سنة على ظهورها.

لكن المنتخب لم تكن إلا بداية لمحاولات ومواقف أخرى من هذا النوع، حيث ظهرت بعدها جرائد أخرى يديرها رجال من أحباب الأهالي، كجريدة الأخبار، ومنبر الأهالي، والجزائر الجمهورية التي أنشأها "**الحزب الاشتراكي الفرنسي**" سنة 1937 في مدينة الجزائر، لكنها بعد 1945 انفصلت عن الحزب الاشتراكي، و أصبحت تميل إلى الحزب الشيوعي الفرنسي، فأدخلت في إدارتها بعض الشخصيات المسلمة، وبعد سنة 1956 أظهرت تعاطفها مع الثورة الجزائرية، فأوقفتها السلطات الاستعمارية[3].

ـ الوضع السياسي والاجتماعي :

لم يكن عامل الصحافة ليؤثر في الواقع الجزائري، لو لم تتهيأ ظروف وعوامل سياسية واجتماعية داخلية دفعت بالمجتمع إلى التغيير وبعثه لإنشاء صحافة عربية وطنية.

وتأتي في مقدمتها القوانين الزجرية ونظام الأندجينا الذي وضع خصيصا لكبت حرية الجزائريين، وفرض العزلة على الشعب، فمنعته من الاتصال بالعالم الخارجي عن طريق الهجرة ودخول الصحف أو إصدارها، وبالتالي حرمته من التطور ومسايرة الواقع ومتغيراته.

وقد لاحظت اللجنة البرلمانية التي زارت الجزائر عام 1891 برئاسة جول فيري (Jules Ferry) تعسف سياسة الحكومة الفرنسية في الجزائر، وجمودها حيث لم تصدر إلا جريدة واحدة وهي "المبشر" الحكومية الرسمية، و لم تسمح للجزائريين بإنشاءها، فتدخلت هذه اللجنة وأوجدت مناخا فكريا

(*) – ظهرت في 23 أبريل سنة 1882، مديرها المسؤول هو "بيار اتيان". كانت موادها تحرر باللغة الفرنسية، ثم يقوم بتعريبها مترجمون جزائريون أمثال : أحمد بن لفكون، حسونة بن العموشي، وحمو بن يوسف.

(1) – زهير احدادن،" الصحافة الجزائرية منذ بداياتها إلى الاستقلال"، ص 102.

(2) – المرجع نفسه، ص 103.

(3) – المرجع نفسه، ص103-104.

وبمجالا أوسع للحرية، أيقظ الرأي العام الجزائري، وسمح للعديد من الجزائريين بالكتابة للتعبير عن مشاعرهم الداخلية[1].

فكان من نتائج ذلك أن ظهرت جريدة "الحق" سنة 1893 بمدينة عنابة، أول جريدة من إنشاء مسلمين جزائريين، وهم "عمر السمّار" و"سليمان بن نقي" و"خليل قايد العيون"[2].

كما سمح القانون الصادر في 4 فيفري 1919 الذي منح الجزائريين بعض الحرية في إصدار الصحف، بظهور العديد من الجرائد أهمها : "النجاح" 1919، "الإقدام" 1920، "الصديق" 1920[3].

تحولت الاضطرابات التي عرفها المجتمع بسبب ضغط القوانين الاستعمارية وقانون التجنيد الإجباري إلى عوامل دفع وقوة حمست الجزائريين أكثر على دخول المعترك السياسي والصحفي للتعبير عن مواقفهم إزاء النظام ورفضهم بعد أن كانت عوائق في طريق نهضتهم.

إضافة إلى العامل السياسي هناك عامل آخر جعل جزائريين يندفعون نحو الصحافة وهو الصراع الفكري الحاد الذي نشأ بين كتلتين، الأولى تضم المثقفين الجزائريين الذين كانوا يؤيدون فكرة الإدماج وفكرة التحضر على أيدي المدرسة الفرنسية، والثانية كانت تضم الإصلاحيين وأنصارهم من الوطنيين الذين كانوا يخوضون المعركة ضد السياسة الفرنسية التي كانت تريد مسخ الشخصية الجزائرية عن طريق التعليم العربي الحر ونشر الثقافة الإسلامية، فكان هذا الصراع دافعا للاتجاهين لإنشاء الصحافة[4].

كما أثرت الأحداث التي مست العالم الإسلامي أثناء الحرب العالمية الأولى على الجزائريين الذين كانوا لا يزالون يشعرون رغم العزلة المفروضة عليهم بالانتماء إلى الوطن الأكبر، حيث شدّ اهتمامهم دخول تركيا الحرب ضد الحلفاء وقيام الثورة العربية سنة 1916 والحركة القومية في تونس... وجعلهم يهتمون أكثر بالصحافة العالمية ليطلعوا من خلالها على الأحداث ويتعرفوا على واقع العالم الإسلامي وأيضا للكشف عن حاجتهم لصحافة محلية يعبرون من خلالها عن تضامنهم مع قضاياه[5].

وهكذا، اجتمعت كل هذه العوامل لتوجد مناخا فكريا ساعد على استيعاب المتغيرات، وساهم في إيجاد قنوات اتصال وتعبير خاصة، أكثر قوة، وأكثر تحد للوضع السياسي والاجتماعي المفروض عليهم.

---

(1) - Claude Collot, le régime juridique de la presse musulmane algérienne, revue algérienne des sciences juridiques, économique et politique, volume 1, N° 2, Mars 1969, p : 350.

(2) – محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص 22.

(3) – المرجع نفسه، ص 12.

(4) – عواطف عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 39.

(5) – المرجع نفسه، ص 32.

العوامل الخارجية: تأثير الصحافة العربية :

- المشرقية :

كان رواد الحركة الإصلاحية في الجزائر أمثال محمد بن مصطفى الخوجة وعبدالحليم بن سماية وعبد القادر المجاوي على اطلاع واتصال بأحداث المشرق العربي عن طريق ما يصلهم من دوريات عربية، وفي مقدمتها مجلة "المنار"، وكانوا شغوفين بقراءتها وعميقي الإحساس بها. وقد عبروا لمحمد عبده عن هذا الشعور الذي يكنونه للمجلة[1] .

إضافة إلى المنار كانت هناك دوريات عربية أخرى تدخل الجزائر والمغرب العربي عموما، من بينها "الأهرام" المصرية، واللواء والمؤيد، وكوكب الشرق والجهاد وغيرها. وقد فتحت هذه الدوريات صفحاتها لمعالجة قضايا المغرب العربي، مثلما فعلت مجلة الفتح، لمحب الدين الخطيب.

كما كانت تصل صحف أخرى "كالجامعة العربية" و "المرشد" و "الأيام" من سوريا، و "صدى الإسلام" من بغداد، و "الإيمان" من اليمن و "العرفان" من لبنان[2] .

لكن يبدو أن الصحف المصرية كان لها التأثير الأكبر على النخبة الجزائرية، مقارنة مع الصحف العربية الأخرى، لكونها عرفت انتشارا أوسع في الجزائر.

ترجع أهمية هذه الجرائد والمجلات إلى دورها في توعية الشبيبة الإسلامية في الجزائر وكذا النخبة المثقفة باللغة العربية، فكانت تطلعهم على الإنتاج الفكري للمشرق العربي، من جهة، وتعلمهم بأهم الأحداث السياسية، وتعرفهم بالحالة الاجتماعية والدينية في سائر البلاد العربية. وبهذا العمل قامت هذه الدوريات بكسر الحواجز، ووصلت الجزائر ببقية الأقطار العربية، وأشعرتهم بأن واقع العالم العربي الذي يعيش تحت وطأة الاستعمار العسكري أو الحماية واحد، وأن المشاكل المنجرة عنه واحدة أيضا.

سعت الإدارة الاستعمارية الفرنسية لفرض الحصار على الجزائر وعزلها عن العالم العربي، وقطع كل رافد أو تأثير فكري قد يأتي من المشرق، لكنها لم تفلح في منع الصحف المشرقية من الوصول إلى أيدي الجزائريين، فكانت تدخل إما مباشرة أو عن طريق تونس حيث المراقبة الفرنسية أخف، أو عن طريق المغرب الذي لم يستعمر بعد، أو في حقائب الحجاج.

وقد عبر علي مراد عن هذه الطرق السرية بقوله : "لقد كان هناك مجرى سري، ولكنه غزير ومتواصل من الصحف والمجلات الشرقية التي أعانت المغاربة في مجهوداتهم الإصلاحية وجعلتهم مرتبطين أبدا بالرأي العام العربي"[3] .

---

[1] - محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية، ج1، ص 55.

[2] - المرجع نفسه، ص59.

[3] - Ali Merad,La formation de la presse musulmane en Algerie, p 23.

وكانت فرنسا تعتبر هذه الصحف "... من المواد الممنوعة التي يحرم تداولها"[1]. ومن أجل منعها اتخذت عدة إجراءات وأهمها القرارات التي أصدرتها الحكومة الفرنسية بإيعاز من مدير الشؤون الأهلية الذي أثار مخاوفها تجاه الصحف العربية الأجنبية والتركية، فاتخذوا قرارا وزاريا في 20 جويلية 1900 بناء على المادة 14 من قانون جويلية 1881 يمنع فيه تداول جريدة "المؤيد" للشيخ علي يوسف الذي منع هو الآخر من دخول العاصمة.

لكن قرار المنع رفع سنة 1902، لتتجه هذه المرة إلى جريدة "اللواء" فتمنعها هي الأخرى من دخول الجزائر.

إلا أن محاولات المنع والإجراءات التي وضعت بقيت عاجزة أمام دخول بعض الصحف العربية من 117 دورية المنشورة في مصر سنة 1904.

وهكذا وعن طريق مختلف الدوريات تمكن الجزائريون المسلمون من التعرف على أفكار حزب "الشباب التركي" و "الشباب التونسي"[2].

ولقد أثار قرار منع المؤيد من دخول الجزائر حفيظة المثقفين في الجزائر وخارجها فكتب مصطفى كامل مقالا افتتاحيا في "اللواء" عنوانه "فرنسا والإسلام" تقول فيه : "لم يخطر ببالي أن فرنسا التي كانت قبلة الأحرار وموطن الحرية، تحارب الحقيقة والنور في الجزائر إلى حد أنها تصدر أمرا من رياسة الجمهورية يمنع "اللواء" من الدخول إلى الديار الجزائرية لما ينشر آنا بعد آن من المقالات الانتقادية عن حكومة الجزائر ورسائل الشكوى مما يلاقيه المسلمون هناك"[3].

وقد مست قرارات المنع هذه ومع اقتراب الحرب العالمية الأولى خمس صحف عربية منها:

"المقتبس" الدمشقية في 22 جوان 1913، و "الشعب" القاهرية في 30 جوان 1913، و"الرأي العام" البيروتية في 5 جويلية 1913[4].

– الصحافة التونسية :

لاشك أن المشاركة الجزائرية في الصحافة التونسية ظاهرة هامة لا يمكن تجاهلها عند الحديث عن بداية الصحافة في الجزائر. فقد شكلت دعما مستمرا لها داخل الوطن، وفتحت مجالا واسعا للأقلام الجزائرية للتعريف بالقضية الوطنية، ونقل أخبارها إلى العالم. ومن جهة أخرى أصبحت هذه التجربة مصدرا لميلاد صحفيين، أنشؤوا فيما بعد صحفهم الخاصة، لينقلوا ويجسدوا على صفحاتها الخبرة التي اكتسبوها من معايشة ظروف الصحافة التونسية وظروف العمل بها.

---

(1) – محمد ناصر، المقالة الصحفية، ج1، ص 58.

(2) - Claude Colot, op.cit, p 351.

(3) – عبد المجيد بن عدة، المرجع السابق، ص 98، نقلا عن اللواء، ع 930، 1902/10/23.

(4) -Claude collot, op.cit, p 352.

كان عمر بن قدور وعمر راسم من أوائل الصحفيين الجزائريين الذين ساهموا وشاركوا في تحرير الصحف التونسية. وعند التساؤل عن السبب الذي دفعهم ودفع غيرهم لذلك، نجد الإجابة تكشف لنا عن حقيقة الوضع الإعلامي الصعب في الجزائر بسبب القيود التي وضعها الاستعمار[1]، الذي ألجأ الصحفيين إلى البحث عن حرية التعبير في صفحات الجرائد التونسية، بعد أن قيدت حرية الصحف الوطنية و طوردت بالتعطيل و الإلغاء، و نكل بالصحفيين والكتاب الأحرار، فالاستعمار الفرنسي، كان ولاشك يخشى من صولة الأفكار وجرأة الأقلام الجزائرية.

و هذا الاضطهاد الاستعماري للصحافة الجزائرية هو الذي اضطر عمر بن قدور من قبل لنشر مقالاته المناهضة للاستعمار في جريدة "اللواء" المصرية، مما أثار عليه سخط الإدارة الفرنسية، فوجه إليه الوالي العام سنة 1906 تهديدا للكف عن مراسلتها.

و على إثر ذلك التهديد الذي تلقاه عمر بن قدور، قام عمر راسم بمراسلة الصحيفة التونسية "التقدم" ونشر مقالا يحث فيه كل مثقف للقيام بواجبه النضالي في المطالبة بالحقوق الوطنية التي يطمح إليها الشعب الجزائري، وقد أعادت تلك الرسالة الحماسة لعمر بن قدورليواصل الكتابة[2].

وهكذا أصبحت رسالة عمر راسم التي وجهها لعمر بن قدور، فاتحة العلاقة بين الجزائريين والصحافة التونسية، وصارت هذه الأخيرة فضاء هاما للكتاب الذين لم يجدوا فرص التعبير عن آرائهم داخل الوطن، بسبب قيود الرقابة والمطاردة، وقرارات التعطيل.

وتوطدت علاقة ابن قدور وراسم بالجرائد التونسية بما ينشران فيها من مقالات منذ 1907 إلى غاية 1911 سنة تعطيلها[*]، حيث شارك عمر راسم بالتحرير في جريدة "الجزائر" في سنة 1908، ولما تعطلت تحول إلى جريدة "**مرشد الأمة**" سنة 1909، كما ساهم ببعض المقالات الإخبارية القصيرة، في جريدة "**المشير**" سنة 1911.

أما عمر بن قدور فقد ظل ملتزما طيلة سنتي 1908-1909 بمراسلة "**التقدم**"[3].

والجدير بالاهتمام والملاحظة أن المساهمة الجزائرية في الصحف العربية قد تركزت وبشكل رئيسي في الصحف التونسية، رغم أن البداية كانت مع "**اللواء**" المصرية و"**الحضارة**" العثمانية. واستمر ذلك حتى بعد قيام الجزائريين بإصدار صحفهم الخاصة بهم، مما يقلل الحاجة للبحث عن منابر إعلام خارج حدود الوطن.

هذه المشاركة وإن لم تشكل موجة عالية إلا أنه كان لها أثر عميق في التعريف بالقضية الجزائرية ودفع الهمم والطاقات لإنشاء الصحف.

---

(1) - محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962،(الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1983)،ص153.

(2) - المرجع نفسه، ص 155.

(*) عن أسباب التعطيل، انظر محمد صالح الجابري، المرجع نفسه، ص 157،(الهامش).

(3) - محمد صالح الجابري، المرجع نفسه، ص 157.

ومن الطبيعي أن نسأل لماذا تركزت هذه الظاهرة في تونس دون سائر الأقطار العربية الأخرى؟
إن الصحافة العربية في الجزائر ومنذ ظهورها ظلت تعاني من واقعين مريرين :
1- إما أن تكون موالية للاستعمار.
2- وإما أن تكون وطنية حرة فتعطلها القوانين الاستعمارية والرقابة.

حيث لحقت بها منذ سنة 1883 سلسلة من المصادرات، في الوقت الذي تتظاهر فيه الإدارة الفرنسية بسن قوانين تضمن حرية التعبير بالنسبة لمستعمراتها. ونتيجة لذلك لم يعد للجزائريين صحافة وطنية تتحدث باسمهم، مما اضطرهم للكتابة في صحف مصر، أو تونس، أو الأستانة[1] .
وكان من الممكن أن تنشأ روابط قوية بين المشرق والمغرب العربي في مجال الكتابة الصحفية، خاصة وأن دول المشرق كانت رائدة في هذا المجال، وسباقة إلى التعامل مع الصحافة، ثم أن عدد صحفها كان أكبر، لما عرفته بعض الأقطار من أجواء الحرية.
وقد استطاعت في حالة المضايقات وفقدان الحرية إصدار جرائد عديدة في الدول الأجنبية كفرنسا وإنجلترا وإيطاليا وسويسرا...[*].

لم يتحقق التبادل والترابط بالشكل المطلوب بسبب الحصار الذي فرضه الاستعمار للوقوف في وجه أي تأثير لإحداث اليقظة العربية الإسلامية، حيث حرم على الجزائريين السفر والتعليم في المشرق، ومنع تدريس الكتب التي تدعو إلى اليقظة، إضافة إلى صحفها التي كانت تمنع من الدخول إلى الجزائر، ومنها "العروة الوثقى"[2] .

وعلى العكس من ذلك، كان يسمح للصحف التونسية بالدخول إلى الجزائر، لاسيما الإصلاحية منها، حتى قبل وقوع تونس تحت الاستعمار سنة 1881[3] ، فتعرف الجزائريون على الصحافة التونسية ودفعهم للتطلع للمشاركة فيها. ولهذا كان من الطبيعي أن تكون الصحافة التونسية أهم محطات الأقلام الجزائرية لاتصالها الدائم بما يصدر وما يكتب على صفحاتها، خاصة وأنها كانت تهتم بنقل أحداث تونس والمغرب والجزائر، وأحوال المشرق عموما، متفتحة على مختلف مطبوعاتها، تعنى بنقل الأخبار الواردة فيها. وهكذا يمكن اعتبار الصحافة التونسية الواجهة التي ترى من خلالها الجزائر والمغرب العربي ككل، المشرق وأحواله.

---

(1) - محمد صالح الجابري، المرجع السابق، ص 159.

(*) من أمثلة الصحف العربية المهاجرة : "مصر القاهرة" لأديب إسحاق (1879) وكشف النقاب للأمير أرسلان (1894) فرنسا، "مرآة الأحوال" لرزق الله حسون (1876) لندن، "السياسة المصورة "لعبد الحميد زكي (1908) إيطاليا.

(2) - عبد الله الركيبي، قضايا معاصرة في الشعر الجزائري المعاصر، (الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب 1983).

(3) - محمد صالح الجابري، المرجع السابق، ص 173-174.

من الأسباب أيضا التي جعلتهم يهتمون بالكتابة في الصحافة التونسية، الأفكار التي كانت تدعو إليها والأهداف التي كانت ترمي إلى تحقيقها، وهي في ذلك تتفق مع أفكار وأهداف الجزائريين، وخاصة الإصلاحية منها[1].

آثار هذه المشاركة :

- في الوقت الذي لم يكن للجزائريين منبر إعلامي يتحدثون من خلاله، عن مشاكلهم، ويعرضون عبره قضيتهم، كانت الصحافة التونسية، فرصة ومجالا هاما للصحفيين الجزائريين للحديث عن وطنهم.

- حمست المشاركة الجزائرية التونسيين للاهتمام بالقضية الجزائرية، ومتابعة كل أخبارها والحرص على نشرها، ولفت نظر الرأي العام إليها.

- ربط جسور التواصل بين القطرين، فكما شارك عمر راسم وابن قدور في مساندة الصحافة التونسية، كذلك ساهم التونسيون -هم أيضا- في الصحافة الجزائرية كلما ظهرت، خاصة وأنه يجمع بين صحف القطرين، وطنية تعارض الاستعمار، ولسان واحد داع باسم الإسلام والعروبة.

ويظهر هذا الترابط والتبادل الفكري في مشاركة الصحفي التونسي "الطيب بن عيسى" في جريدة عمر بن قدور "الفاروق" بمجرد صدورها سنة 1913، و"الصادق الرزقي"، و"حسين الجزيري"، و"إبراهيم فهمي بن شعبان" وغيرهم[2].

ولا تنحصر المبادلات في المجال الصحفي فقط، وإنما تجسدت أيضا في بناء جسور العلاقات والتعارف وتبادل الزيارات، والاتصال المباشر.

- وأهم أثر للصحف التونسية هو إثارتها الرغبة في ابن قدور لإنشاء صحف تعبر عن الجزائر، وتمكنه من مخاطبة الشعب مباشرة ومن داخل الوطن، وليواجه الجزائريون الصحف الاستعمارية، والوقوف في وجه ما تروجه من دسائس ووشايات، مستغلا جريدة "التقدم" التونسية، في محاولة استنهاض همم الجزائريين لإصدار صحف وطنية[3].

---

(1) - محمد صالح الجابري، المرجع السابق، ص 174.

(2) - المرجع نفسه، ص 159-160.

(3) - المرجع نفسه، ص 160.

الصحافة العربية ومساهمة الجزائريين في المهجر:

عرفت الصحافة العربية ظاهرة الهجرة في فترة مبكرة من نشأتها، بدأت مع رزق الله حسون الحلبي(*) وهجرته إلى الأستانة عاصمة الدولة العثمانية حيث أصدر بها جريدة "مرآة الأحوال" سنة 1855، فكانت هذه التجربة فاتحة هجرة صحفية واسعة[1].

وقد اتخذت شكلين رئيسيين :

- **الأول** : هجرة داخلية، وهي هجرة من وطن عربي إلى وطن عربي آخر.
- **الثاني** : هجرة خارجية، وهي هجرة من الوطن العربي إلى الدول الأجنبية.

واتخذت مظهرين :

- **الأول** : هجرة الصحفيين، وإصدارهم صحف جديدة في بلاد المهجر.
- **الثاني** : هجرة الصحف العربية وإعادة إصدارها في بلاد المهجر[2].

وبالعودة إلى الصحافة الجزائرية نجدها قد عرفت هي الأخرى ظاهرة الهجرة، لكن ليس بحجم وشكل الهجرة التي عرفتها الصحافة المشرقية، وبالتالي فإن آثارها قد تختلف أو تتشابه معها في بعض الجوانب.

ويبدو من المطالعة الأولى صعوبة تحديد بدايتها، لقلة الدراسات حول هذا الموضوع، ولعل ذلك يرجع إلى قلة اهتمام الباحثين بهذا الموضوع لما ينطوي عليه من صعوبات الحصول على المادة العلمية الخاصة بالأصول التاريخية لظاهرة الهجرة، وتوفير الأعداد اللازمة للدراسة من هذه الصحف.

ورغم ذلك فإن دراسة هذه الظاهرة يعد مطلبا ضروريا للكشف عن جوانب هامة من الإنتاج الفكري الجزائري، وآثار ذلك على النهضة العربية والجزائرية.

اتخذت الهجرة الصحفية الجزائرية شكلا واحدا، وهو هجرة الصحفيين إلى الأقطار العربية الأخرى، وتمثلت في مظهرين هما :

- قيام المهاجرين الجزائريين بإصدار صحف في بلاد المهجر.
- مساهمتهم كمحررين في الصحف العربية حيث هاجروا، أو كمراسلين فقط من داخل الوطن.

وأما الدوافع التي كانت وراء الهجرة فيمكن حصرها في النقاط الآتية :

(*) - رزق الله حسون الحلبي من مواليد مدينة حلب السورية سنة 1925، درس العلوم الرياضية واللغات وتخصص في الترجمة، عمل بالقنصلية النمساوية بحلب، ثم قام بزيارة طويلة في أوربا وزار لندن وباريس، ثم اتجه إلى الأستانة حيث أصدر "مرآة الأحوال"، وبعد إغلاقها فر إلى روسيا وقضى بها فترة، ثم اتجه إلى لندن حيث أعاد إصدار "مرآة الأحوال".

(1) - فاروق أبوزيد، الصحافة العربية المهاجرة، ط1 (القاهرة : مكتبة مربولي، 1985)، ص : 19.

(2) - المرجع نفسه، ص 6.

- الهجرة التي عرفها الجزائريون بعد الاحتلال بسبب ظروف الحرب وتدهور الواقع المعيشي للسكان، مما اضطر عائلات بأكملها إلى الهجرة، وإن لم تكن هجرة واسعة.
- تعرض بعض الجزائريين للنفي من قبل السلطات الاستعمارية، بسبب مشاركتهم في بعض الثورات، أو بسبب نشاطهم السياسي.
- الظروف الاستعمارية القاسية التي حالت دون حرية التعبير وتشديدها الرقابة على الصحف والصحفيين.
- الهجرة من أجل طلب العلم.
- ما لمسه الجزائريون في الدول العربية من حركة صحفية واسعة جعلتهم يقتنعون بأهمية الصحافة كوسيلة لنشر الأفكار والتعبير عن الآراء.

ويعد حجم هذه الهجرة قليلا مقارنة مع هجرة الصحافة المشرقية، ولعل ذلك يرجع إلى القيود الاستعمارية التي فرضت على هجرة الجزائريين ؛ إذ لم تكن تسمح بها، خاصة إذا كانت الوجهة هي المشرق العربي، وسوريا تحديدا، إلا لعدد قليل وتحت شروط كثيرة.
فقد تبنت فرنسا وجهة النظر القائلة بعدم السماح للجزائريين بالهجرة إلى المشرق، والعمل بكل الوسائل للحيلولة دون ذلك، بالامتناع عن منحهم جوازات السفر التي يطلبونها.
تعود أسباب هذا المنع إلى تخوفهم من فقد اليد العاملة الرخيصة، وأيضا من أن تشجع الشروط التي وفرتها الحكومة العثمانية لاستقبال المهاجرين، الاستقرار على أراضيها بالهجرة، فتتسع أكثر فأكثر، فيكون من نتائج ذلك نشر الدعايات المضادة للسياسة الاستعمارية، والتنديد بها، وبهذا تفقد فرنسا سيطرتها على العناصر الجزائرية، ويكونوا خطرا عليها وعلى سياستها في الخارج أكثر منه في الداخل[1] .

صحف من إصدار جزائريين مهاجرين :

- "المهاجر" و"الاتحاد الإسلامي" :

من الصحف العربية التي أصدرها جزائريون في الشام جريدة "**المهاجر**" و"**الاتحاد الإسلامي**"، لصاحبهما "**التهامي شطة**"، وهو كاتب وصحفي من دعاة الإصلاح الإسلامي.
هاجر من الأغواط بعد احتلالها سنة 1852 إلى تونس، وأقام بها إلى أن احتلها الفرنسيون سنة 1881، فغادرها قاصدا سورية.
وفي فترة إقامته بها قام بإنشاء جريدة "**المهاجر**" في 11 يناير 1912، ثم أصدر جريدة ثانية هي "الاتحاد الإسلامي" في 23 يناير1915 بعد تعطيل المهاجر التي دامت ثلاث سنوات[2] .

---

[1] - عمار هلال، "أصداء الهجرة نحو الشرق العربي في بعض التقارير الرسمية الفرنسية "، مجلة الثقافة، الجزائر، ع 88، (يوليو/ أغسطس 1985)، ص166.

[2] - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ط2، (بيروت : مؤسسة نويهض الثقافية : 1980)، ص 85-86.

وتظهر المقالات والأناشيد التي كانت تصدرها المهاجر، والموضوعات التي كانت تهتم "الاتحاد الإسلامي" بمعالجتها شعورا وطنيا ثائرا لمأساة الجزائر، ووعيا بأحداث عصره وتألما للحالة المتردية للعالم الإسلامي[1].

- جريدة البوستة :

أهم الصحف التي أصدرت في مصر هي جريدة **"البوستة"** لـ **"محمد شريف الجزائري"**، وانفردت بطول نفسها في الصدور حيث دامت ما يزيد عن ثماني سنوات (1896-1904).
و**"محمد شريف بك الجزائري"** من رجال السياسة البارزين المعروفين بجهودهم في خدمة الدولة العثمانية والعالم الإسلامي، ولهذا أعلن في ديباجة البوستة أنها جريدة يومية سياسية علمية أدبية تجارية إخبارية "تقبل الرسائل المفيدة للدولة والملة، الحاضة على الإخلاص لصاحب الخلافة الكبرى"، وهي في ذلك تتفق مع صحف التهامي شطة في الانتصار للخلافة العثمانية[2].

- مجلة المنهاج :

التجأ "إبراهيم أطفيش" إلى القاهرة سنة 1924 مبعدا من تونس من طرف السلطات الفرنسية بسبب نشاطه السياسي واشتراكه في الحركات الوطنية السياسية، فأصدر هناك مجلة "المنهاج" في محرم 1344هـ - يوليو 1925م، وكانت شهرية.
توقفت "المنهاج" لأزمتها المالية في محرم 1349هـ - يونيو 1928م. ورغم محاولات الاستعمار لمنعها من الدخول إلى الجزائر، فإنها كانت تصل الجزائريين فيقرؤونها بإقبال شديد، وكانت حارة اللهجة، إسلامية النزعة، تهاجم الفساد والإلحاد والظلم وكل أمراض المسلمين في صراحة وقوة، وكانت أحسن مرآة للجزائر في مصر والعالم الإسلامي وأقوى لسان للإصلاح والجزائر في الخارج "...وهي من أحسن وأصدق ما يعتمد عليه المؤرخ لنهضة الجزائر الحديثة والشعوب العربية الأخرى"[3].
إن أهم ما ميز صحف هؤلاء المهاجرين، هو ارتباطهم الدائم بالوطن وأحواله رغم البعد عنه.
ومن ذلك المقال الذي نشره "إبراهيم أطفيش" في مجلة "المنهاج" تنديدا بسياسة الاستعمار تجاه الصحافة العربية الجزائرية، حينما بلغه خبر تعطيل جريدتي "المنتقد" و"الجزائر"، فكتب يقول : "...إن الصحافة هناك ولاسيما بالجزائر هدف لا لإيقافها فقط، بل لاضطهاد أصحابها واتخاذ كل

---

(1) - صالح خرفي،" الجزائر ودورها في النهضة العربية الحديثة في المشرق"، مجلة الثقافة، الجزائر، س 5، ع 26،(أفريل/ماي، 1975)، الملحق ص 14.

(2) - المرجع نفسه، ص 14.

(3) - محمد علي دبوز، المرجع السابق، ج1، ص 11.

وسيلة لإهانتهم إن كان من الذين يريدون الخير لأمتهم، وبارين بها ولو كانوا مسالمين للقوة"[1].
ويركز أطفيش في مقاله هذا على معاملة الاستعمار للصحافة الوطنية بعنصرية، تختلف عن معاملته للصحافة الفرنسية التي تتمتع بكامل الحرية.

وأما في تونس فقد أسس بها علي بوشوشة جريدة "**الحاضرة**" التي أصبحت لسان حال كتلة قوية من المثقفين والمدرسين من الزيتونة والصادقية، وهمزة وصل بين الحركة في تونس وتيار الجامعة الإسلامية[2]، وكان عمر بن قدور، وعمر راسم من الذين كتبوا فيها.

المساهمة الجزائرية في تحرير الصحف العربية :

اتجه الجزائريون مع مطلع القرن العشرين إلى تحرير الصحف العربية من داخل الجزائر، ساعين لتخطي الحواجز التي وقفت في وجه النهوض بمجتمعهم أداء رسالتهم تجاه العالم الإسلامي والعربي.

فلمع اسم عمر بن قدور الذي كان يراسل جريدة "اللواء" القاهرية، وينشر مقالاته باسم "مراسل اللواء في الجزائر"، وكانت مقالاته تعالج الوضع الجزائري والإسلامي المتدهور، ثم شارك في جريدة "الحضارة" قبل الحرب العالمية الأولى التي أصدرها "عبد الحميد الزهراوي" بالأستانة. فظهرت مقالاته موقعة باسمه الصريح، تعبر عن فكر قومي، تهاجم السلطة العثمانية في عقر دارها.وفي تلك الفترة التي كانت تصدر فيها الجريدة وقعت أحداث عربية خطيرة أهمها الهجوم الإيطالي على ليبيا، وحرب البلقان، والصراع الغربي على مراكش، فبرهن "ابن قدور" في مقالاته عن تلك الأحداث عن سعة أفق وبعد نظر، وقد أعاد إصدار تلك المقالات في جريدته "الفاروق".

كانت هذه بداية المساهمة الجزائرية في تحرير الصحف العربية، وأما عن المهاجرين فإن أهم اسم لمع وفي نفس الفترة :

"السعيد الزواوي" الملقب بأبي يعلى الزواوي، الذي يذكر أنه أثناء لجوئه إلى مصر في الحرب العالمية الأولى حرر في جريدة "**المؤيد**" المصرية، و"**ثمرات الفنون**" البيروتية، و"**المعلومات**" في الأستانة، و"**الحاضرة**" في تونس، ومجلة "**الفتح**"[*].

وهناك أيضا "**السعيد الزاهري**" الذي شارك هو الآخر في تحرير مجلة الفتح، وكتب مقالاتها الافتتاحية، وقد أعجبت محب الدين الخطيب مقالات الزاهري، فجمعها في كتاب بنفس العنوان الذي كانت تصدر به مقالاته "**الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير**"[3].

---

(1) – محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص 14 نقلا عن المنهاج، ج 5، م 1، 1925، ص 233.

(2) – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص 492، نقلا عن علال الفاسي/الحركات الاستقلالية.

(*) – من الجزائريين الذين شاركوا في تحرير الفتح : إبراهيم اطفيش، حمزة بوكوشة، ابن باديس، البشير الإبراهيمي وتوفيق المدني.

(3) – ظهرت الطبعة الأولى للكتاب في 1348هـ، وأما الثانية فظهرت في 1352هـ/1933م.

كما أعربت مجلة "المعرفة" التي كانت تصدر في مصر في عدد مارس 1932 عن إعجابها الشديد بمقالات الزاهري في "الفتح" والتي بشرت بالإسلام في ثوب العصر الحاضر وفي أسلوب روائي رائع[1].

وأما الخطيب فقد ذكر في الطبعة الأولى للكتاب سبب إقدامه على جمع مقالات الزاهري، حيث قال: " وهذه الفصول كتبها أخي في الدعوة، الأستاذ محمد السعيد الزاهري لتنشر في صحيفة الفتح فرأيتها مثلا صالحا للدعوة إلى الخير وما يجب أن يكون عليه الداعي من بصيرة وحكمة"[2].

إضافة إلى الفتح، شارك الزاهري في تحرير "**المقتطف**" و"**الرسالة**" القاهريتين.

تجربة أحمد رضا حوحو في الحجاز :

هاجر أحمد رضا حوحو إلى الحجاز سنة 1934، في وقت كانت فيه الجزائر تعرف حركة أدبية مزدهرة وبدأت تظهر على صفحات الجرائد والمجلات التونسية والمغربية، وصحف المشرق العربي والعالم الإسلامي، أسماء جزائرية لامعة تحمل نزعة إصلاحية مشتركة، وروحا ثورية عالية .

والتحق بالمدرسة الشرعية، حيث التقى بأستاذه "**عبد القدوس الأنصاري**"، الذي نشأت بينهما علاقة قوية، هذه العلاقة التي أتاحت له الفرصة للالتحاق بصفوف محرري مجلة "المنهل" السعودية لصاحبها الأنصاري[3] .

والمنهل مجلة أدبية ثقافية، استقطبت منذ البداية صفوة من الشباب والأدباء والكتاب في كل من المدينة ومكة وبقية مناطق المملكة[4] .

ولعل السبب الذي كان خلف هجرة "حوحو" إلى الحجاز، في فترة كانت فيها الجزائر تعرف حركة فكرية وأدبية، ونشاطا سياسيا ووطنيا، هو بحثه عن مدرسة تكون قادرة على تفجير أحاسيسه الوطنية، وتفتح عينيه على عروبته، وقوميته ودينه، عندما افتقد ذلك بين جدران المدرسة الفرنسية، ورغبته في الإسهام في الحركة التي يشهدها وطنه صحافيا وأديبا متميزا[5] .

بدأ اسم "حوحو" يظهر على صفحات "المنهل" ابتداء من عددها الثالث في شهر أفريل 1937 بمقال عنوانه "ملاحظات مستشرق مسلم على بعض آراء المستشرقين وكتبهم عن الإسلام"

---

(1) – محمد السعيد الزاهري، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، ط2 (دمشق، مطبعة الاعتدال : 1934)، ص 4.

(2) – المرجع نفسه، ص 7.

صدر أول عدد للمنهل بالمدينة المنورة في صفر 1355هـ/فبراير 1937م، وتوقفت بتاريخ محرم 1405هـ – أكتوبر 1984، أي بعد أن صدر منها 430 عددا.

(3) – صالح خرفي، الجزائر ودورها في النهضة العربية الحديثة في المشرق، ص 16.

(4) – صالح خرفي، شهيد الثورة الجزائرية أحمد رضا حوحو في الحجاز 1934–1945، ط1 (بيروت : دار الغرب الإسلامي، 1992)، ص 44–48–52.

(5) – المرجع نفسه، ص من 52 إلى 57.

وهو فصل مترجم عن كتاب "الحج إلى بيت الله الحرام" لـ "نصر الدين دينيه"، فكان "حوحو" بهذا المقال رائدا في اتجاهين بالنسبة للصحافة السعودية، والحركة الفكرية في البقاع المقدسة، إذ كان هو أول من أثار قضية الاستشراق في الصحافة، وأول من أدخل الترجمة من الفرنسية إليها.

أهم منصب شغله "رضا حوحو" في الجهاز الإداري للمجلة هو "سكرتير تحرير"، وهو لا يعد منصبا إداريا فقط، بل إن حوحو خلال ثلاث سنوات(*) من عمر المجلة، كان الشخصية الثانية بعد مؤسسها "الأنصاري"، بفضل نشاطه الواسع وإسهاماته المتعددة في تحرير المجلة، حيث كان في المجلة مترجما، وكاتب قصة ومقالة أدبية ونقدية، ومؤلف مسرحية، ومراسل لقاءات فكرية مع شخصيات مرموقة في تلك الفترة[1].

أهم الأسماء التي وقع بها "حوحو" مقالاته :

- المترجم.
- المدرس بمدرسة العلوم الشرعية.
- مترجم المنهل الأدبي.
- الأديب أحمد رضا حوحو.

وهكذا يتبين لنا أن الاحتكاك المباشر والمتنوع بالصحافة والعمل الصحفي، في داخل الجزائر أو خارجها، كان بمثابة المدرسة التي تعلم فيها الجزائريون فن العمل الصحفي.

وسواء تم هذا الاحتكاك عن طريق الصحافة الرسمية - الحكومية - التي لعبت دورا مهما في إبراز العناصر الصحفية الأولى، أو عن طريق الصحافة العربية التي علمتهم كيفية الاستفادة من الصحافة في التعبير عن مواقفهم السياسية والإعلان عن مشاعرهم الإسلامية والقومية، فإنه كان خطوة مهمة ساهمت في نضج المجتمع ووعيه، وفي ظهور أول الصحف الشعبية النابعة من الجماهير.

إلا أن ظهورها وفترة حياتها كانت محفوفة بالكثير من المخاطر والعراقيل الإدارية والقانونية والمادية، ولاشك أن هذه الظروف قد أثرت بشكل أو بآخر في مضمونها وأسلوبها.

ج - ظروف نشأة الصحافة العربية في الجزائر :

ـ الأوضاع القانونية :

عانت الصحافة الجزائرية من مشاكل عديدة بسبب الرقابة التي كانت تمارسها الحكومة الفرنسية، والتي تصل في كثير من الأحيان حد المنع والتعطيل، وأما الصحفيون فقد واجهوا في كل وقت مخاطر نفسية واقتصادية وحياتية، وكانوا يتعرضون للاعتقال والسجن والتغريم في أحسن الحالات، ورغم إعلان الحكومة عن تطبيق نفس القانون المنظم للصحافة في فرنسا بالجزائر، والذي

(*) - حرر بها حوحو ما بين 1937 و1939.

(1) - صالح خرفي، شهيد الثورة الجزائرية، ص من 52 إلى 57.

يكفل حرية التعبير، فإن الواقع يؤكد عكس ذلك، إذ شهدت الصحافة الجزائرية طيلة حياتها سلسلة من الممارسات المنافية لحرية التعبير والنشر.

ويكفي أن نذكر أن الصحافة العربية قد ولدت في الجزائر تحكمها القوانين الاستثنائية أو ما يعرف "بقانون الأندجينا" حتى ندرك طبيعة الوضع الصعب الذي ولدت وعاشت فيه.

وهذا القانون وضع أساسا ليقيد حرية الجزائريين ويحد منها، بقائمة من الممنوعات، أولها وأهمها تحريم انتقاد الحكومة الفرنسية، ومنع الجزائريين من التنقل والسفر، وفتح محل ديني أو مدرسة بدون رخصة أو إذن، وفي حالة المخالفة يتعرض الجزائري لعقوبات قاسية تتنوع بين النفي والسجن والوضع تحت الرقابة الخاصة، والتغريم وحجز الأملاك. وزيادة في التعسف وضعت سلطة العقاب في أيدي الإداريين الذين كثيرا ما يتصرفون حسب ما تمليه عليهم أهواؤهم[1].

وخوفا من ميلاد صحافة أهلية، وتحول هذا السلاح الخطير إلى أيدي الجزائريين رأت الإدارة أنه من الواجب التحكم في ميلادها ونموها عن طريق وضع مجموعة من الإجراءات الوقائية قبل سنة 1881.

وتتمثل هذه الإجراءات في :

1- عدم السماح بصدور أية جريدة إلا بعد الحصول على ترخيص، وهذا الترخيص يطلب من السلطات المحلية بالجزائر وذلك في الفترة الممتدة ما بين 1848 و1869، وهكذا يمنح هذا البند الإدارة المحلية سلطة رفض أي طلب وتحت أي مبرر.

2- إلزامية ترجمة مادة الصحف العربية إلى الفرنسية وهذا الشرط يسمح فيما بعد بظهور صحافة مزدوجة.

3- رأت السلطات أنه من الأفضل الوقوف في هذه الفترة دون تمتع الأهالي بهذا السلاح مادام الوضع في الجزائر لم يهدأ بعد[2].

وعند ميلاد الصحافة العربية في الجزائر أخذت الإدارة الاستعمارية تراقبها بحذر شديد، مميزة بين الصحافة الكولونيالية والصحافة الأهلية، حيث ستطبع على الأولى ذات القانون المسير للصحافة في فرنسا، وأما الثانية فستخضعها لإجراءات مشددة وقانون خاص هو "قانون الصحافة الأهلية" وستعمد أيضا لإنشاء مصالح للترجمة.

ومم يلاحظ على الفترة الممتدة ما بين 1923 و1935 صدور العديد من قرارات التعطيل التعسفية، كانت الإدارة تستند في اتخاذها ضد الصحافة العربية إلى المادة 14 من قانون 1881 التي تعتبرها صحافة أجنبية، وتمنح الإدارة سلطة اتخاذ أي إجراء وضد أي جريدة أجنبية دون إحالتها

---

[1] - الزبيرسيف الإسلام، المرجع السابق، ج4، ص 14-15.

[2] - Zohir Ihaddaden, op.cit, p 70.

أمام المحاكم الشرعية...وهكذا كان يكفي مجرد قرار يصدر من السلطات الاستعمارية كي تمنع أية جريدة من النشاط[1].

وأول قرار تعطيل صدر من الإدارة كان ضد جريدة المنتقد سنة 1925، ذلك أن المنتقد عبرت "...عن تأييدها للأمير عبد الكريم الخطابي الذي كان يقوم بثورة كبيرة ضد فرنسا وإسبانيا في الريف المغربي فمنعت هذه الجريدة بعد إصدار 18 عددا فقط منها"[2].

ويذكر محمد ناصر أن سبب تعطيلها هو لهجتها الحارة ووقوفها ضد الخرافات والبدع، الأمر الذي حرك حفيظة الطرقيين فسعوا بالتعاون مع بعض رجال الدين الرسميين بالوشاية لدى السلطات الفرنسية حتى صدر أمر حكومي يقضي بتعطيلها[3].

وحسب إحدادن فإن هذا القرار هو الثاني من نوعه، حيث صدر قرار التعطيل الأول ضد جريدة الحق في سنة 1894[4].

ثم تلا ذلك قرارات تعطيل أخرى في حق الصحافة العربية مست ثمانية من اثنتي عشرة جريدة الصادرة ما بين 1925 و1935، والتي منعت مع ظهور أول عدد منها، كما كان الحال مع جريدة ميزاب والذكرى في 1933 التي صودر عددها الأول في المطبعة[5].

وفي هذا المنع إنذار وتحذير لكل صحيفة جزائرية تظهر، بأن تلتزم خطأ معينا لا تتعداه إلى المواضيع السياسية أو التعرض للإدارة بالنقد.

ويمكن تحديد مجموعة الوسائل القمعية المطبقة على الصحافة الجزائرية في :

"1- العجز الإداري بدعوى الإخلال بالأمن العام.

2- المتابعة القضائية بدعوى نشر معلومات خاطئة.

3- المتابعة القضائية بتهمة القذف والشتم للسلطة الحاكمة"[6].

لعل هذه الإجراءات هي التي أرغمت الصحافة الجزائرية على الابتعاد عن الخوض في المواضيع السياسية والتزام الحذر، لكن من غير أن يحد ذلك من نشاطها ومن عزم الجزائريين المتجدد لإصدار الصحف.

إن هذا الجو السياسي الصعب الذي فرضه المستعمر، جعل الصحافة تعيش في صراع دائم من أجل الحياة، يبدأ بصعوبة الحصول على رخصة لإنشاء جريدة، وينتهي بواقع مادي خانق نتيجة للظروف الاقتصادية التي كان يعيشها الجزائري آنذاك، والضرائب التي أنهكته وأدت بالكثير من

---

(1) زهير إحدادن،" الصحافة الجزائرية من بدايتها إلى الاستقلال "، ص 109.

(2) المرجع نفسه، ص 109.

(3) محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص 54.

(4) Zohir Ihaddaden, op.cit, p 80.

(5) Ibid, p 81.

(6) الموسوعة الصحفية العربية، ج4، ص 73.

الجرائد إلى الإفلاس، وصعبت على الأخرى توفير وسائل الطبع والنشر، فاضطر الصحفيون إلى تحمل عبء التحرير والنسخ والتصوير والنشر، ولا أدل على ذلك من قصة عمر راسم مع جريدته ذو الفقار التي كان يتحمل أعباءها بمفرده تحريرا ونسخا وتصويرا وتوزيعا ونشرا.

إن المستعمر كان يهدف -وبلا شك- من وراء هذا التضييق القضاء على كل وسيلة إعلامية تشكل خطرا على سياسته.

لقد أثار هذا الموقف العدائي من الإدارة الاستعمارية تجاه الصحافة العربية الجزائرية استياء عامة المجتمع الذي عبر عن رفضه لتلك المعاملة باحتجاجاته وشكاويه للسلطات، ومن ذلك الاحتجاج الذي تقدم به وفد من مدينة بوفاريك إثر حلول لجنة مجلس الشيوخ الفرنسي بالجزائر سنة 1931.

جاء في نصه "ولا ننسى أن نشكو لكم من المعاملة الجائرة الصارمة التي تعامل بها الصحافة العربية في بلادنا بحيث أنها تعتبر صحافة أجنبية يكفي لتعطيلها مجرد قرار من وزير الداخلية بدون محاكمة أو إنذار (...) وهناك تناقض غريب في مسألة الصحافة العربية، إذ بينما نرى الحكومة تعتبر اللغة العربية لغة رسمية في البلاد وتصدر بها جريدتها الرسمية إلى جانب الصحافة الرسمية الفرنسية، نراها تعامل الصحافة العربية معاملة الصحف الأجنبية"[1].

إن هذا الاحتجاج يعبر عن وضع الصحافة العربية وجوهر الموقف الفرنسي منها، وعن التناقض في سياستها، ففي الوقت الذي تعتبر فيه الصحافة العربية أجنبية، تقوم الإدارة بإصدار جريدتها الرسمية (**المبشر**) باللغة العربية، وغيرها من الصحف، وهذا يعني أن قراراتها لا تستند إلى قانون محدد والأوضاع السيئة التي تعيشها الصحافة إنما هي أوضاع مفتعلة ومقصودة، الهدف منها إضعاف الصحافة العربية، وتعجيزها عن الاستمرار بكثرة المشاكل والعراقيل، فالمستعمر يدرك تماما ما للصحافة من أثر قوي في نشر الثقافة، وبعث الوعي الإسلامي والوطني، والذي لا يخدم مصالحه.

وهذا الموقف الذي اتخذته الإدارة الاستعمارية ضد الصحافة العربية هو في الحقيقة يعبر عن موقفها المعادي للغة العربية، التي تعتبرها قوانينها لغة أجنبية، وما صراعها مع الصحافة العربية إلا صراع مع اللغة العربية، عنوان الشخصية الجزائرية، والقضاء عليها بمحاربتها هو قضاء على الهوية.

ولهذا لم تكن الإدارة لتسمح بظهور صحافة عربية في الجزائر، والحالات القليلة التي شجعت فيها ظهورها كان وراءها هدف وهو استمالة الجزائريين أو توجيههم وتعريفهم بسياستها[2]. ومن تلك التسهيلات التي قدمت هو سماحها بإصدار "**النصيح**" في أكتوبر 1899، التي أنشأها فرنسي يدعى "**إدوارد قوسلان**" Gosselin وقد وجدت هذه الجريدة لتحقيق غرضين :

---

(1) - أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ط2، (الجزائر، دار الكتاب : 1963)، ص 343.

(2) - Zohir Ihaddaden, op.cit, p 61

- الأول سياسي استعماري يهدف الوصول إلى قلوب الجزائريين بكل طريقة.
- والثاني مادي حيث استغلت حاجة الجزائريين إلى صحافة عربية، ودعتهم إلى اتخاذها منبرا إعلاميا مقابل أثمان مرتفعة، ومهما كان الهدف فقد عجزت النصيح عن تحقيقه إذ لم تجد أي صدى لدى الجزائريين بسبب أسلوبها الركيك ومستواها الضعيف. وهكذا توقفت عن الصدور في 13 ديسمبر 1900 إثر وفاة مديرها قوسلان[1].

أثرت هذه الضغوطات الاستعمارية على مستوى وأسلوب الجرائد العربية، مما جعلها تتعرض للانتقاد، وخاصة من المشرق، الذي وصف لهجتها بأنها باردة، ومعارضتها بأنها خفيفة أو منعدمة، فرد المدني على ذلك واعتبرها انتقادات في غير محلها، لأنها لم تنظر إلى الوضع والظروف التي يحكم نشاطها لأن "...الجريدة العربية في أرض الجزائر تعتبر كأنها جريدة ألمانية أو شيوعية أو غيرها من الجرائد الأجنبية، يستطيع الوالي العام معتمدا على سلطة وزير الداخلية إغلاقها متى أراد..."[2] ولهذا فهي تستحق أوصاف البطولة لا عبارات الانتقاد.

ومن ردود الفعل أيضا الاحتجاجات التي نشرتها جريدة "**الدفاع**" (La défense) على اعتبار الصحافة العربية أجنبية، وأكدت أن هذا الموقف الفرنسي من اللغة العربية لا يمكن قبوله لأنها اللغة الأم لأكثر من خمسة ملايين، ومعتمدة في كل المصالح العمومية، والمكاتب الإدارية، وكل المحاكم التي يتصل بها مترجمون، ثم إن الجريدة الرسمية للحكومة العامة محررة بهذه اللغة.
كما أنها تدرس في كل المدارس العمومية وفي ثلاثة أنشأتها وترعاها الحكومة.
وتضيف الدفاع أن المسلم الجزائري يتحمل تضحيات كبيرة من أجل إنشاء جريدة وحينما تبدأ في إعطاء ثمارها يمكن أن يقضى عليها بمجرد إجراء إداري، وتلاحظ الدفاع أن معظم قرارات التعطيل تتخذ لأسباب تافهة، ويحدث أحيانا أن تكون بسبب خطأ في الترجمة لكلمة أو لجملة[3]، لكن يبدو أنه وراء هذه الأسباب التافهة التي تتذرع بها الحكومة للقضاء على أية جريدة تختفي أسباب أخرى، وأهمها تخوفها من الجرائد ذات النزعة الإصلاحية والوطنية، التي لا تخدم مصالحها ولا تسير في ركابها.
ويؤكد هذا الموقف، اتهامها لكل صاحب جريدة تلمس في مقالاته الروح الوطنية، بالتشويش والثورة على الدولة، واتخاذ ذلك ذريعة لمنع جريدته والزج به في السجن، كما فعلت مع عمر راسم الوطني الثائر الذي استدرجته -قبل الحرب- عن طريق البوليس السري لمعرفة مواقفه تجاه فرنسا، انتهى به الأمر إلى السجن، وعطلت جريدته "ذو الفقهار" بعد صدور العدد الرابع منها، معللة ذلك باندلاع الحرب العالمية الأولى.

---

(1) - محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص 23-24-25.

(2) - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 347.

(3) - Le régime de la presse arabe en Algérie, La défense, N° 27, vendredi 27 juillet, 1934.

وأهم صور الضغط التي تعرضت لها الصحافة العربية، ما لحق بجرائد أبي اليقظان من قرارات المنع صدرت في حق وادي ميزاب (1929/18)، ميزاب (1930)، المغرب (1931)، النور (1933)، البستان (1933)... ويذهب محمد ناصر إلى أن سبب تعطيل جرائده واحد، هو اتجاهها الوطني الذي لم يعرف المهادنة، ونقدها اللاذع للاستعمار[1].

وفي سنة 1933 بدأ الضغط الاستعماري ضد جميعة العلماء المسلمين بمنع المساجد ومنابر الوعظ والإرشاد أمام أعضاء الجمعية وإسناد الوعظ للموالين لها، طبقا للمنشور المؤرخ بـ 1933/02/16، الذي أصدره الكاتب العام لولاية الجزائر العاصمة، بناء على طلب جمعية علماء السنة[2] من جهة، وبالتضييق على صحافتها ومساندة صحافة خصوم الحركة الإصلاحية من جهة أخرى.

وقد جاء في نص قرار التعطيل لجريدة السنة أولى جرائد جمعية العلماء ما يلي:"إن القرار الوزاري ينسحب على كل جريدة من هذا الاتجاه مهما يكن مكان صدورها ولو كانت لأشخاص آخرين غير الأشخاص المذكورين". وهكذا أوقفت الجريدة دون محاكمة أو بيان أسباب ذلك،سوى أنها جريدة عربية ذات نزعة إصلاحية،ولو كانت بعيدة عن السياسة، ومما يؤكد هذا الموقف قرار التعطيل الثاني الصادر في حق الجريدة الثانية لجمعية العلماء وهي الشريعة، وقد علقت الصراط على ذلك مبينة أن مساعي التعطيل بدأت مع صدور أول عدد فقالت : "غير أننا لما نظرنا في تاريخ القرار وتاريخ صدور أول عدد من الشريعة وما يلزم من مدة لذهاب طلب التعطيل من الولاية العامة بالجزائر وصدوره من وزارة الداخلية بباريس علما أن طلب تعطيلها كان مع صدور أول عدد منها(...) وبعد فإن تكرار تعطيل جريدة جمعية علمية كبرى ليس مما يهدئ الخواطر ولا مما يوطد الثقة، ولا مما يسيغه الإنصاف ولا مما تتحمله النفوس"[3].

وقد كان من نتائج هذه المعاملة لجوء الجزائريين إلى إصدار الصحف بأسماء أخرى، وفي سنة 1950 تكونت لجنة خاصة أطلق عليها اسم "لجنة الدفاع عن حرية التعبير"، وتتكون هذه اللجنة من مسؤولي ثماني دوريات تنتمي إلى الأحزاب المعروفة في ذلك الوقت تسعى من خلال التقارير والمؤتمرات والنشريات الإعلان عن احتجاجها[4].

وأما الصحافة الصادرة باللغة الفرنسية، فعلى الرغم من أنها عرفت وضعا أقل حدة فإنها لم تسلم هي الأخرى من المضايقات.

ولأن الإدارة الاستعمارية لم تكن تستطيع اعتبارها أجنبية لصدورها باللغة الفرنسية فقد وضعت شرطا صعبا يجب أن يتوفر في المسؤول الإداري للصحيفة، وهذا الشرط تنص عليه المادة السادسة من قانون 1881، وهو ضرورة التمتع بجميع الحقوق المدنية، وهكذا لا يمكن لأي جزائري إصدار

---

(1) – محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص 148.

(2) – الموسوعة الصحفية العربية، نقلا عن الجريدة الرسمية 1933، ص 75.

(3) – الصراط السوي، ع 1،(11 ديسمبر 1933).

(4) – الموسوعة الصحفية العربية، ص 74.

أو إدارة جريدة ناطقة بالفرنسية إلا إذا كان متجنسا، ولا يمنح الجنسية الفرنسية إلا بعد التخلي عن أحواله الشخصية كمسلم. بمعنى أن المتجنس وحده يستطيع إدارة جريدة فرنسية، وفي ظل هذه الشروط فقط تعتبر الجريدة فرنسية، تتمتع بظروف معاملة مخففة، ولهذا فالصحف التي ظهرت كانت إما بإدارة فرنسيين (أحباب الأهالي) أو متجنسين، و لم ترفع هذه العراقيل إلا بعد سنة 1944[1].

ـ موقف الجزائريين من الصحافة:

اتسم موقف الجزائريين من الصحافة بقلة التشجيع والمساندة، وعدم إدراك أهميتها كوسيلة عصرية هامة في المجتمع بما تقدمه من خدمات، وهذا الموقف يدعمه أمران هما: الأمية المتفشية في المجتمع وهذا يجعل مقروئية الجرائد ضعيفة. ونفوذ رجال الطرق الصوفية والجامدين الذين كانوا يحرمون قراءة الجرائد، وأعظم حجة لديهم لدعم شبهتهم هو أن الجرائد لم تكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فكانوا بهذه الشبهة يمنعون الناس عن مساندة الصحف، ويحاولون ضرب الحركة الإصلاحية التي أخذت تستعمل هذه الوسيلة وتحارب عن طريقها، البدع والخرافات والجمود، وتنشر أفكار الإصلاح.

وقد اتهم أبو اليقظان من طرف الجامدين بأنه يعرض بالنبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم ويتهمهم بالنقص، عندما تحدث في أحد مقالاته عن أهمية الصحافة كوسيلة لنشر وبث الدعاية، وأنها لو وجدت على عهد النبي ﷺ والصحابة لاستخدموها "...في بث دعاية الإسلام كما استخدموا سحر البيان والبلاغة في ذلك العصر وعدم تهيؤ البشر لوسائل الصحافة من إنشاء المسابك والمطابع ومعامل الورق والمواصلات السريعة لا يرجع بالنقص على رسول الله وأصحابه لأن للبشر مراحل في حياتهم لابد من اجتيازها"[2].

كما رد الطيب العقبي على الذين أفتوا بأن قارئ الجرائد آثم ومؤاخذ كمن لعب "الدومينو" و"القمار"، مستشهدين بقوله تعالى :﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[3] وعدم وجودها في عهد النبي ﷺ أو الصحابة قائلا : "...الجرائد اليوم أقصى ما يقال فيها أنها رسائل علمية وصحف إخبارية وهذا قد علم من الشرع إباحته أو ندبه، وربما يكون في بعض الأحيان واجبا، و لم نجد نصا على تحريم الجرائد ولا أصلا صحيحا يقاس عليه تحريمها، فرجعنا إلى القول بالإباحة فيها أو الاستحباب أو الوجوب إن اقتضى مقضى لذلك"[4].

---

(1) - Zohir Ihaddaden, op.cit, p 72.

(2) – وادي ميزاب، س 1، ع26، (الجمعة 1 أفريل 1927).

(3) – لقمان : 5.

(4) – الإصلاح، س 3، ع7، (الخميس 7 نوفمبر1929).

لكن هذا الموقف بدأ في التحسن وخاصة بعد إنشاء جمعية العلماء المسلمين، وانتشار التعليم العربي الحر، واليقظة التي بدأت تنتشر في المجتمع بفضل الحركة الإصلاحية[1].

ـ الإمكانيات المادية الضعيفة:

كانت الإمكانيات المادية تقف عائقا أمام إنشاء الجرائد أو استمرارها، فالصحفي الجزائري بدخله الزهيد عاجز عن الوفاء بكل المصاريف التي تتطلبها إدارة الجريدة، مما يضطره في كثير من الأحيان إلى الاستغناء عن بعض الموظفين والمستخدمين، فيقوم هو بأغلب الأعمال بين الكتابة والطبع والنشر وجمع الاشتراكات، إضافة إلى ما قد يصادفه من عراقيل بسبب عداوة أو وشاية.

وقد تحدث ابن قدور في جريدته الفاروق عن معاناة الصحفي الجزائري فقال أنه هو "...المحرر والمدير في وقت واحد وهو الجابي يجد وراء تحصيل اشتراكاتها بيده لأن ما يعطيه للجلي قد يستفيد هو منه في حالة ضيق يد وهو وكيل نفسه في التجول وهو الذي يسعى من هنا ومن هناك لالتقاط الأخبار المحلية وهو الذي يطالع الصحف الإفرنجية يجمع الأخبار التي يتوهم أنها ترضي قراءه..."[2].

ومن العوامل التي وقفت وراء ضعف إمكانيات الجريدة فأخرت وأعطلت ظهورها، هو تقاعس المشتركين عن دفع الاشتراكات، وهو أحد أسباب احتجاب جريدة ذو الفقار، وغيرها. وقد نشر عمر راسم إعلانا يحث فيه كل المشتركين لأداء ما عليهم، راجيا أن يسهم ذلك في استمرار صدورها، وعموم نفعها فقال : "احتجبت جريدتنا بعد أن ظهرت لأول مرة وذلك بسبب عجز المشتركين عن تأدية ما للجريدة عليهم من الحق فالرجاء من فضلهم أن يبادروا بدفع قيمة الاشتراك لتسعد بها حالة "ذو الفقار" ويعم نفعه"[3].

ـ العقبات الفنية:

وتتمثل أهمها في فقدان الطباعة العربية أو ندرتها، ويذكر "أحمد توفيق المدني[4] أنه لم يكن بالجزائر قبل الحرب العالمية الأولى سوى مطبعة واحدة هي مطبعة "دار مراد رودوسي"، لكن هذا العدد ارتفع بعد الحرب وبلغ في بداية الثلاثينيات، خمس مطابع، ورغم هذا التقدم المحسوس -كما يصفه المدني- إلا أنه لم يحل إشكالية الطباعة وصعوبتها، فقد ظل العدد قليلا وغير قادر على الاستجابة للحاجة المتزايدة، والاهتمام النامي بإنشاء الصحف هذا من جهة.

ورغم أن عدد المطابع يبدو كبيرا مقارنة مع الفترة والظروف الاجتماعية والاقتصادية للبلاد، إلا أن الجزائريين وإلى غاية الخمسينيات ظلوا يشتكون من فقد المطابع، ويعبرون عن حاجتهم لها.

---

(1) – محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص 17.

(2) – الفاروق، ع 64،(8 يونيو 1914).

(3) – ذو الفقار، ع 4، (8 جوان 1914).

(4) – أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 348.

فالكتاب والمؤلفون كثيرا ما يقعون فريسة الحيرة كلما عزموا على تزويد رفوف المكتبات بإنتاجاتهم، لأنهم لا يملكون المطابع أو النقود اللازمة للطبع خارج الوطن، وليس هناك من يتكفل بالطبع أو النشر أو التوزيع، وهكذا تضل إنتاجاتهم حبيسة زوايا النسيان، ثم تطولها يد الإهمال فتضيع.

وهذا ما عبر عنه أحد الكتاب في أحد أعداد "البصائر" حيث قال : "إننا لا نملك مطبعة محترمة في كل الجزائر ولازلنا حتى هذه الساعة عالة على مطابع أجنبية تتفضل علينا بطبع إنتاجنا بعدما تمتص دماءنا إلى آخر قطرة، إننا فقراء في هذا الميدان لا نملك من وسائله شيئا..."[1] .

هذا الوضع ألجأ كثيرا من الصحفيين إلى طبع جرائدهم خارج الجزائر، لكن هذا المسعى لا يخلو هو الآخر من مشاكل إدارية، وعوائق تضعها الحكومة الفرنسية.

ويذكر العقبي الصعوبات التي اعترضت طبع جريدته "الإصلاح"، حيث أن الحكومة رفضت السماح له بطبعها في المطابع التونسية إلا بعد الحصول على ترخيص، أو إذن من الحكومة بالجزائر. ولقد حاول معرفة الأسباب التي كانت وراء هذا القرار، لكنه لم يصل إلى نتيجة، فقرر حينما يئس من الحصول على إذن بالطبع، تأسيس مطبعة بالتعاون مع بعض السكان من أهل بسكرة، فكان له ذلك وتأسست "المطبعة العلمية"، وطبع بها العدد الثاني من جريدته "الإصلاح"[2] .

وإذا كان للظروف القاسية التي عاشت في ظلها الصحافة الجزائرية أثر مباشر في ظهور واحتجاب الكثير، منها فإنها لم تستطع أن توقفها أو تحد من نشاطها، وإن استبسال الجزائريين في إصدار الصحف وعدم ضعفهم، يؤكد على النشاط الفكري الذي دب في مختلف الأوساط الجزائرية، ومن جهة أخرى يدل على رغبتهم في تغيير الواقع الجزائري، من خلال عملية التواصل مع أفراد المجتمع الجزائري، حتى تخرج فكرة التغيير من دائرة العمل الفردي إلى مجال أوسع وهو أن يتبناها كل المجتمع.

---

[1] – البصائر، ع 211، (29 ديسمبر 1952).

[2] – الإصلاح، ع 2،(5ستمبر 1929) .

ثانيا: نشأة وتطور الصحافة الإصلاحية في الجزائر.

1ـ اتجاهات الصحافة الجزائرية :

لم يكن الجزائريون غافلين عن أهمية الصحافة، لكنهم كانوا عاجزين عن إنشاءها من الناحية المادية، وأيضا جاهلين بتقنية الصحافة إلا عدد قليل ممن تعلم على جريدة المبشر، لهذا لم يظهر إلا عدد محدود من الجرائد في آخر القرن التاسع عشر.

وأهم الجرائد الجزائرية التي ظهرت في تلك الفترة جريدة "الحق" (1893)، و"المصباح" (1904) التي أنشأها العربي فخار وهو أحد المعلمين المثقفين باللغة الفرنسية وقد دامت إلى غاية 10 فيفري 1905.

وعندما أرادت حركة "الشباب الجزائريين" التعبير عن اتجاهاتها السياسية كان من بين الصحف التي أصدرتها جريدة "الإسلام" للصادق دندان بعنابة (1910)، وهدفها الدفاع والمطالبة بحقوق المسلمين الجزائريين وإطلاعهم على ما تنشره الصحافة الفرنسية فيما يتعلق بقضاياهم السياسية والاقتصادية.

كما صدر في هذه المرحلة "البريد الجزائري" لمحمد عز الدين القلال (1919) لكن لم يظهر منها سوى أربعة أعداد. و "الفاروق" لعمر بن قدور و"الجزائر" و"ذوالفقار" لعمر راسم، وجريدة النجاح (1919)[1].

بعد سنة 1919 شهدت الجزائر ميلاد صحف جديدة بعد أن اكتسب الجزائريون بعض تقنيات الصحافة تزامنا مع نمو الحركة الوطنية وظهور الأحزاب وبداية النشاط السياسي فكانت أهم التيارات التي صاحبت المرحلة الثانية من عمر الصحافة الجزائرية، هي حركة الأمير خالد وحركة النواب، والمدرسة الإدماجية وحركة الإصلاح والتيار الطرقي، ثم حركة حزب النجم وحزب الشعب والتيار الشيوعي، وكل هذه التيارات كانت لها صحافتها المعبرة عنها، وتبعا لذلك يمكن تمييز ثلاثة أصناف من الصحافة حسب اتجاهها : الصحافة السياسية، والصحافة الإصلاحية، وصحافة التيار الطرقي.

أ – الصحافة السياسية :

كانت الصحافة السياسية تنطق بلسان قادة الأحزاب التي بدأ ظهورها مع حركة نجم الشمال الأفريقي (1926) سواء الأحزاب ذات الاتجاه الوطني والتي كانت تطالب بحقوق الجزائريين، وتعمل من أجل الاستقلال، أو الأحزاب وبعض السياسيين والنواب الذين كانوا يركزون في نضالهم السياسي على المطالبة بالمساواة مع الفرنسيين والعيش معهم تحت الراية الفرنسية.

وقد بدأ اهتمام السياسيين في الجزائر باستعمال الصحافة بعد الحرب العالمية الأولى التي كانت عاملا قويا حرك وبعث النشاط السياسي في الجزائر، حيث اتجه الجزائريون إلى المطالبة

---

[1] – محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص 28–35–38.

بحقوقهم عن طريق مشاركتهم في المجالس النيابية. ويأتي في مقدمة الوطنيين من زعماء السياسة الأمير خالد[1].

فكانت جريدة "**الإقدام**" هي المعبرة عن حركته السياسية، جاءت للدفاع عن الحقوق السياسية والاقتصادية لمسلمي شمال إفريقيا، وفي سنة 1920 ظهرت الإقدام محتوية على صفحتين باللغة العربية، وكان الأمير خالد هو المسؤول عن تحريرها.
وقد أظهرت الإقدام اتجاها وطنيا رافضا للتجنس، ومطالبة بالتمثيل النيابي للجزائريين[2].

* **الصحافة السياسية الوطنية :**

استخدم الأوربيون والمستوطنون ورجال الإدارة الاستعمارية صحفهم وإذاعاتهم لتدعيم نفوذهم السياسي، وقد ترتب على ذلك نشوء صحافة وطنية جزائرية لأداء وظيفة سياسية في مواجهة الصحافة الاستعمارية وفي ذات الوقت لتلعب دورا أساسيا في النضال من أجل الاستقلال.

وأهم الحركات السياسية، حركة "**نجم شمال إفريقيا**" التي اعتمدت على الصحافة في الاتصال بالجزائريين في الوطن أو في فرنسا بسبب القيود التي وضعتها السلطات الفرنسية ضد أعضائها في الجزائر.
هناك صحيفتان اعتمد عليهما النجم في دعايته وهما :

– **الإقدام الباريسي** : التي كانت تصدر باللغتين العربية والفرنسية، وقد عطلت في فبراير 1926 لتخلفها صحيفة إقدام شمال إفريقيا، والتي عطلت هي الأخرى في أوائل 1929، ثم صدرت ثالثة تحت اسم الإقدام فقط، لكنها عطلت في عددها الأول.
وكانت الإقدام تصل إلى تونس بانتظام حتى ضاقت بها الإقامة العامة، فمنعتها من الدخول بقرار وزاري بتاريخ 28 ماي 1927[3] .

– **الأمة** : وظهرت في فترة حل النجم سنة 1930 في باريس لتكون لسان الحركة الوطنية فأعلنت منذ ظهورها بأنها جريدة تدافع عن مصالح التونسيين والجزائريين والمغاربة. ورغم أن

---

(1) – محمد ناصر، المقالة الصحفية، ج1، ص 347.

(2) – محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص 48–49.

- ظلت الإقدام تصدر حتى سنة 1923 حيث توقفت بسبب مشاكلها المادية وعجزها عن دفع الغرامة التي حكمت بها المحكمة الفرنسية.

(3) – محمد قنانش، الحركة الإستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919–1939، (الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982) ص 39–40.

السلطات قد منعت دخولها "إفريقيا الشمالية" فإن القائمين عليها كانوا يوزعونها سرا، واستمرت في الظهور رغم الصعوبات الكثيرة حتى سنة 1939[1] .

وعندما ظهر حزب الشعب في 11 مارس 1937 قام بتأسيس جريدة الشعب في شهر أوت سنة 1937، وهي الجريدة العربية الوحيدة التي أنشأها الحزب، لكن قرار التعطيل صدر بعد ظهور العدد الأول منها[2] .

وحاول حزب الشعب تجربة الصحافة مرة أخرى على أرض الجزائر سنة 1939 فأنشأ جريدة البرلمان الجزائري التي كانت تحمل شعارا لها الآية الكريمة ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ لكنها سرعان ما توقفت بسبب الحرب العالمية الثانية[3] . كما حلّ حزب الشعب وأدخل قادته إلى السجن.

بعد خروج مصالي الحاج من المعتقل في أكتوبر 1946 شرع على الفور في إعادة تشكيل حزب الشعب الملغى تحت اسم حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وقد حاولت هذه الحركة الجديدة استعمال الصحف في دعايتها، تكون من تمويلها وإدارة شخصيات مستقلة وقد أصدرت عدة صحف منها:[4]

– **الأمة الجزائرية** : صدرت في جوان 1946، وهي نشرية شهرية محررة باللغة الفرنسية لم يكن صدورها منتظما، استمرت إلى غاية أكتوبر 1948، وكانت تصدر عنها نسخة بالعربية هي "صوت العرب".

– **المغرب العربي** : هي صحيفة أسبوعية كانت تصدر باللغة العربية، عدا بعض الأعداد الخاصة التي صدرت بالفرنسية، بدأ ظهورها في جوان 1947 تحت إدارة الشيخ السعيد الزاهري أحد أعضاء جمعية العلماء السابقين.

– **الجزائر الحرة** : في أفريل 1948 بعد انتخابات الجمعية الجزائرية اتخذت حركة انتصار الحريات الديمقراطية خطوات رسمية بواسطة النائب حيدر من أجل إصدار جريدة الجزائر الحرة، وهي صحيفة بدأت نصف شهرية ثم أصبحت أسبوعية وكانت تصدر باللغة الفرنسية، وقد استمر صدورها من أغسطس 1949 إلى نوفمبر 1954.

---

(1) – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3، ص 122.

(2) – محمد قنانش، المرجع السابق، ص 104.

(3) – المرجع نفسه، ص 53.

(4) - Mahfoud Kaddache,op,cit, Tome II, p 818.

* **الصحافة السياسية الاندماجية :**

اعتمد أصحاب الاتجاه الاندماجي هم أيضا على الصحافة، وأهم الجرائد التي أصدروها "التقدم" التي أسسها ابن التهامي أحد خصوم الأمير خالد بالعاصمة سنة 1923، من أجل التأثير على الرأي العام الجزائري وكسب صوته في الانتخابات[1] . كتب فيها عباس فرحات عدة مقالات، وعند ميلاد هيئة النواب اتخذت لنفسها صحيفة هي الوفاق (L'Entente) وكان مديرها السياسي الدكتور ابن جلول ومحررها هو فرحات عباس[2] .

وأما "الميدان" فقد ظهرت سنة 1938 بقسنطينة، يرأس تحريرها محمد الحسن الوارزقي وجاءت لتؤيد سياسة ابن جلول الاندماجية.

كما أصدر بعض الجزائريين المتجنسين صحفا منها : "صوت المستضعفين" لسان حال المعلمين من أصل أهلي، وكانت تصدر سنة 1920-1939 ويحررها قدماء الخريجين من المدارس الفرنسية[3] ، و"صوت الأهالي" أصدرها رابح الزناتي في قسنطينة سنة 1929 " التي تبنت شعارا : "الوحدة الفرنسية - الإسلامية والدفاع عن مصالح الأهالي". واتسمت مقالاته الافتتاحية بالدعوة إلى الانصهار التام للأهالي في الكيان الفرنسي"، وفي عام 1947 تغير عنوانها إلى "**الصوت الحر**"[4] .

وعندما بدأت حركة "أحباب البيان والحرية"، نشاطها بزعامة فرحات عباس، قامت بإصدار "**مجلة المساواة**" في مارس 1944، لتعبر عن اتجاهها الذي يتلخص في العمل على تحقيق المساواة بين الجزائريين والفرنسيين، وعقب حوادث الثامن ماي 1945 واعتقال عباس فرحات. تمت مصادرة المجلة.

وبعد خروجه من السجن قام بتأسيس حزب جديد أسماه "**الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري**" يقوم على فكر سياسي جديد، وأصدر صحيفة "الجمهورية الجزائرية" في مارس 1948 التي أصبحت تعبر عن مطالب الحزب وتجسد التطور الذي طرأ على مواقف عباس السياسية[5] .

وأما الحزب الشيوعي فقد أظهر نشاطا كبيرا في المجال الإعلامي، وكانت صحفه هي الأخرى تتعرض لعمليات الحجز والقمع المستمر، هذا ما جعل الحزب في سبتمبر 1950 يؤسس "لجنة الدفاع عن حرية التعبير"، بعد أن توالى حجز صحفه مثل "لاليبيرتي" (La liberté) و"ألجي ريبيبلكان" (Alger républicain) بالإضافة إلى ذلك، قام الحزب بطبع المنشورات والكتيبات

---

(1) - محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص 52.

(2) - أبوالقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، ص 265.

(3) - المرجع نفسه، ص 266.

(4) - نورالدين ثنيو، قضايا الحركة الإصلاحية عند رابح زناتي ومحمد الأمين العمودي خلال الثلاثينات، ماجستير غير منشورة، معهد الحضارة والتاريخ الإسلامي، جامعة الأمير عبد القادرالعلوم الإسلامية، ص 55.

(5) - عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر 1947-1954، (الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986)، ج 3 ، ص 344.

الأيديولوجية مثل "دفاتر الشيوعية"، وغير ذلك من الكتب التي تعطي صورة كاملة عن أفكار الحزب[1].

ب – صحافة التيار الطرقي :

ظهرت معظم جرائد هذا التيار لتعاضد جهود الطرقيين، ولتقف في الصف المعارض للإصلاح وجمعية العلماء المسلمين، وقد وجد الحكام الاستعماريون على صفحاتها دعاية لهم، فارتضوا سياستها التي تنتهجها ضد الحركة الإصلاحية، وراحوا يساندونها، ولقد تجلى هذا الاتجاه أكثر بعد تكون جمعية العلماء المسلمين.

ومن هذه الجرائد "البلاغ الجزائري" التي ظهرت في 1926 تحت إشراف الطريقة العليوية، ولعلها أول جريدة تصدرها طريقة صوفية للدفاع عن قضايا التصوف، اهتمت من خلالها بالحياة العامة بما فيها السياسة، ووقفت ضد التجنس والتنصير ودافعت عن اللغة العربية.

عندما انشق بعض الطرقيين عن جمعية العلماء المسلمين، قاموا بتأسيس جمعية علماء السنة مدعومة من الإدارة الفرنسية، فأصدرت جريدة "الإخلاص" سنة 1932. كما ظهرت في هذه الفترة جريدة "المعيار" (1932)، وهي امتداد لجريدة "الإخلاص"، وقد أوضحت أنها "إنما صدرت لغاية انتقامية، دفاعا وهجوما ضد "جمعية العلماء"[2].

أما "الرشاد" التي أنشأها "عبد القادر القاسمي سنة 1938، فكانت تعمل كلسان حال اتحاد الزوايا الذي ظهر سنة 1938، وكمدافع عن الطرق الصوفية[3].

و أكبر الجرائد التي مثلت التيار الطرقي هي جريدة النجاح (1920)، التي أصدرها الشيخ عبد الحفيظ الهاشمي بقسنطينة. و هي تعد أول جريدة يومية ظهرت في الجزائر قبل الاستقلال. استمرت في الظهور إلى غاية 1956.

و ترى عواطف عبد الرحمان أنها من ناحية الفن الصحفي تعتبر جريدة شبه كاملة، حيث كانت تضم الأخبار و المقالات السياسية و الاجتماعية و الدينية و الأدبية و العلمية[4] . لكنها كانت تعارض الاتجاه الإصلاحي الذي تبنته جمعية العلماء، لهذا كانت تهاجم رجالها، وفي مقدمتهم الشيخ عبد الحميد بن باديس و الإبراهيمي و أبو يعلى الزواوي، و تخاطبهم بلهجة حادة و تلجأ أحيانا إلى السب العلني و وصفهم بأوصاف قبيحة.

---

(1) – أحمد حمدي، مبادئ الإعلام والدعاية لدى جبهة التحرير الوطني وتطبيقها في صحيفة المجاهد من 1956 إلى 1962، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، جوان 1985، ص 39.

(2) – محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص 127.

(3) – أبوالقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، ص 262.

(4) – عواطف عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 37.

و تكشف عن هذا الأسلوب إحدى مقالات النجاح في ردها على فتوى ابن باديس حول قراءة القرآن على الأموات و التي خالف فيها فتوى الطاهر بن عاشور، حيث جاء فيها : "وقد استشاط الصنهاجي(*) غيظا من تلك الفتوى وتبخر حتى عاد جسما هوائيا واحتل فتاه القبائلي(**) كما يحتل الجان رأس المجنون وأنطقه بذلك المقال الذي نشر بالشهاب..."[1] .

ج – الصحافة الإصلاحية :

مرت نشأة الصحافة الإصلاحية بطورين أو مرحلتين، متأثرة بما مرت به الحركة الإصلاحية في حياتها. فكما سبقت الإشارة فإن العمل الإصلاحي بدأ أولا في شكل عمل فردي، ثم انتقل إلى العمل الجماعي مع ظهور جمعية العلماء المسلمين.

بالنسبة للمرحلة الأولى فإن كثيرا من الباحثين يشيرون إلى أن الصحافة الإصلاحية بدأت في منتصف العشرينات عندما تأسست " المنتقد " و" الشهاب " سنة 1925، والتفاف العناصر الإصلاحية حول الحركة التي بدأ ابن باديس بتنظيمها، استنادا إلى أهمية ذلك وإلى طبيعة المرحلة التي اشتد فيها الصراع بين أنصار الإصلاح وخصومهم.

وعلى الرغم من أهمية هذه الآراء فإننا لا نستطيع تجاهل المحاولات الأولى التي سبقت هذه المرحلة، حيث ظهرت بعض الصحف التي تبنت اتجاه الإصلاح الاجتماعي.

ولهذا فالباحثة تعتقد أن نشأة الصحافة الإصلاحية بدأت مع أول جريدة ظهرت وتبنت منهج الإصلاح، مرورا بالمنعطف الهام في مسار العمل الإصلاحي الذي بدأ مع ابن باديس وظهور المنتقد.

وأما بالنسبة للمرحلة الثانية من حياتها فتبدأ مع ظهور جمعية العلماء المسلمين سنة 1931. وأثر هذا التحول في النهضة الجزائرية عموما والصحافة خصوصا، على اعتبار أن الصحافة الإصلاحية هي انعكاس لتوجهات وآراء المصلحين إزاء مختلف القضايا الداخلية والخارجية.

(*-**) – يقصد بالصنهاجي الشيخ ابن باديس، أما الفتى القبائلي فهو أبو يعلى الزواوي.

(1) – النجاح، ع : 1856، (31 ماي 1936).

2-تعريف الصحافة الإصلاحية :

ارتبطت الصحافة بالحركة الإصلاحية منذ ظهورها ونمو الوعي وحاجته إلى وسيلة للتعبير عن نفسه. ولم يكن صدور الصحف الإصلاحية الوطنية مجرد رد فعل لمواجهة السيطرة الاستعمارية فحسب بل كان أيضا بمثابة تجسد وتطور العمل الإصلاحي.

ولاشك أن القوانين والقيود التي فرضتها السلطات الاستعمارية على الصحافة، وسيطرتها على أغلب الصحف الصادرة في الجزائر، قد أقنعت الجزائريين بضرورة نشوء صحافة وطنية تعبر عن طموحات وآلام ومشاكل الشعب، وتحافظ على معالم شخصيته العربية والإسلامية، خاصة وأنهم كانوا يرون الصحافة الأوربية في الجزائر تتعاون مع المؤسسات الأخرى لتكريس الاغتراب النفسي والثقافي لدى الجزائريين.

وأن الدور الهام الذي لعبته الصحافة في دعم الحركة الإصلاحية ربما هو الدرس الذي استوعبه المصلحون جيدا، فقد نشأت الصحافة الإصلاحية، ونمت وصارعت من أجل الحياة لتكون أداة فعالة لدعم وتعزيز اتجاهاتهم التي كانت تهدف في النهاية إلى بعث الوعي واليقظة.

والحديث عن الصحافة الإصلاحية هو حديث عن الوسائل المتعددة التي شكلت مقومات الحركة الإصلاحية، حيث تعاونت المساجد والمدارس والجمعيات والصحف، وغيرها من الوسائل، وساهمت بأساليب مختلفة في خدمة الإصلاح والوطنية، وعملت بشكل جاد على تعطيل مؤامرة مسخ الشخصية الجزائرية، من خلال التأكيد على وحدة الشعب واستقلال هويته.

فإذا كانت المدارس تخرج العلماء والمثقفين على أساس فهم العلاقة التفاعلية بين الإسلام والواقع، وإذا كانت المساجد تجدد الصلات الروحية والوجدانية مع الله، فإن الصحافة تهيئ الأرضية المناسبة للمصلحين لإقناع المجتمع بالتغيير وقبوله وفهم أطواره والغرض منه.

وليس شيئا جديدا على تاريخ الصحافة العربية توجهها إلى الإصلاح الديني والاجتماعي فقد ظهرت صحف كثيرة في العالم العربي كان هدفها خدمة الدعوة والإصلاح.

يقول عبد اللطيف حمزة :"...فمنذ أن ظهرت الجرائد الشعبية في مصر وهي منبر عام لرجال الإصلاح من أمثال محمد عبده، وعبد الله النديم... وقد سعى كل واحد من هؤلاء أن يضع يده على الداء، أو على طائفة من الأدواء التي يشكو منها المجتمع المصري إذ ذاك، حتى أصبح الإصلاح حديث العام والخاص، بل أصبح الإصلاح من أهم مواد الصحيفة التي ترجو لنفسها البقاء"[1] .

وعن هذا التوجه الإعلامي والامتداد يقول عمر راسم عن جريدته "...ذوالفقار جريدة عبدوية إصلاحية، وإنها لا تخرج عن الطريقة التي خطها رجال الإصلاح المخلصين"[2] .

---

[1] - محمد ناصر، المقالة الصحفية، ج1، ص 69 ، نقلا عن عبد اللطيف حمزة، مستقبل الصحافة، ج 1.

[2] - ذوالفقار، ع 1، (16 أكتوبر 1913).

ورغم أن استعمال هذه الوسيلة الإعلامية قد ولد استجابة لحاجة ضرورية وملحة، وفي ظل ظروف خاصة، فإن ذلك لم يمنع من أن تكون للصحفيين مفاهيم عن الصحافة يدركونها جيدا ويتحركون في إطارها.

ولقد حاول المصلحون إبراز الأهمية التي تمثلها هذه الوسيلة، وبيان الهدف الأساسي الذي يسعون لتحقيقه من خلالها، حيث تطالعنا أغلب الصحف في أعدادها الأولى بتعريف يحدد اتجاه الجريدة، وهدفها، وأحيانا نجد من خلال مطالعة الموضوعات التي تتناولها أنها تتجاوز حدود الأهداف والوظائف المعلن عنها.

ويأتي في مقدمة أهداف ووظائف الصحافة الإصلاحية تجديد الدعوة إلى عقيدة التوحيد، وخدمة الدين والدعوة إليه بين المسلمين للتمسك بتعاليمه والتزامها، ونشرها بين الأجانب، ويرتبط هذا الهدف الدعوي للصحافة بطبيعة الأمة الإسلامية، فهي صاحبة رسالة ودعوة لابد أن تبلغ للناس جميعا.

وقد جاء في افتتاحية العدد الأول من جريدة "الإصلاح" تأكيدها على التزامها بالفكرة الإصلاحية. "...وخير أنواع الإصلاح ما وافق المعقول والمشروع، وأتى المصلح فيه البيوت من أبوابها... وأهم كل مهم، وأولاه بالتقديم، عندنا مسألة العقائد، والكلام على تصحيحها فلا صلاح ولا إصلاح إلا بتصحيحها... وليس من الممكن جمع كلمة الأمة وتوحيد أفكارها مادامت مختلفة في عقائدها متباينة في مشاربها وأهوائها..."[1].

فخصصت المقالات الطويلة لمحاربة البدع التي ألصقت بالدين، ومؤازرة النهضة الاجتماعية والثقافية في سبيل مقاومة التخلف والجمود.

وعن هذا الهدف الدعوي للصحافة يقول أبواليقظان: "إن الصحافة وسيلة كبرى من وسائل النشر وبث الدعاية فلو تهيأ للبشر إليها في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعهد الصحابة لاستخدموها في بث دعاية الإسلام، كما استعملوا سحر البيان والبلاغة في ذلك العصر"[2].

فعلى الرغم من أن وسائل الإعلام الحديثة وتقنياته لم تكن معروفة في المجتمع الإسلامي الأول إلا أن النظر إلى الوسائل التي استعملت في التبليغ، تبين ما للإعلام بصفة عامة من أهمية ومكانة في الدعوة الإسلامية بل إنه كان أداتها ودعامتها الأساسية[3].

ويتسع مفهوم الصحافة الإصلاحية لدى بعض الصحفيين الجزائريين لينطلق من انتقاد الأوضاع الداخلية للبلاد وعرض المشكلات والقضايا التي تمس احتياجات الفرد بشكل مباشر. إلى القضايا التي تهم كامل العالم الإسلامي والرأي العام العالمي، وهو الغرض الذي كان وراء إصدار

---

[1] - الإصلاح، ع 1، (8 سبتمبر 1927).

[2] - وادي ميزاب، ع 26، (1 أفريل 1927).

[3] - فؤاد توفيق العاني، المرجع السابق، ص 76-77.

عمر راسم لجريدته ذوالفقار، حيث قال : "إننا أنشأنا هذه الجريدة لمحاربة أعداء الدين وكشف أسرار المنافقين وإظهار مكائد اليهود والمشركين أجمعين وانتقاد أعمال المفسدين ومراقبتهم في جميع حركاتهم وسكناتهم "ذوالفقار" أسس لنصرة السنة المحمدية "ذوالفقار" يبارز الأغنياء المقصرين أن يجعلوا مخلوقات الله ونظامات الكون آلات يستحيلون بها منافع لهم"[1] .

من هذا التعريف نقول أن ذوالفقار جاء من أجل :

1- معالجة القضايا التي كانت تشغل الرأي العام الإسلامي والعالمي وفي مقدمتها الحركة الصهيونية، ولهذا يعتبر بعض الباحثين عمر راسم من أوائل المهتمين بكشف خطر الصهيونية.

2- نشر السنة المحمدية التي حل محل العمل بها البدع والخرافات.

3- محاربة البدعة والانحرافات التي أصابت المجتمع.

4- الاهتمام بقضية الأغنياء كقضية هامة من القضايا الاجتماعية، حيث كان يؤكد على دور هؤلاء تجاه فئات المجتمع المحرومة في ظل الحث على التعاون والوحدة بين أفراد الشعب.

وأما أبواليقظان في حديثه عن السبب الذي جعله يعيد إصدار جريدة الأمة فإنه يجمل الأهداف التي من أجلها وجدت الصحافة الإصلاحية وهي خدمة الدين والوطن.

يقول : "وحيث لم نجد بدا من إجابة الطلب وتلبية نداء الرأي العام الأهلي من جهة، وحيث أننا -من جهة أخرى- قد شعرنا إلى أقصى حد بمسيس الحاجة لخدمة الدين والأمة والبلاد إلى معاضدة الصحافة الأهلية الحرة بصحيفة تعبر -قدر الإمكان- عن ضميرها بأسلوب حكيم في دائرة الصدق والنزاهة والاعتدال"[2] .

فالصحافة الإصلاحية في رأي أبي اليقظان شمولية لا تقتصر على العبادات والعقائد والوعظ، وتهمل شؤون الدنيا، بل هي شاملة تهتم بهذا وذاك، وتقوم على خدمة الدين بتمكينه في النفوس وتطهيره مما علق به من أباطيل، والدعوة إلى التزامه في كل شؤون الحياة، وتقوم أيضا على خدمة الوطن بالحفاظ على مقومات الشعب، وحمايته من الضياع، وخدمة الوطن أيضا هي الدفاع عنه ضد كل المحاولات الاستعمارية التي تستهدف القيم والأفكار والمبادئ، من خلال رفع وعي الفرد وإدراكه وتنمية معارفه وإعلامه بكل مشكلاته وقضاياه ودفعه إلى تغيير واقعه.

ويقوم العمل الإعلامي على أساس من الصدق والأمانة في كل ما يزود به القارئ من معلومات وأخبار لأن هدف الإعلام في الأساس "هو تزويد الناس بالأخبار والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات..."[3] ، ولا يتحقق الإقناع الذي هو هدف رجل الإعلام إلا إذا التزم هذا المبدأ.

---

[1] - ذوالفقار، ع 1، (5 نوفمبر 1913).

[2] - الأمة، ع 2، (5 سبتمبر 1934).

[3] - محي الدين عبد الحليم، المرجع السابق، ص 19.

كما يجب التزام الموضوعية والتجرد من الذاتية في عرض الحقائق، والتعبير عن ثقافة وتفكير المجتمع، وبقدر ما يكون الإعلام صادقا ونزيها بقدر ما يكون سليما وقويا، وقادرا على تحقيق أهدافه.

مراحل نشأة الصحافة الإصلاحية في الجزائر:

المرحلة الأولى:

ترجع المحاولات الأولى لإنشاء الصحافة الإصلاحية إلى جريدة "الجزائر"(*) التي أصدرها عمر راسم سنة 1908، والذي عرف بنزعته العبدوية وروحه الوطنية الثائرة(**). وإن لم تعمر هذه الجريدة طويلا، إلا أنها تعد أول خطوة في رحلة طويلة وشاقة لميلاد صحافة إصلاحية.

عاصر عمر راسم بداية الصحافة العربية، وانتشار مدرسة التجديد الإسلامي وحركة الجامعة الإسلامية، كما عاصر أحداثا اجتماعية وسياسية هامة في الجزائر، ومن ذلك، فرض التجنيد الإجباري على الجزائريين، وتأييد الفئة الاندماجية له، في سبيل الحصول على الحقوق السياسية ولو على حساب الدين. كل هذه العوامل جعلت اهتمامه بالسياسة والثقافة يتعمق، وجعل إحساسه بالحاجة إلى إصدار جريدة تعبر عن أفكاره وتبث آراءه يزداد مع مرور الوقت. تجسد ذلك في محاولاته المتكررة لتحقيق هذا الطموح. فقبل أن يصدر "الجزائر" كان قد عزم على إصدار جريدة باسم "الإصلاح" غير أن العجز المادي وقف دون ذلك[1].

كما مد يد المساعدة لـ عمر بن قدور الجزائري، ليؤسسا معا جريدة "الفاروق".

وأخيرا، وفق إلى إنشاء جريدة "ذوالفقار"(***) سنة 1913 تحت اسم مستعار هو "ابن منصور الصنهاجي" واعتبر الشيخ محمد عبده مديرا روحيا للجريدة ونسبها إليه، كما جاء في افتتاحية العدد الأول "ذوالفقار جريدة عبدوية إصلاحية، وإنها لا تخرج عن الطريقة التي خطها رجال الإصلاح المخلصين" والجدير بالذكر هو أن عمر راسم كان يتحمل وحده أعباء تحرير الجريدة وكتابتها وإخراجها ورسم صورها[2].

وأهم ما ميز مقالات عمر راسم في "ذو الفقار" هو تركيزه على الناحية الاجتماعية للبلاد، التي انقسم أفرادها إلى طبقتين، هما طبقة الأغنياء وطبقة الفقراء. وقد لاحظ عمر راسم عدم اهتمام الأغنياء بإخوانهم من المحرومين، وعدم أداء ما عليهم من واجبات اتجاههم.

(*) – اختفت هذه الجريدة بعد أن صدر منها عددان، يذكر أحمد توفيق المدني في كتاب الجزائر أنها توقفت لأسباب مادية.

(**) – هذا الوصف أطلقه محمد ناصر على عمر راسم.

(1) – محمد ناصر، عمر راسم المصلح الثائر، (الجزائر، دار الكتاب)،ص 14.

(***) – ذكر سعد الله في تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، ص 247، أنه صدر منها ثالثة أعداد فقط، والصواب أنه صدر منها أربعة أعداد، وهي موجودة بالمكتبة الوطنية الحامة على ميكرو فلم.

(2) – محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص 40.

وكان ينطلق في دعوته هذه من هدف أساسي هو إحياء الروابط الأخوية بين المسلمين وحثهم على التضامن فيما بينهم[1].

واهتم عمر راسم أيضا بظاهرتي الانحلال لدى الشباب المتفرنس ونزوعه إلى التقليد الأعمى للغرب، والجمود الذي يتزعمه مشايخ الطرق والزوايا.

هذا على المستوى الداخلي. أما على مستوى العالم الإسلامي، فأهم موضوع فرض نفسه عليه هو موضوع الصهيونية، وقبل أن يسجل رأيه على صفحات ذوالفقار، كان قد نشر مقالات في الجريدتين التونسيتين "المرشد ومرشد الأمة" يحذر من مخاطر اليهود، ويبين أن طابعهم العدواني واحد، وأهدافهم الاستعمارية واحدة.

وقد سجل في "ذو الفقار" معارضته لرأي رشيد رضا الذي نشره في مجلة المنار حول طريقة معالجة المسألة الصهيونية ومواجهة الأفواج المهاجرة من فقراء اليهود الممزقين في جميع أطراف الأرض إلى فلسطين، الذين تدعمهم جمعية من يهود أوربا، حيث اقترح رشيد رضا على زعماء العرب إما عقد اتفاق مع الزعماء الصهيونيين على الجمع بين مصلحة الفريقين في البلاد، وإما المقاومة وتأليف الجمعيات والشركات ثم العصابات المسلحة التي تردهم بالقوة. فرد عمر راسم على ذلك مؤكدا استحالة الاقتراح الأول لأنه اعتراف باليهود ورضا بمشاركتهم البقاع المقدسة التي "...اشتراها آباؤهم بدمائهم الطاهرة، فلا يجوز لغير العرب وهم أبناء إبراهيم الأزكياء الأصفياء الموعودون بتلك البقعة المطهرة أن يملك تلك الأرض ولا غير راية الإسلام تخفق عليها مادام في عروق العرب دم وفي أجسام المسلمين روح"[2].

لقد كانت مواقف عمر راسم ترتكز على ثقافة واسعة ذات رافدين :

– **الأول** : ثقافته الإسلامية الواسعة، وإمكانياته العلمية العالية، التي أهلته لاقتحام باب تفسير القرآن، قال عنه سعيد الزاهري : "إنه رجل من أبر الناس بالإسلام، ومن أكثرهم علما به، وأنا لست أعرف عن الإسلام أكثر مما يعرف الأستاذ راسم، وقد فسر الجزء الأول من القرآن الكريم، إذا أنت قرأته عرفت أن العلم موهبة يهبها الله من يشاء من عباده"[3].

– **الثاني** : سعة معارفه التي اكتسبها من خلال اطلاعه على أحداث عصره وبخاصة التي تتعلق بالوطن العربي والإسلامي والحركات التحررية العالمية، وأيضا تفتحه على الإنتاج الفكري الإنساني واتصاله بالمفكرين والزعماء في الشرق وفي الغرب[4].

---

(1) – انظر على سبيل المثال : ع 2 من "ذو الفقار" مقال "التعاون التعاون".

(2) – ذوالفقار، ع 4، (28 جوان 1914).

(3) – محمد السعيد الزاهري، المرجع السابق، ص 30.

(4) – محمد ناصر، عمر راسم المصلح الثائر، ص 45.

ومع مستهل القرن العشرين، وفي ظل القوانين الزجرية، وقرارات التعطيل ومصادرة الصحف، برز إلى الوجود "عمر بن قدور" كواحد من أكبر رواد الصحافة العربية في الجزائر، وقبل أن تكون له جريدته الخاصة، ساهم بقلمه في الجرائد المصرية والتونسية والعثمانية.

وأما الجزائر فكانت بدايته فيها بتوليه تحرير القسم العربي من جريدة "الأخبار"(*) التي كانت تصدرها الولاية العامة. وكان هذا القسم العربي من الجريدة خاليا من الموضوعات السياسية، إلا بعض المقالات القليلة التي كان يكتبها عمر بن قدور حول السياسة العامة والاجتماع والاقتصاد[1].

لعل الظروف في ذلك الوقت لم تكن تسمح له بإنشاء جريدة خاصة، ماديا على الأقل حتى سنة 1913 حيث قام ابن قدور بإصدار "الفاروق"(**).

وقد اختار لها ابن قدور هذا الاسم إحياء لذكرى الخليفة الراشد "عمر بن الخطاب" وأراد "أن تكون بمشر بها الاعتدالي فارقة بين الحق والباطل، وآمرة بالمعروف ناهية عن المنكر"[2].

وكغيره من المصلحين لم يكن يسعه إغفال الحالة التي وصل إليها المجتمع من انحراف عن العقيدة الصحيحة وابتعاد عن هدي القرآن، ولهذا حرص بمقالاته على ملاحقة هذه البدع التي انتشرت في شرق البلاد وغربها، مبينا خطرها على القومية والدين، ولم يجد سببا لذلك غير الجهل الذي عم المسلمين، وألا نجاة للأمة مما هي فيه ولا سبيل لها لإعادة سالف مجدها إلا بالرجوع إلى القرآن الكريم تحكمه في جميع أمورها[3].

كما دعا إلى مقاومة التحجر والجمود الذي يقف في طريق تقدم المجتمع وتطوره، ونـدد بأفكار الشباب المتفرنس المقلد للمدنية الغربية السائر في طريق الإلحاد.

واهتمت الفاروق بفضح محاولات تضليل المسلمين، حيث علقت في أحد أعدادها[4] على جريدة "الإسلام"(***) التي استبشر المسلمون بظهورها، وظنوا خيرا في شعارها الذي كانت تحمله، غير أن حقيقتها ظهرت مع مرور الوقت وتبين أن خطتها التي تتبعها "خطة تورد المسلمين موارد الهلاك في قوميتهم وملتهم"، وأن هذه الجريدة التي يصفها ابن قدور بالإلحاد "كانت تخدع العقول الساذجة بمعنى الإسلام الساطع وتدس لها السم بما تحته من الإفك والبهتان".

(*) – صدرت هذه الجريدة سنة 1839 محررة باللغة الفرنسية، وفي سنة 1903 أضيفت لها صفحتان باللغة العربية.

(1) – محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص 27-28.

(**) – ظهرت الفاروق في سلسلتين، الأولى بدأت في 28 فبراير 1913، والثانية في 8 أكتوبر 1920.

(2) – ع 1، (28 فيفري 1913).

(3) – محمد ناصر، المقالة الصحفية، ج 1 ، ص 81.

(4) – ع 4، (21 مارس 1913).

(***) – صدرت جريدة "الإسلام" بعنابة في أكتوبر 1910 ثم تحولت إلى العاصمة في جانفي 1912، لصاحبها الصادق دندان، كانت أول أمرها محررة باللغة الفرنسية وبداية من 26 جويلية أصدر دندان النسخة العربية.

آمن "عمر بن قدور" بوحدة العالم الإسلامي، فكانت صحافته انعكاسا لهذا الإيمان بتأكيده على الجوانب الروحية والعقائدية التي تربط كل المسلمين، وهذه الروابط هي أسس الوحدة، وسبيل تصحيح أوضاع العالم الإسلامي المتردية.

وهذه الوحدة هي التي استهدفها المستعمر، فسعى لبث الشقاق بين المسلمين.

وما نجح الاستعمار في بث الخلاف بينهم إلا لأنهم نسوا ما ذكروا به وضعفت روابط الإيمان في نفوسهم.

اهتم ابن قدور بالمغرب العربي ومشاكله، في ظل اهتمامه بالعالم الإسلامي ككل، لأن المأساة التي يعاني منها المشرق العربي هي المأساة نفسها التي يعاني منها المغرب العربي، وداء هذه وتلك هو "اللاتضامن" فيما بينها واللاترابط واللاتعاون بين أقطارها.

ولهذا تساءل آملا في أحد مقالاته عن إمكانية تأسيس جماعة التعارف الإسلامي لأهالي شمال إفريقيا لخدمة الدين والوطن. فقال : "مشروع عظيم، هل في الإمكان تأليف جماعة من مفكري مسلمي الجزائر وتونس والمغرب الأقصى، جماعة التعارف لأهالي شمال إفريقيا"[1].

وقد صدر هذا الكلام بقوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[2] إشارة إلى أن دعوته إلى التعارف الإسلامي إنما هي دعوة نابعة من آيات الذكر الحكيم.

أراد ابن قدور أن يتجسد أمله في الوحدة عمليا، فدعا سنة 1914 العلماء والمفكرين للاجتماع تحت ظل جماعة التعارف الإسلامي، فتتوحد بهذا الاجتماع الغايات والمقاصد والأعمال ويكون لجهودهم الأثر المرجو، وذلك هو ثمرة الأعمال الجماعية[3] .

وقال مبينا إلزامية هذا التعارف وسبله : "فالمفكرون ملزمون قبل كل شيء بالتفاهم والتعارف مع بعضهم البعض وأقرب السبل إلى ذلك صفحات الصحف الإصلاحية والنوادي الأدبية"[4].

وأما أكثر قضايا العالم الإسلامي التي استأثرت باهتمامه فهي قضية تركيا، حيث كتب عدة مقالات بعنوان "مصيبة تركيا في عدم الاعتبار"، أظهر فيها تتبعه الدقيق للتطورات السياسية التي عاشتها الدولة العثمانية قبل وبعد إعلان الدستور[5] .

عاشت الفاروق إلى غاية 1915، حين اضطرت إلى التوقف تحت قوانين الحرب، بعد أن صدر منها حوالي خمس وتسعين عددا، وسيق صاحبها عمر بن قدور إلى السجن بالعاصمة، ثم إلى

---

(1) – الفاروق، ع 69،(13 يوليو 1914).

(2) – آل عمران :104.

(3) – صالح خرفي، عمر بن قدور الجزائري، (الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب : 1984)، ص : 68 .

(4) – الفاروق ،ع 69، (13 يوليو 1914).

(5) – أنظر أعداد الفاروق : 10، (2 ماي 1913).

11، (9 ماي 1913).

المنفى "بالأغواط"، في صحراء الجزائر، وقضى فيه سنوات الحرب العالمية الأولى، وذلك لأنه رفض أن يكون قلمه أجير السلطة الاستعمارية التي حذرته من نشر مقال له يؤيد فيه الدولة العثمانية التي تخوض الحرب ضد الحلفاء.

وبعد رجوعه إلى العاصمة حاول إعادة إصدار الفاروق في شكل مجلة، بعد معاناة كبيرة، حسب ما ذكره في افتتاحية أول عدد (أكتوبر 1920)[1]. إلا أن هذه الفترة الثانية من حياة الفاروق لم تدم طويلا، إذ أنها توقفت نهائيا بعد العدد الخامس عشر وذلك سنة 1921[2].

لقد كان للمساهمة الصحفية لابن قدور أثرها العظيم في نهضة الجزائر، وكان رائدا في اهتمامه بقضايا العالم الإسلامي عامة والمغرب العربي خاصة. جريئا في مواجهة الاستعمار، وهو في أوج فورانه،داعيا "إلى الوحدة الإسلامية والفكرة القومية، والتضامن الوطني في وقت مبكر كان فيه جيله مايزال جاهلا بها أو داعيا إلى الاندماج مع المحتل"[3].

استمر إصدار الصحافة المعبرة عن الفكر الإصلاحي، واستمر اهتمامها بتصوير وضع المجتمع الجزائري وتغطية جانب كبير من مظاهره، فكان نمو ونضج الصحافة الإصلاحية نتيجة طبيعية لظهور ونضج الإصلاح في الجزائر.

وقد تميزت هذه الفترة من حياة الصحافة الإصلاحية بتركيزها وعنايتها بمعالجة الفوضى الأخلاقية والدعوة إلى التمسك بالقيم الإسلامية، ووصف الحالة الدينية للمجتمع الجزائري.

وفي هذه المرحلة ظهرت جريدة "المنتقد" لابن باديس الذي بدأ في تنظيم العمل الإصلاحي من أجل إيقاظ المجتمع الجزائري، والتف أصحابه حول مبدأ أساسي هو المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية، بزعامته، وكانت جريدته "المنتقد" هي الرباط الذي كان يصل ما بين العناصر الإصلاحية.

ظهر العدد الأول من المنتقد[*] بتاريخ 2 جويلية 1925، يعكس رغبة صاحبه في أن يخرج بالدعوة الإصلاحية من النطاق الجهوي (قسنطينة) إلى المستوى الوطني.

---

(1) – جاء فيها:" ... تسنى لنا نشر الفاروق في صورة مجلة إسلامية ملية علمية تهذيبية أخلاقية اقتصادية اجتماعية أسبوعية بعد معاناة الأهوال والتحام الأخطار، وتحمل المتاعب والأنصاب والأكدار كل ذلك تأييد المبدأ (كلمة غير واضحة) الواجب نحو الملة السمحة والجامعة الملية. "

(2) – محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص 38.

(3) – أبوالقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، ص 282.

(*) – جاء في افتتاحية العدد الأول التي كتبها ابن باديس تحت عنوان" مبادئنا وغاياتنا وشعارنا" قوله: " بسم الله ثم بسم الحق والوطن ندخل عالم الصحافة العظيم شاعرين بعظم المسؤولية التي نتحملها فيه مستسهلين كل صعب في سبيل الغاية التي نحن إليها ساعون والمبدأ الذي نحن عليه عاملون وها نحن نعرض على العموم مبادئنا التي عقدنا العزم على السير عليها لا مقصرين ولا متوانين." ثم شرح هذه المبادئ وهي: المبدأ السياسي والتهذيبي والانتقادي.

وقد جاءت هذه الجريدة "متحررة وداعية للنهضة والوطنية بأسلوب واضح وحماس... تلقاها الشباب وأصحاب الفكر العربي النير بحماس أيضا"[1] .

انضم إليها خيرة الأقلام العربية في ذلك الوقت مثل مبارك الميلي، والطيب العقبي، وأبواليقظان، والشاعرين محمد العيد ومحمد الهادي السنوسي، فكانت بحق نقطة تحول في تاريخ الحركة الفكرية والأدبية في الجزائر، وتميزت عن غيرها من الصحف، في أسلوبها ولغتها وأفكارها[2] .

كان ابن باديس يرى أن الإصلاح لابد أن يبدأ بالقضاء على البدع المستحكمة، وزلزلة سلطانها، وعلى هذا الأساس ولهذا الغرض، أصدر جريدة المنتقد، وجعل لها شعارا جريئا "انتقد ولا تعتقد" معرضة بالشعار الذي حمله أرباب الطرقية للجمهور والمريدين، وهو "اعتقد ولا تنتقد".

واسم الجريدة نفسه، يشرح الهدف منها، فابن باديس كان يريد نقد الأوضاع الراهنة في البلاد، وبعث الأمة الجزائرية وتذكيرها بماضيها ومجدها الأثيل، وبذكرها بلغتها ودينها الحنيف[3] .

قال عنها توفيق المدني : "...كانت مثلا من أروع مثل الصحافة، محررة بأقلام بليغة نيرة، وقد حملت حملة صادقة على البدع والضلالات والموبقات التي يرتكبها الكثير من مشايخ الطرق، وقامت الحملة الإصلاحية الكبرى التي زعزعت أركان العقائد الفاسدة"[4] .

ومبدأ ابن باديس في النقد ليس موجها لأعمال الطرقيين فحسب وإنما هو موجه لكل من يتولى شأنا من شؤون الجزائريين، فرنسيين كانوا أم من أبناء الوطن.

ويؤكد ابن باديس أنه لا يتعرض في نقده للأشخاص، فيما يتعلق بأحوالهم الخاصة، وحدد في افتتاحية العدد الأول ثلاثة مبادئ يقوم عليها المنتقد، مبدأ سياسي ومبدأ تهذيبي، ومبدأ انتقادي، وقال في مبدأ النقد : "ننقد الحكام والمديرين والنواب والقضاه والعلماء والمقادم وكل من يتولى شأنا من أكبر كبير إلى أصغر صغير من الفرنسيين والوطنيين، وناهض المفسدين والمستبدين من الناس أجمعين، وننصر الضعيف والمظلوم، بنشر شكواه، والتنديد بظالمه كائنا من كان، لأننا ننظر من الناس إلى أعمالهم، لا إلى أقدارهم، فإذا قمنا بالواجب فلأشخاصهم منا كل احترام"[5] .

لكن "المنتقد" لم يلبث أن توقف بأمر حكومي، بعد أن عاش أربعة أشهر وصدر منها ثمانية عشر عددا[6] .

---

(1) – سعد الله، تاريخ الجزئر الثقافي، ج 5، ص 253.

(2) – محمد ناصر، الصحف العربية، ص 54.

(3) – عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925–1954، ط2، (الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع: 1983)، ص99.

(4) – أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 346.

(5) – المنتقد ع : 1،(2 جويلية 1925).

(6) – توقفت المنتقد بقرار من وزارة الداخلية الصادر في 29أكتوبر1925، أنظر Collot,opcit p : 369 : 369 ومحمد ناصر الصحف العربية، ص : 55.

غاب المنتقد ليخلفه الشهاب، فبرز العدد الأول منه في 12 نوفمبر 1925، وعلى صفحته الأولى آيتان قرآنيتان هما :﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾[1] و ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2]، في شكل جريدة أسبوعية ليتحول فيما بعد إلى مجلة شهرية، بسبب أزمة مالية.

وعن هذا يقول ابن باديس : "...ولقد غالبته الظروف بمالها من قوة وسلطان، ولقد قاومها بما له من حق وإيمان، ولو حاربته بغير المال لخرج كعادته غالبا منصورا، ولو أراد الاستكثار من هذا السلاح من كل وجه لكان نصيبه منه نصيبا موفورا، ولكنه عف وتكرم فكانت الغلبة عليه...تسطيع الظروف تكييفنا ولا تستطيع بإذن الله إتلافنا"[3] .

كان الشهاب خلفا للمنتقد في المبدأ والغاية، ولكن صاحبه هذه المرة تحرى المرونة السياسية، وخفف من لهجته في مخاطبة السلطات الاستعمارية، التي كانت تتربص بكل جريدة وطنية حرة، وشدد الخطاب مع الذين يسيرون في فلك الاستعمار من مستشرقين ومتفرنسين[4] .

فهذا المفكر الذي لم يكن يخفى عليه ما للصحافة من أهمية في نشر الفكرة الإصلاحية، وتوعية المواطنين، ومحاربة الظلم بكل أشكاله، كان يدرك جيدا حجم الخسارة التي قد تجنيها الأمة والمدرسة الإصلاحية بفقد هذه الوسيلة الفعالة في تحقيق الغايات.

عرفت الشهاب إقبالا كبيرا من القراء واستأثرت باهتمام المفكرين الجزائريين الذين كانوا حريصين على اقتنائها، ويرجع ذلك إلى اهتمامه بمعالجة الموضوعات المتصلة بالناحية السياسية والثقافية في الجزائر، وتتبع حركة النهضة ومراحلها.

كما أن صحيفتي ابن باديس كانتا تعكسان روحا صحفية متجددة في تتبعها للأحداث السياسية الدولية والعربية، ونقل الأخبار العلمية والأدبية.

وأهم خدمة علمية قدمتها الشهاب للمجتمع الجزائري هي تسجيلها لدروس التفسير والحديث للشيخ ابن باديس، تحت عنوان "مجالس التذكير"، فكانت بحق "...لسان الحركة الإصلاحية التي قربت بين الأمة وبين قراءها... وأزالت ما بينهما من جفاء"[5] .

ولأن الشهاب كانت تصدر في فترة تأسيس جمعية العلماء، فقد اهتمت بتسجيل أخبارها وأهدافها وبياناتها وبلاغاتها، ومتابعة أنشطتها، وبهذا تكون الشهاب أول صحيفة عرفت بجمعية العلماء وبأعمالها.

---

(1) – يوسف : 108.

(2) – النحل : 125.

(3) – الشهاب، ج 1، م 5،(فيفري 1929).

(4) – محمد ناصر، الصحف العربية، ص : 58.

(5) – الشهاب، ج 4، م 14،(جوان / جويلية 1938).

يذكر محمد خير الدين أن ابن باديس وهو رئيس جمعية العلماء في ذلك الوقت، كان يفضل مسؤولية الشهاب على مسؤولية الجمعية، لهذا حرص على أن تعكس آراءه الخاصة ويتحمل هو مسؤولية ما يكتب فيها، وكان يطالع الصحف العربية والأجنبية فينقل منها ما يراه متفقا والخط الفكري للمجلة، ولم تقتصر مطالعته على الصحافة الفرنسية، بل كان أيضا مهتما بالصحافة الأجنبية، حيث طلب من بعض أصدقائه الحصول على الترجمة الفرنسية لجريدة "البرافدا" السوفياتية وترجمتها إلى العربية[1] . وهذا يؤكد حرصه على تنويع مصادر معلوماته، ومجاراة الأحداث والمستجدات على الساحة العالمية.

كما ظهرت في فترة العشرينيات صحيفتان إصلاحيتان هامتان هما :"صدى الصحراء" و"الإصلاح"، ظهرت الأولى في بسكرة سنة 1925 لمديرها ورئيس تحريرها أحمد بن العابد العقبي وشارك في تأسيسها الأمين العمودي، والطيب العقبي، ومحمد العيد. وكان هدفها ملاحقة البدع وتعقب الطرقية الضالة والدعوة إلى الإصلاح والسير في الخط نفسه الذي سارت فيه الشهاب، كما كانت تهاجم الجرائد الانتفاعية المسالمة للحكم الفرنسي. توقفت عن الصدور بسبب خلاف بين أعضاء إدارتها وذلك في 29 فيفري 1926، أما علي مرحوم فيرجح أنها توقفت لأسباب مادية[2].وقد عادت للظهور سنة 1934 بغير الوجه الذي ظهرت به المرة السابقة، حيث ابتعدت عن اتجاهها الإصلاحي الأول واصطبغت بصبغة دعائية خالصة متأثرة في ذلك بالصراعات الحزبية التي بدأت تتفاقم في تلك الفترة[3].

أما الإصلاح، فقد أنشأها الطيب العقبي في بسكرة سنة 1927، لكن لم يصدر منها سوى بضعة أعداد بسبب الظروف المالية والوسائل الفنية التي كان يفتقدها.

ويبدو مما جاء في افتتاحية العدد الأول من الجريدة أن محمد العيد آل خليفة كان شريكا للعقبي في "الإصلاح" الذي قال : "...فبدا لي...أن أصدر جريدة إسلامية حرة في مباحثها، أدبية قبل كل شيء...عمل لهذه الغاية في الإصلاح، ولهذه المناسبة رأيت أن أسميها باسم "الإصلاح".. وقد قبل شاعر الشباب الناهض أخي "محمد العيد" أن يكون في هذه الجريدة شريكا مساعدا، بل عضوا مساعدا، فعددت هذا علامات الفوز والفلاح"[4] .

كان الدافع الرئيسي لإصدار جريدة الإصلاح هو إصلاح العقيدة الإسلامية، هذا ما ذكره الطيب العقبي في افتتاحية العدد الثاني (1929) حيث قال: " وأهم كل مهم وأولاه بالتقديم (عندنا) مسألة العقائد والكلام على تصحيحها فلا صلاح ولا إصلاح إلا بتصحيحها." وقد تميزت

---

(1) – محمد خير الدين، المصدر السابق، ج 2، ص : 117.

(2) – علي مرحوم،"نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية"، مجلة الثقافة، س 7، ع 42،(ديسمبر – يناير 1978) ص 30 .

(3) – محمد ناصر، الصحف العربية، ص : 62-63.

(4) – المرجع نفسه، ص : 86.

الإصلاح بلهجتها الشديدة وقوة الحجة في محاربتها لمختلف البدع والضلالات، وحملت حملة قوية على أصحاب الطرق والزوايا[1]

وقد بدا تركيز الإصلاح على النواحي الاجتماعية من حياة الأمة الجزائرية، وأهمها قضية "التجنس والتفرنج" التي كتب عنها محمد الأمين العمودي بأسلوب متميز، وتفكير عميق في محاولة لإثارة العلماء والمفكرين الجزائريين لبحث هذه المسألة والوقوف على أسبابها الخطيرة التي تمس الأفراد والمجتمع. كما وجهت اهتمامها الكبير إلى الناحية الأدبية، فكانت صفحاتها مجالا خصبا لأقلام الكتاب الإصلاحيين.

المرحلة الثانية :

كان ظهور جمعية العلماء حدثا هاما في نهضة الجزائر، ومنعطفا حاسما في مسيرة الإصلاح، إذ لم يكن من السهل على الجزائريين في تلك الظروف الاستعمارية الصعبة، جمع كلمة الإصلاح تحت راية جمعية تضم العلماء المسلمين الجزائريين.

ولأن جمعية العلماء كانت تهدف إلى إصلاح المجتمع في جوانبه المختلفة، فقد استعانت بالوسائل التي رأت أنها تقربها من الهدف الذي ترجوه، فبنت المدارس، وأسست النوادي العلمية للشباب، وأحيت التعليم المسجدي، وعقدت المؤتمرات...

وبسبب تعقد الظروف الاجتماعية، ورغبة منها في توسيع نطاق الاتصال بين مختلف الشرائح الاجتماعية، اتجهت إلى الصحافة، باعتبارها قناة مستمرة للتواصل بينها وبين الجماهير، قادرة على مخاطبة المجتمع حيثما كانت مواقع أفراده، فـ "...تنشر ما تسعى إليه من الغايات وما تراه ملائما لحال الأمة من التهذيب والتعليم وما قد تذيعه من التشريعات التي قد تقتضيها الحاجة... ولتدفع عن نفسها ما قد يلصقه بها المتقولون والمرجفون..."[2] .

أتيح لجمعية العلماء في فترة حياتها إصدار أربع صحف أسبوعية ابتداء من سنة 1933، أي بعد أن مر على ظهورها ما يقارب السنتين، وهي بالطبع صحف تعبر عن اتجاه الجمعية في الإصلاح والنهضة الإسلامية، والتعليم العربي ومحاربة البدع والطرق المرتبطة بالإدارة الفرنسية.

وتولى التحرير بها رجال لهم خبرة في الميدان الصحفي، كالشيخ العقبي، ومبارك الميلي ومحمد خير الدين والسعيد الزاهري وأبو يعلى الزواوي.

وقد عبرت الجرائد التي أصدرتها جمعية العلماء عن أطوارها، وواكبت مراحلها، ولهذا كانت اهتماماتها وموضوعاتها تلبية لاحتياجات وطبيعة المراحل التي صاحبتها. ويشير الإبراهيمي إلى أن الجمعية مرت في حياتها بثلاثة أطوار، وهذه الأطوار هي طور التمهيد، وطور لإزالة الأنقاض، وطور البناء والتشييد"...وكانت أسماء جرائدها رموزا إلى أطوارها"[3] .

---

(1) – علي مرحوم، "نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية"، ع 42، ص:31.

(2) – البصائر، س1، ع1، (27 سبتمبر 1935).

(3) – الإبراهيمي، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، ص:167 .

كانت جرائد الجمعية الأولى، السنة، والشريعة والصراط هي أقصر جرائدها عمرا بفعل قرارات التعطيل المتتابعة، فلم تعش كل واحدة منها أكثر من بضعة أشهر.

ظهرت "السنة" في أول مارس 1933، يعلو صفحتها الأولى شعار يتكون من آية قرآنية، وحديث نبوي، قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [1] وقوله ﷺ : ﴿فمن رغب عن سنتي فليس مني﴾ [2] .

ويعتقد محمد ناصر أن ظهور هذه الجريدة تحت هذه التسمية وراءه دافعان، الأول هو ردة فعل وتعريض بالنشاط الذي بدأته جمعية علماء السنة المنشقة عن جمعية العلماء منذ سبتمبر 1932. والثاني بيان الغاية التي من أجلها أسست الحركة الإصلاحية، وهو محاربة البدعة، والرجوع إلى السنة، ونشر الإسلام من منابعه الصافية[3] .

وظهرت الشريعة في 17 جويلية 1933، وقد كتب في صفحتها الأولى "الشريعة -النبوية المحمدية- لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحمل شعارين، قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾ وقوله ﷺ: ﴿فَمَن رغب عن سنتي فليس مني﴾. وتحت الإدارة نفسها التي كانت تشرف على جريدة "السنة النبوية"، وهذه دلالة واضحة على أن "الشريعة" خليفة "السنة" في غاياتها ومبادئها، وإن اختلفت أسماؤها.

وأما جريدة "**الصراط السوي**" التي خلفت "الشريعة" بعد أن عطلت[*]، فقد جاءت لتؤكد عزم الجمعية وإصرارها على المضي في طريقها، متحدية كل العوائق الإدارية، إيمانا بخطتها ونبل غايتها.

وقد افتتح العدد الأول من الصراط بمقال خصصه ابن باديس للحديث عن تعطيل "الشريعة"، وبيان القصد من إصدار الصراط وهو أن تخلف سابقتيها، فقال :"وها نحن اليوم نبرز جريدة "الصراط السوي" تسير على خطة سالفتيها وتسعى إلى غايتهما من نشر العلم والخير وخدمة الصالح العام والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل"[4] .

كما جاء فيه تصريح الوالي العام الفرنسي الذي حاول فيه التملص من مسؤولية العراقيل الإدارية، وأنه ليس ضد الجمعية ولا يقاومها بأي نوع من أنواع المقاومة وأنه لا يرى أي حرج في الدعوة الدينية التي يقوم بها الأستاذ الطيب العقبي، التي هي دعوة الجمعية.

---

[1] – الأحزاب : 21.

[2] – محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، (بيروت، دار الفكر: **1981**)، م 3، ج 6، ص 2، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، الحديث عن أنس بن مالك.

[3] – محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص:131.

[*] – عطلت "الشريعة" بقرار من وزارة الداخلية بتاريخ 29 أوت 1933.

[4] – الصراط السوي، ع 1،(11 سبتمبر 1933).

غير أن هذا التصريح لم يجد نفعا، حيث استمرت السلطات الفرنسية على أسلوبها التعسفي تجاه الصحافة العربية، وتواصلت العراقيل الإدارية والملاحقات البوليسية لأفراد جمعية العلماء، وعطلت ثالث جرائدها.

وكانت رابع جريدة تصدرها جمعية العلماء المسلمين بعد سنتين من تعطيل الصراط، هي البصائر إذ استغل مسؤولو الجمعية رحيل "جان ميرانت" عن الولاية العامة ليخلفه المدير الجديد "ميو" ليقدموا له طلبا بمنحهم رخصة لإصدار جريدة، وعبروا له أن مقصد الجمعية هو العناية بتربية الشعب وتهذيبه، وتعليمه لغته ودينه بعيدا عن السياسة، فمنحهم الرخصة التي أرادوا وظهرت البصائر[1].

برز العدد الأول من سلسلتها الأولى في 27 ديسمبر 1935، يرأس تحريرها ويديرها الطيب العقبي، وصاحب امتيازها محمد خير الدين، تحمل شعارا لها قوله تعالى : ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2].

كانت البصائر في البداية تطبع بالعاصمة في المطبعة العربية التي يملكها أبواليقظان، ثم تحولت إلى قسنطينة حيث أصبحت تطبع بالمطبعة الإسلامية الجزائرية، بإدارة ورئاسة تحرير مبارك الميلي سنة 1937، الذي عين بقرار من المجلس الإداري لجمعية العلماء وظل الميلي مديرا لها حتى توقفت سنة 1939 بسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية[3].

فقد رأت إدارة جمعية العلماء أنه من الأنسب توقيف إصدار الجريدة حتى لا تضطر لنشر ما لا ترضى عنه أو أن تجبرها الإدارة الفرنسية على إعلان ما لا يوافق رأيها[4].

وتعد البصائر من أهم جرائد الجمعية وأكبر الصحف العربية الجزائرية، وأوسعها انتشارا، وأعظمها أثرا في النهضة الوطنية، جاءت لتواكب طورا من أطوار حياة جمعية العلماء، هو طور البناء والتشييد، بعد أن انقشعت سحب الشك والريب عن البصائر، واقتنع الناس بالجمعية وما تقوم به من أعمال وما تهدف إليه من غايات، وما تدعو إليه من الإصلاح الديني والعلمي. فكان اسمها رمزا ودلالة على هذا الطور[5].

تميزت موضوعات البصائر في هذه المرحلة بتركيزها على نقد الأوضاع الداخلية، وملاحقة أعمال الطرق الصوفية التي أصبحت أداة للاستعمار.

---

(1) – محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص : 191.

(2) – الأعراف : 203.

(3) – عبد الملك مرتاض، المرجع السابق، ص : 108.

(4) – الإبراهيمي، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، ص:167.

(5) – المصدر نفسه، ج 1، ص : 209.

فكانت تقوم بتوجيه وإرشاد المجتمع بما تنشره من دروس تربوية وعلمية بين المسلمين. وحاولت لموضوعاتها المتنوعة أن تمزج بين مختلف جوانب الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية والفكرية والأدبية.

وكان أهم كتاب هذه الفترة الشيخ ابن باديس، والطيب العقبي، ومبارك الميلي، والإبراهيمي وأحمد توفيق المدني.

وقد ظهر في هذه المرحلة عدد من الصحف المساندة للاتجاه الإصلاحي الوطني "كالمرصاد"، و "الليالي" و "أبوالعجائب" و "الوفاق" و "الحارس" و "الدفاع".

ظهرت "المرصاد" في 27 ديسمبر 1931، مديرها محمد عبابسة الأخضري وصاحب امتيازها محمد الشريف جوكلاري(*).

وكانت الجريدة موالية لجميعة العلماء، وهو ما أعلنته في افتتاحية عددها الأول.

كانت شديدة العناية بالدعوة إلى المحافظة على القيم الروحية للفرد الجزائري، والدفاع عن أصالته، ولأنها كانت تهدف إلى أن ينال الجزائريون حقوقهم في جميع نواحي الحياة، متساوين في ذلك مع الفرنسيين، فقد أبدت عناية خاصة بالمشاكل التي تهم الأهالي، وفي مقدمتها الوضع الاقتصادي وواقع الفلاحين، باحثة عن الأسباب التي جعلتهم يعيشون حياة البؤس والشقاء، وهو استجابة للظروف الاقتصادية التي عاصرتها "المرصاد"، وهي فترة الأزمة الاقتصادية العالمية، والتي عانى منها الفلاح أكثر من غيره، وإلى جانب ذلك، اهتمت "المرصاد" بالحياة الأدبية الجزائرية ونشر قصائد كبار الشعراء(1).

وإضافة إلى الأسلوب الجاد، تبنت بعض الجرائد الإصلاحية الأسلوب الفكاهي التهكمي في نقد الأوضاع الداخلية للبلاد، ونقد الاتجاهات المعارضة للإصلاح.

ويذكر "سيف الإسلام" أن الفرنسيين هم أول من أنشأ جرائد ساخرة في الجزائر، كان هدفها تسلية الجمهور الفرنسي. فظهرت جريدة "الشيطان Chitann" سنة 1865، وهي كما كتبت تحت عنوانها نشرة تهتم بالفن والمسرح والفكاهة والنقد، وأيضا جريدة "الرامي Le tirailleur" سنة 1858، وجريدة "التيركو Turco" وغيرها من الجرائد الساخرة.

وكانت جميعها تحتوي إلى جانب أسلوبها الساخر في كتابة الموضوعات، على رسومات كاريكاتورية تصور شخصيات معروفة، وتعليقات مضحكة.

وعموما، فالصحافة الفرنسية الساخرة قد أنشئت لتسلية القارئ الفرنسي بألوان من الفن والأدب والمسرح، ولهذا كانت قليلة الاهتمام بالسياسة(2).

(*) – محمد الشريف جوكلاري، فرنسي إعتنق الإسلام، عرف بنزعته الإصلاحية الوطنية.

(1) – محمد ناصر، الصحف العربية، ص:119–121–123.

(2) – الزبير سيف الإسلام، المرجع السابق، ج 3، ص:9.

وبسبب احتكاك الجزائريين بالصحافة الفرنسية والعربية التي عرفت هي الأخرى أسلوب الصحافة الساخرة فقد تأثروا بهذا الاتجاه في معالجة مختلف القضايا، وقامت الصحافة الجزائرية منذ ظهورها بنقل بعض مقالات الصحف العربية الساخرة، لتعيد نشرها على صفحاتها، ومن هذه الجرائد "أبونظارة" و "أبوالهول" المصريتين(*)[1]. إضافة إلى استعداد بعض الجزائريين وقدرتهم على استعمال هذا الأسلوب الصحفي.

وتعتبر الصحافة الساخرة لونا صحفيا جديدا تبنته الحركة الإصلاحية في مواجهة خصومها ومعالجة الآفات الاجتماعية. تبلور أكثر فأكثر بعد اشتداد الصراع بين الطرقيين ورجال الإصلاح وبخاصة بعد ظهور جمعية العلماء المسلمين، حيث أن بعض رجال الطرقية كانوا يقومون بمهاجمة جمعية العلماء وينتقدون منهجها الإصلاحي عن طريق جرائدهم بأسلوب تهكمي ساخر، وكرد فعل قامت بعض الشخصيات الإصلاحية بإصدار صحف تبنت نفس الأسلوب لمواجهة الطرقيين وصحفهم.

ومنها صحيفة البرق التي صدرت في 7 مارس 1927 بقسنطينة وهي كما تقول (صحيفة اجتماعية أدبية انتقادية سياسية اقتصادية فكاهية) شعارها (خدمة الوطن والمصلحة العامة واستثمار المال).

تبنت الانتقاد السياسي وتناولت الموضوعات الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر واهتمت أكثر بكشف بعض أساليب الطريقة العليوية كما اعتنت بالأوضاع السياسية للعالم الإسلامي وبعض الدول الغربية.

شارك في تحريرها عدد من الكتاب المعروفين بنزعتهم الإصلاحية المتحمسة، ويأتي في مقدمتهم محمد السعيد الزاهري الذي كان يمضي مقالاته بـ "تأبط شرا"، والذي عرف بأسلوبه الحاد في مهاجمة خصومه، وبطريقة فيها غير قليل من التهكم والسخرية[2] . ويعلق محمد ناصر بأن أسلوب الجريدة ليسف أحيانا حتى يصل حدا من الإقذاع والبذاءة ما يندى له الجبين.

كما قام بعض رجال الإصلاح بإنشاء جريدة "الجحيم" في 30 مارس 1933 ردا على ما كانوا يلاقونه من سب وشتم من قبل جريدة المعيار[3] .

لكن، هذه الصحف تراجعت فيما بعد عن هذا الأسلوب حينما رأت أنها قد ابتعدت عن الهدف.

(*) – كانت جريدة الحق الصادرة في عنابة تنقل بعض المقالات عن هاتين الجريدتين، وقد صدرت صحيفة (أبونظارة) أول مرة في مدينة القاهرة عام 1877م، لصاحبها يعقوب صنوع، تحت اسم (أبونظارة زرقاء)، وقد أعاد إصدارها في باريس عام 1878م، بعد النقد الذي وجهه لتصرفات الخديوي إسماعيل. انظر: فاروق أبو زيد، الصحافة العربية المهاجرة.

(1) – محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص:23.

(2) – المرجع نفسه، ص:85.

(3) – المرجع نفسه، ص:133.

ثم ظهرت صحف ساخرة، إلا أنها كانت هادفة وبعيدة عن الأساليب التي تسيء إليها كصحف إصلاحية. ومن هذه الصحف "البستان" وهي إحدى الجرائد المتعددة التي أصدرها أبواليقظان، ظهرت في قالب انتقادي فكاهي من أجل أهداف أوضحها في افتتاحية العدد الأول، حيث يقول : "بناء على تعطش قسم كبير من الأمة إلى جريدة فكاهية، لذيذة، خفيفة الروح، نزيهة الأسلوب، نبيلة المقصد، وحيث أن طبقة كبيرة من العامة لم تستفد لا قليلا ولا كثيرا من جرائدنا العربية الجدية، لعلوها على مستواها الفكري، ولحرصنا على نيلها حقها -وهي عطشى- من هذا الحوض المورود، وأخذها حظها -وهي جوعى- من هذا الطلع المنضود، ما يسيغه حلقها، وتهضمه معدتها. وحيث أن فريقا من ظرفائنا بقوا محرومين من مجال تجول فيه أقلامهم الطريفة، حيث أن حريق الأزمة وحماها أسال من النفوس وأذاب من الأمخاخ، وصدع من الرؤوس، ما ترك الناس وهم إلى أنواع المسليات أحوج..."[1].

هذا الأسلوب الجديد لأبي اليقظان في الكتابة الصحفية لم يكن وليد الأسباب التي ذكرها في هذا المقام، بل إن الأسباب الحقيقية -حسب محمد ناصر- هي ما ذكره عندما راح يؤرخ لصحافته بعد حوالي ثلاثين سنة من هذا التاريخ، وهو التحايل أمام سلطة جائرة لتسلم جريدته من التعطيل.

ولهذا ظلت المحتويات الفكرية للجريدة وأهدافها التي دعا إليها هي نفسها التي كان يدعو إليها في صحفه السابقة، غير أنه ابتعد عن الإسهاب الذي عرفت به مقالاته، فجاءت أغلب مواد البستان في شكل خواطر سريعة ومركزة تعالج مواضيع اجتماعية وإصلاحية أو سياسية[2].

وفي نفس الاتجاه ظهرت جرائد أخرى "كالليالي" التي أنشأها علي بن سعيد خريج جامع الزيتونة وأحد المعلمين في مدارس الحركة الإصلاحية سنة 1936، و "أبوالعجائب" لصاحبها محمد العابد الجيلالي صاحب كتاب (تقويم الأخلاق) سنة 1935[3].

ومن صحف الاتجاه الإصلاحي أيضا جريدة "**لاديفانس**" "الدفاع"، ولعلها تعد أول صحيفة إصلاحية تصدر باللغة الفرنسية، من إنشاء أحد أعضاء المجلس الإداري لجمعية العلماء هو الأمين العمودي سنة 1934.

جاءت لتآزر الخطاب الإصلاحي الصادر باللغة العربية، ولتساهم في توضيح مطالب الشعب الجزائري للحكومة دون واسطة، ولشرح مواقفه للرأي العام الفرنسي.

توقفت الدفاع كغيرها من الصحف الإصلاحية في 1939 بسبب الحرب العالمية الثانية[4]. وإضافة إلى هذه الصحف، هناك صحف أبي اليقظان التي أصدرها ما بين 1926 و 1938 منها:

---

(1) - محمد ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، ط 3، (الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب : 1983)، ص:215.

(2) - محمد ناصر، الصحف العربية، ص:142-143.

(3) - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، ص:257.

(4) - نورالدين ثنيو، المرجع السابق، ص:129.

النبراس(*)، والأمة(**)، والفرقان(***)، إلى جانب الصحف التي ذكرت من قبل. وهي من حيث مضمونها لم تختلف كثيرا، فقد اهتمت جميعها بالأخبار المحلية ودافعت عن القضايا العربية الإسلامية وناصرت الفكرة الإصلاحية ودعت إلى الوحدة والتضامن.

وفي الفترة التي تلت نشوب الحرب العالمية الثانية، لم يظهر سوى عدد قليل من الجرائد، من بينها جريدة الإصلاح[1]، إلا أن ظهورها لم يكن منتظما إذ أنها كانت تظهر وتختفي بين الفترة والأخرى، وأحيانا كان يدوم هذا الغياب لعدة سنوات، ففي فترتها الثانية عرف صدورها انقطاعا دام أكثر من خمس سنوات ذلك من 26 فيفري 1942 إلى 10 أفريل 1947، إلى أن توقفت نهائيا بتاريخ 3 مارس 1948، بعد أن صدر منها ثلاثة وسبعون عددا[2].

وقرابة انتهاء الحرب وإلى غاية قيام الثورة التحريرية، عادت الصحف الوطنية إلى الظهور، وكانت أغلبها تابعة للأحزاب السياسية الوطنية، منها صحف حزب أحباب البيان والحرية، وحزب الشعب، كما سبق ذكر ذلك.

أما الصحافة ذات الاتجاه الإصلاحي فإن أهم ما صدر في تلك الفترة، البصائر التابعة لجمعية العلماء المسلمين التي أعادت إصدارها في 25 جويلية 1947، يرأس تحريرها ويتولى إدارتها محمد البشير الإبراهيمي.

عادت البصائر لتؤكد رغبة الجمعية عن طريق الاتصال المستمر بالفرد والمجتمع في تحقيق أسس ومتطلبات التفاعل السليم والمتناسق، في سياق المشاركة في التغيير، وتستهدف قبل ذلك بناء شخصية الفرد وإحساسه بكرامته وقدرته على الإنجاز.

فكانت سجل الحركة العلمية والأدبية بالقطر الجزائري، وثبتا حافلا بأعمال جمعية العلماء.

(*) – صدر العدد الأول منها في 21 جويلية 1933 وذلك بعد شهرين من تعطيل البستان، وقد تضمن مقالها الافتتاحي نقدا لاذعا للسلطة الاستعمارية وموقفها من الصحافة العربية في الجزائر بصفة عامة، وصحافة أبي اليقظان بصفة خاصة.

(**) – ظهر أول عدد من الأمة يوم الجمعة 11 جمادى الأولى 1352 هـ / 8 سبتمبر 1933م، تتحدد مجالات اهتمامها في نقاط رئيسية هي:

القضايا السياسية المحلية وأخبار الجزائر ، و القضايا العربية الإسلامية ، والقضايا الدولية، والحركة الإصلاحية وأخبار جمعية العلماء، وكان أكثر اهتمامها ينصب حول التجارة والأمة الميزابية، فقد جاء في أحد أعدادها الإشارة إلى ذلك: " ولقد أظهرت الأمة الغراء اعتناء خاصا بالتجارة الأهلية، ولها الحق في ذلك إذا علمنا أن جل قرائها من أصحاب هذه المهنة. " انظر: الأمة، ع 49، 5 نوفمبر 1935.

(***) – هي ثامن وآخر جريدة أصدرها أبو اليقظان، ظهر العد الأول منها في 5 يوليو 1938، وتوقفت في 2 أوت 1938 بقرار من الإدارة الاستعمارية.

(1) – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، ص:270.

(2) – علي مرحوم، " نظرة على تاريخ الصحافة العربية في الجزائر" ، ع 42، ص:37.

ويأتي في مقدمة المواضيع التي اهتمت بها البصائر، "...فصل الدين عن الحكومة، وما يتفرع عن الفصل كالمساجد والأوقاف، وحرية الصوم والحج وحرية التعليم العربي، ومنها دراسة مناهج التعليم في المدارس الحرة والمعاهد، ومحاربة الجراثيم التي داخلت الجهاز التعليمي..."[1].

كما اهتمت البصائر أيضا إضافة إلى غايتها بمختلف جوانب الحياة الداخلية، بالوحدة العربية، وبحثت سبل الخروج من الوطنيات الضيقة إلى الوطنية العامة.

وترى أن البرقيات والاحتفالات لا تستطيع أن تجمع العرب، وإنما الوحدة تتحقق بالأعمال التي تكون سبيلا لها. ولهذا قررت البصائر أن تبدأ بالمساهمة في هذه الوحدة بجانب اهتمامها بمختلف قضايا الوطن العربي أن تعالج قضية التعليم العربي، الذي تراه سبيل الوحدة الثقافية والفكرية، وضرورة الدعوة إلى توحيد المناهج، والعناية بالتربية الخلقية في الجامعات والمدارس الابتدائية العربية[2]. كما شغلت قضية فلسطين مساحة كبيرة من اهتمام البصائر.

وهكذا لعبت صحف الجمعية دورا بارزا في تطور الصحافة العربية بالجزائر، واستطاعت مع مدارسها أن تعيد للغة العربية كيانها من جديد وأن تنشئ جيلا جديدا من الكتاب والشعراء.

وإلى جانب البصائر أسست جمعية العلماء جريدة باللغة الفرنسية وهي جريدة "الشاب المسلم"[*]، كانت موجهة لأنصار الإصلاح المتعلمين بالفرنسية وللرأي العام الفرنسي.

وهناك جريدة ثالثة موالية للحركة الإصلاحية، هي جريدة الشعلة ظهرت سنة 1949 يرأسها أحمد رضا حوحو، وصاحب امتيازها الصادق حماني. كانت تهاجم الطرقية والبدع والجمود، وتكشف أساليب الإدارة الاستعمارية[3]، دامت حياتها نحو عامين وصدر منها أربعة وخمسون عددا[4].

ثالثا: أهداف الصحافة الإصلاحية :

اجتمعت ظروف وأسباب عديدة في الواقع الجزائري، جعلت حديث المصلحين عن أهمية الصحافة في تبليغ رسالة الإصلاح يتحول من مجرد تعبير عن إحساس إلى قناعة راسخة وحرص على امتلاكها إلى أن أصبح وجودها حقيقة واقعة.

---

(1) – الإبراهيمي، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ج2 ، ص: 230 .

(2) – المصدر نفسه، ج2 ، ص233.

(*) – أشار إلى هذه الجريدة: – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5،

– محمد الهادي الحسني، المرجع السابق.

ولكن دون إعطاء معلومات عنها، كما جاء في البصائر عدة إعلانات عنها. وقد حاولت العثور عليها لكني لم اتمكن من ذلك، لعدم توفرها في المكتبات الوطنية أوالمكتبات الخاصة.

(3) – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، ص:272.

(4) – علي مرحوم، " نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية"، مجلة الثقافة، س 8، ع 46، (أغسطس – سبتمبر 1978) ص38 ،

وتأتي في مقدمة هذه الأسباب والدوافع، الخصائص التي تتميز بها الصحافة كوسيلة إعلام واتصال، والتي لم تكن تخفى على أحد وبخاصة المهتمين بها.
ولهذا تكررت إشارتهم إلى هذه الخصائص وفي مناسبات مختلفة، واستمرت حتى بعد ظهورها. ومثل ذلك الوصف الذي قدمه مبارك الميلي للصحافة فهي كما قال:"تحفظ جيد الأقوال، وتزيد النظريات، وتدخل بها على الطالب في مسكنه، وعلى التاجر في متجره وعلى الصانع في مصنعه، وعلى الملأ في ناديهم وعلى المسافر في مركبهم بل لا يحجبها على الفتيات خدر ولا حرس... وما وجدت فكرة الإصلاح الديني بأرض الجزائر حتى وجدت لها صحف تعبر عنها وتبشر بها وتدافع عنها"[1].

وتتلخص أهم خصائص الصحافة -حسب الميلي- في قيامها بتسجيل وقائع الحياة الاجتماعية، تجعل منها في المستقبل مصدرا من مصادر التاريخ، وقدرتها على الوصول إلى كل فئات وطبقات المجتمع على اختلاف مستوياتهم وأعمارهم، وأماكن تواجدهم، وأخيرا الصحافة هي لسان الإصلاح تعبر عنه، وتدعو إليه، ولهذا ارتبط وجود الحركة الإصلاحية ونشاطها بالصحافة.

كما أن واجب مواجهة مشكلات المجتمع المتعددة، وتعرض الهوية الحضارية للتشويه والتمزيق، كان يفرض على المصلحين التنويع في وسائل الاتصال، وتجاوز الوسائل القديمة.

وإضافة إلى ذلك فإن دراسة الطلبة الجزائريين بالجامعات الإسلامية، القرويين والزيتونة والأزهر، جعلهم يلاحظون وجود حياة سياسية وصحفية هامة وخاصة في تونس، وعندما عادوا إلى الوطن عملوا على تطوير الحياة الثقافية وتنظيم النضال الوطني، وفي هذا الإطار تم إصدار المنتقد أول جريدة لابن باديس ثم الشهاب[2].

لعب المصلحون دورا بارزا في تشكيل محتوى الجرائد، إذ كانوا هم المحررين للمقالات وهم الذين يصيغون الأخبار وأحيانا يتولون عملية الطبع بسبب الظروف المادية ولهذا انعكس اتجاههم الإصلاحي على صفحات الجرائد التي اتخذوها وسيلة لأداء وظائف تخدم أهدافهم، ومنهج الإصلاح هو إلى حد كبير إفراز لشخصية المصلح في طبيعة تكوينه الثقافي وتفاعله مع البيئة.

– **التغيير الاجتماعي** : الوظيفة الأساسية لوسائل الإعلام بصفة عامة، والصحافة بصفة خاصة هي أنها عامل من عوامل التغيير، بفضل قدرتها على غرس الرغبة في التغيير، ولهذا اتسعت الصحافة الإصلاحية إلى الدعوة إليه والتأكيد على ضرورته وزيادة الأمل في النفوس بإمكانية تحققه.
فالظروف التي ولدت فيها، لم تجعل مهمتها، هو إكساب الناس المعلومات ونقل الأخبار فقط، ولكن مهمتها أيضا هو إكسابهم طرق جديدة في التفكير والسلوك، وإقناعهم بذلك.

---

[1] – البصائر، ع 80،(29 أكتوبر 1937).

[2] - Elias Hanna Elias,La presse arabe, (Paris, Maisonneuve et La Rose : 1993), p : 60.

ولتحقيق هذا التغيير المطلوب عملت على محورين :

الأول : هو تحديد الخلل وشرح وتحليل الوضع، فالشعور بالخلل هو نصف الحل، لأن المجتمع عاش فترة طويلة على تلك الحال ؛ حيث بات من الصعب عليه قبول التغيير بسهولة. ولهذا كان تركيز الصحافة الإصلاحية وتكرار الموضوعات المعالجة، والعناية بتحليل مختلف جوانب الخلل من أهم ميزاتها، حيث يلاحظ كل مطلع على الصحف الإصلاحية اشتراكها في تناول بعض المواضيع، وكذا تأكيدها على فكرة ما من خلال عرضها من جوانب مختلفة.

الثاني : لم تكتف الصحافة الإصلاحية ببيان مواطن الانحراف والجوانب التي يجب أن تعالج فقط بل اهتمت أيضا بتوضيح خطتها في التغيير، ولعبت دور الموجه والمرشد.

وأهم الموضوعات التي ركزت عليها الصحافة الإصلاحية، هو موضوع العقيدة الإسلامية، في سبيل تجديد الدعوة إلى التوحيد وتحريرها من العقائد الزائفة التي صنعها الاستعمار والطرقية، وتخليص ضمائر الأفراد من العبودية لغير الله في أي صورة كانت.

ويرجع تركيزها على العقيدة إلى :

- طبيعة الاستعمار الذي يعتبر في بعض جوانبه امتدادا للحملة الصليبية على البلاد، التي تهدف إلى إقصاء الإسلام وتحويل الجزائر إلى مستعمرة مسيحية بتهديم المساجد أو تحويلها إلى كنائس وبسيطرتها على الأوقاف الإسلامية ومصادر تمويلها.

وقد أشار الإبراهيمي إلى هذا الوجه الصليبي للاستعمار حينما قال : "كان الاستعمار دينيا مسيحيا عاريا، وقف للإسلام بالمرصاد من أول يوم انتهك حرماته، من أول يوم فابتز أمواله الموقوفة بالقهر، وتصرف في معابده بالتحويل والهدم.. وتدخل في شعائره بالتضييق والتشديد كل ذلك بروح مسيحية رومانية تشع بالحد وتفور بالانتقام[1]. فقام بتأسيس مراكز التبشير، واغتنم المجاعات والأوبئة لاصطياد اليتامى والمرضى لإبعادهم عن دينهم وهدم قيمهم الإسلامية التي تقوم على التوحيد.

كما لاحظ كتاب آخرون استفحال خطر المبشرين في بلاد القبائل، والأمثلة في هذا الباب كثيرة. فتحت عنوان "جماعة المبشرين الأمريكانية "دوميتوديست" ببلاد القبائل" كتبت إحدى الصحف الإصلاحية : "مما يزيد نفوذ هؤلاء المبشرين استفحالا وخطرا معرفتهم الدقيقة للغة الوطن الذي هم فيه ولطابع القبائل وغرائزهم، وانسيابهم في عائلات الأهالي وجلبهم محبتهم واستمالتهم لهم بعطاياهم الفاخرة، فلا ننسى من ذلك أن هؤلاء المبشرين الميتوديست الأمريكية هم الذين أيقظوا الفتنة التي نشبت نيرانها بعين طاب بسوريا..."[2].

يظهر أن الهدف من هذا النص هو التحذير من خطر المبشرين وأساليبهم في استمالة الناس، وأهدافهم من وراء عملية التبشير التي يبدو أن الغرض منها ليس غرضا دينيا، بل هي الفتنة،

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ج 3، ص80 .

[2] - الشهاب، ج 6، م 5، (جويلية 1929).

وإشعال نيران الثورات، حيث ذكر في آخر هذا المقال إشارة إلى أن هذه الجمعية هي التي كانت -بعد الحرب العالمية الأولى- وراء الثورة التي وقعت في الكونغو وأودت بحياة عشرين ألفا من الأهالي.

ولهذا زاد اهتمام الصحافة الإصلاحية بالدفاع عن العقيدة، ونشر الأفكار والمبادئ الإسلامية في مواجهة حملات التنصير والكشف عن صلتها بالاستعمار.

ولاحظ المصلحون أيضا أن العقيدة والأخلاق في المجتمع الجزائري أصبحت بعيدة عن روح الإسلام ؛ إذ لا يمكن لفرد أن يعتقد عقيدة معينة ويرسخ إيمانه بها ثم تأتي تصرفاته مخالفة لذلك الاعتقاد، إلا إذا كان هذا الاعتقاد خاطئا أو اعترته بعض الانحرافات أو أن يكون مجرد تقليد من غير يقين، وهذا بالنظر إلى واقع الحال، فمن مظاهر الانحراف العقائدي انتشار البدع والخرافات التي أفسدت العقول والسلوكات فكانت سببا في تأخر المجتمع، ولهذا اتجهت الصحافة الإصلاحية إلى تتبع البدع المتفشية في المجتمع الجزائري، وبيان مفاسدها.

وأخذت تصور الحالة التي وصل إليها المغرب العربي، حيث أصبح "في كل بلد أو قرية عدة طوائف، وهذا لم يكن معروفا في سلف الأمة الذين هم القدوة لمن بعدهم"[1]. وكيف كان أصحاب هذه البدع سبب البلايا التي يعاني منها المسلمون "هؤلاء هم الذين تكرر إنكار العلماء عليهم من عهد بعيد، وهم أصل كثير من البلايا التي يعانيها المسلمون اليوم، ثم بعد هذا كله يزعم قوم أنهم رجال التصوف وأنهم ما أنكر عليهم إلا علماء اليوم !"[2] .

وتؤكد إحدى المجلات الإصلاحية أن ما يأتيه الطرقيون بدعة لم يعرفها السلف، تقوم على الاستغلال والإذلال للناس، بالغلو في الشيخ والتحيز لأتباعه وخدمة داره و أولاده، كما تقوم على تجميد العقول وإماتة الهمم وقتل الشعور[3] .

وقد عالجت الصحافة الإصلاحية في عمومها القضايا الأخلاقية واتجهت إلى محاربة الآفات الاجتماعية من فسق، وخمور، وقمار وتسكع، وقاومت الأخلاق ذات الطابع الانفرادي الذاتي مثل الأنانية، وتفضيل المصلحة الشخصية على المصلحة العامة، وطغيان التفكير المادي واللامبالاة.

وبهذا أصبح هدف الصحافة الإصلاحية إسهاما عمليا في الحفاظ على عقيدة الأمة وشخصيتها وكيانها، ودعم قيمها الأساسية.

2- التوجيه والإرشاد : لقد عملت الصحافة الإصلاحية على توجيه سلوك الأفراد والمجتمع، وفقا للمبادئ والقيم الإسلامية، فلم تكتف بشرح وبيان مواطن الانحراف والخلل، بل اهتمت أيضا بتوضيح خطتها في التغيير والحلول، بانتقاء الموضوعات والأخبار، ثم تفسيرها والتعليق عليها،

---

(1) - الصراط السوي، ع 1، (11 ديسمبر 1933).

(2) - الصراط السوي، ع 1، (11 ديسمبر 1933).

(3) - الشهاب، ج 4، م 13،(11 جوان 1937).

والحث بشكل مباشر على السير نحو المثل الإسلامي الأعلى لتقي المجتمع من كافة الأخطار، والتربية والإعداد على معاني الإسلام وتوجيهاته العامة، وذلك من خلال التأكيد على ضرورة الرجوع إلى الإسلام وأخذه من مصادره.

ودعت الصحافة الإصلاحية إلى ضرورة التخلق بالأخلاق الفاضلة، مبينة أثر ذلك في حياة الفرد والجماعة في تلافي مختلف الأدواء التي أصابت المجتمع، ولهذا قال أحد رواد الصحافة الإصلاحية : "ولاشك أن من يخلق بهذه الأخلاق الفاضلة يأبى الذل والفقر والكسل والخمول في التوكل على الغير، والإحالة على القضاء والقدر في حالة سلامة القوى والحقد والحسد والمخادعة والتملق والكذب والنفاق إلى غير ذلك من الداءات"[1] .

واهتمت الصحافة الإصلاحية بتحسيس العلماء بواجبهم في التوجيه والإرشاد لأنه عمل عظيم لا يكون إلا من عالم بالحق، وما أوتي العلماء المعارف الدينية إلا ليقوموا بتربية الشعب وتهذيب العامة، والعمل على تبليغ الإسلام وتوضيح شعائره[2] .

واعتبرت التواكل وترك العمل من أسباب تأخرها وانحطاطها وتخلفها عن الأمم الأخرى، وتأكيدا قامت بعقد مقارنة بين ما حققه السلف بفضل العلم، وما صار عليه الخلف من تخاذل وكسل وجهل، وكيف أن هذه المظاهر أفضت إلى جمود المجتمع، وتمكن أعدائه منه، وتعمقت أكثر فبينت الأسباب وراء هذه الآفات[3] .

3- **نشر الوعي الثقافي** : شكلت الصحافة الإصلاحية، في المجتمع الجزائري أداة ممتازة لنشر الثقافة العربية الإسلامية، ولعبت دورا كبيرا في التوصيل الثقافي، عن طريق انتقاء المحتوى وابتداعه، مع تحقيق الذاتية الثقافية، والقضاء على المخاطر التي تهددها، بتوسيع نطاق انتفاع الجمهور بها، كما أتاحت للمبدعين والمفكرين والأدباء فرص التعبير عن أنفسهم، بما يسهم في حفز الإبداع ونشر الثقافة الرفيعة، وبفضل الصحافة الإصلاحية العربية، ازدهر الأدب العربي وارتقى، وبرز كثير من الكتاب المبدعين.

وواجهت الغزو الثقافي الذي كان عاملا مباشرا في ظهور موجات الإلحاد وانتشاره بين الشباب والذي كان يغذيه الاستعمار بوسائله المختلفة وفي مقدمتها المدارس، والطرق الصوفية المنحرفة التي استغلت أمية المجتمع وسذاجته لتحقيق أغراضها، بنشر ثقافة خرافية، وهي ثقافة عصور الانحطاط وأيضا رجال الدين الرسميون الذين كانوا يستغلون المنابر لخدمة الأهداف الاستعمارية، فيشوهون الحقائق ويعطون صورة مخالفة لحقيقة الإسلام.

---

[1] - عمر راسم، ذوالفقار، ع 3،(14 جوان 1914).

[2] - الفاروق، ع 29،(12 سبتمبر 1913).

[3] - انظر على سبيل المثال : الفاروق، ع 95،(15جانفي1915).

هذه العوامل جعلت الشباب الذين تعلموا في المدارس الفرنسية ينبذون الدين، وينطلقون في تغيير المجتمع من فكرة علمانية غربية تدعو إلى الاقتداء بالحضارة الأوربية وتقليدها في كل مظاهرها، والوقوف في وجه كل محاولة إصلاح تنطلق من الإسلام لاعتقادهم أن تخلف المجتمع وضعفه يرجع إلى الدين.

كان لهذا التيار العلماني والطرقي وسائله التي ينشر بها أفكاره في محاولة للتأثير على المجتمع وتوجيهه والصحافة في مقدمة هذه الوسائل.

وحتى لا يسير التأثير في اتجاه واحد فيؤدي إلى هيمنة الثقافة الغربية من جهة واستمرار نفوذ الطرق الصوفية على العامة من جهة أخرى كان على الحركة الإصلاحية أن تستوعب هذا المشكل وتفهمه جيدا لتحدد أفضل الطرق لمواجهته. ولهذا اتخذ المصلحون من الصحافة منبرا للحوار مع هذه الفئة، ومجالا حيويا للتخاطب معهم، في محاولة لإعادة ثقتهم بالإسلام وبتراثهم، ومنحهم فرصة جديدة لفهم حقيقة الإصلاح وطبيعته، وإيجاد وعي واهتمام بالحاجة إلى التغيير نحو المثل الإسلامي الأعلى.

ومن جهة أخرى سعت لكشف أعمال الطرقيين وأهدافهم في سبيل تنوير الرأي العام بحقيقة هذه التيارات والتوجهات، ووقاية المجتمع من خطر تأثيرها.

ب- الدفاع عن مقومات الشخصية الجزائرية : كان الوضع السياسي الاستعماري في الجزائر في بعض جوانبه من العوائق التي وقفت في وجه الصحافة الإصلاحية، ألجأها إلى التخلي أو التعديل في مسارها، بسبب عدم توفر مناخ حرية ملائم.

فالوضع القانوني الذي وضعه النظام الاستعماري للتحكم في سير العمل الصحفي أثر ودون شك على ظهور أو اختفاء بعض الوظائف، وانعكس على وضع ومكانة الصحافة الإصلاحية بصفة عامة.

فقد دخلت في صراع مع الحكومة الفرنسية لمقاومة ضغوطاتها وتدخلاتها، مما جعلها تنشغل في هذا الصراع، وتهدر كثيرا من طاقاتها، وأوقاتها في سبيل تجنب تدخلات الإدارة وجعل حياتها غير مستقرة.

كل ذلك جعلها تضطر إلى إخفاء بعض مواقفها وتأجيل الإعلان عن آرائها إزاء قضايا معينة، وتحولت أولويات عملها في بعض مراحل حياتها إلى الحفاظ على استمرارها، فلم تتميز في تلك المرحلة من حياتها بأي ميزة خاصة ومهمة وكانت "..خالية تقريبا من المواقف الجديرة بالذكر وإنما كان همها الصمود ومواصلة الظهور"[1].

لذلك ابتعدت عن النقد المباشر للسياسة الاستعمارية، وتخلت عن بعض التزاماتها تجاه المجتمع.

---

[1] - زهير إحدادن، " الصحافة الجزائرية من بدايتها إلى الاستقلال"، ص 110، هذه المرحلة هي مرحلة القمع والصمود التي تبدأ حسب تقسيمه من 1925 إلى 1935.

لكن هذا النظام الاستعماري الذي يقوم على التحكم في الحاجات الضرورية لحياة المجتمع ومصيره، قد تحول إلى دافع قوي أملى على الصحافة الإصلاحية القيام بأهم مسؤولية ملقاة على عاتقها، وهي القيام بواجبها في الكشف عن حقيقة الاستعمار وأساليبه، والدفاع عن وجود المجتمع الجزائري، بحماية عقيدته وتراثه، ودعم مقومات شخصيته الوطنية.

هذا ما تكشفه الموضوعات المختلفة التي تناولتها الصحافة الإصلاحية، التي تنوعت لتلتقي في النهاية عند هدف واحد هو استقلال الشخصية الجزائرية، حيث يظهر تركيزها على قيم العروبة والإسلام.

وكتبت الصحافة الإصلاحية عن الجوانب السياسية، ونشرت المقالات التي تعالج الوضع الداخلي في الجزائر المحتلة، وإن لم يكن ذلك بطريقة مباشرة في بعض الأحيان، وفي بعض الفترات الصعبة التي مر بها المجتمع.

وأهم ما ميز مقالاتها هو ربط المشاكل المختلفة في الواقع الجزائري بالنظام الاستعماري.

فعلى الرغم من أن النظرة السائدة عن الحركة الإصلاحية أنها لا تريد الدخول في غمار السياسة، فإنها وجدت نفسها مجبرة على اقتحامها، لأن السكوت كان يعني الموافقة على السياسة الاستعمارية وهو موقف يتناقض ومبدأها ودعوتها للنهوض ومواجهة كل معيقات الحركة الإصلاحية والاستعمار أولها. فكان من الطبيعي أن تهتم الصحافة الإصلاحية بالسياسة الاستعمارية المطبقة في الجزائر التي تعاكس مصالح المجتمع، وتبحث عن كل المشاكل الوطنية الخطيرة وتحدد موقفها منها، فهاجمت التجنس والاندماج، واعتبرت ذلك خيانة للوطن والدين، ونددت بالمتفرنسين الذين أغرقهم الحضارة الأوربية فاتخذوها بديلا لحضارتهم وأصالتهم وخلعوا ثوب الوطنية.

ودعت إلى التشبث بالمقومات الأصيلة للمجتمع، وبينت كيف جردت المدنية الغربية الشباب المسلم من كل القيم الأخلاقية وقطعت صلته بالإسلام، وأن الهدف من وراء التجنس إنما هو جعل المجتمع يفقد شخصيته في سبيل بعض الحقوق التي قد لا ينالها.

هذا الموضوع كان محور اهتمام جريدة الإصلاح، فجاءت مقالات العمودي متميزة بأسلوب وطريقة معالجة الموضوع، حيث أكد فيها على ضرورة اهتمام العلماء بقضية التجنيس والفصل فيها نهائيا، وبحثه بشكل دقيق وعميق ومن كل جوانبها وتحديد آثارها.

وإن اهتمامه بقضية التفرنج وعلاقته بالتجنيس قاده إلى الحديث عن قضية هامة وأساسية وهي قضية الجمود والتجديد، إذ لاحظ أن كثيرا من الجامدين وبسبب جمودهم يتهمون كل تجديد وتطوير لا تبلغه عقولهم أنه من أعمال الشياطين، فليس كل مخترع جديد، وليس كل تقليد غير محمود، لأن له جوانب أخرى إيجابية، فقال : "لا مراء أن للأروبيين اليد الطولى في العلوم

والمعارف التي أنتجت عجائب العصر من مخترعات ومكتشفات بهرت العقول وتركت أصحاب العقول المظلمة يزعمون أنها من أعمال الشياطين"[1].

ويلاحظ على الصحافة الإصلاحية، أنه في الوقت الذي اهتم فيه بعض الكتاب كـالعمودي ببيان صلة التجنيس بالقومية والوطنية، وخطره على مستقبل الشخصية الذاتية للجزائريين المسلمين، مدعمين آراءهم بأفكار اجتماعية، وشواهد تاريخية، اعتبرها البعض الآخر قضية دينية، ولهذا حاول بيان الحكم الشرعي في ذلك.

ومهما يكن من اختلاف في أساليب المعالجة والتقييم، فإن الكتاب قد أجمعوا على رفضه واتفقوا في الحكم والنتيجة [2].

وأخيرا نستطيع القول أن المعاملة الاستعمارية للصحافة العربية هي التي كانت وراء توجيه المقال السياسي، وتجنب الكتاب الأساليب المباشرة والاكتفاء في بعض الأحيان إلى الإشارة والتلميح في معالجة مختلف القضايا التي تتعلق بالسياسة الاستعمارية في البلاد بكل أشكالها وآثارها على المجتمع. غير أن ذلك لم يمنعهم من بيان خطرها على المقومات الوطنية ومعالم الشخصية الإسلامية، ومثال ذلك ما قالته إحدى الجرائد تصف هذه السياسة : "تبذل كلمة المعمرين جهدها وتسعى بكل ما لديها من السلطة والنفوذ لمحو آثار الإسلام وطمس معالمه من بلاد إسلامية.. ولم يكفهم ما نالوا من المسلمين المساكين مما يعجز القلم عن ذكره.. اقترح نواب المجلس.. نزع الأحكام للقضاة المسلمين وتجريدهم من هذا الثوب الباقي الشفاف.. وتبديل أحكامهم الإسلامية بالقوانين الفرنسية بدعوى الاقتصاد في مالية الحكومة التي تجيئ من جيوب المسلمين.."[3].

كما لم يكونوا جاهلين بحقيقة الاستعمار، مقتنعين بأنه مهما وضع من تنظيمات، ومهما سن من قوانين، فإنها لا تخرج عن كونها مجرد ألفاظ لا وجود لها في الواقع، وتبقى السياسة الاستعمارية واحدة لا تتبدل[4].

ـ **غرس وزيادة الشعور بالانتماء إلى وطن وأمة واحدة** : فبغير هذا الشعور لا يمكن تجاوز حاجز التخلف وحاجز الاستعمار، فلا بد إذن أن يدرك أفراد المجتمع أن مصلحتهم واحدة وفوائد عملهم متعاونين كأمة تربط بين أفرادها الظروف والخصائص المشتركة وهذا التأكيد على ضرورة الوحدة والتضامن فيما بينهم، فلا تتناول الموضوعات الاجتماعية المختلفة إلا من خلال إبراز قضية الوحدة، وواجب كل فئة نحو الأخرى.

---

(1) – الإصلاح، ع 6،(24 أكتوبر 1929).

(2) – محمد ناصر، المقالة الصحفية، ج 1، ص:379.

(3) – وادي ميزاب، ع 30، (16 أفريل 1927).

(4) – انظر : عمر بن قدور، سياسة فرنسا في شمال إفريقيا، الفاروق، ع 43، (9 جانفي 1914).

ولهذا نلاحظ، أن الصحافة الإصلاحية في توجيهها وتوعيتها للجزائريين في جميع الميادين الحيوية اقتصادا وسياسة وثقافة، كانت حريصة على بناء الشخصية الوطنية والتشبث بمقوماتها من أجل تكوين الأمة تكوينا صحيحا من حيث الأخلاق الفاضلة والتفكير الصحيح وبث روح الوئام ضمن الكتاب والسنة، من خلال التأكيد على القضايا الاجتماعية، التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالقضايا والمشكلات الاجتماعية، والتي تكون سببا في تحقيق التضامن والوحدة.

فنجد مثلا أن الصحفيين في تناولهم لقضية الفقر في الجزائر وتدني المستوى المعيشي للأفراد يركزون على جانبها الاجتماعي فيعكسون من خلاله علاقة أفراد المجتمع فيما بينهم، وكيف تقاعس الأغنياء عن مد يد المساعدة للفقراء الذين أصبحوا يمثلون السواد الأعظم من الأمة، بل ويجعلهم بعض الكتاب أحد الأسباب والعوائق التي تقف في وجه تغيير الأوضاع.

وتؤكد هذه المقالات وهي تعالج مختلف الموضوعات الاجتماعية، بما فيها موضوع الفقر، على رابطة الدين التي يجب أن تكون هي أساس العلاقة، وأن المجتمع ما وصل إلى هذا الحد من اللامبالاة بين أفراده إلا بسبب تركهم العمل بأمور دينهم. قال عمر راسم: "فلو فقه المسلمون حقيقة دينهم وما انطوى عليه من أسباب السعادة لأسرعوا بأنفسهم إلى صرف المال في مصالح بلادهم وارتفاع شؤون أبناء جلدتهم وإعانة فقيرهم وكف الأذى عن ضعيفهم.."[1].

لم يتوقف هدف الصحافة الإصلاحية عند حد إثماء الشعور بالانتماء المحلي بل سعت إلى خلق شعور عام بالانتماء إلى وطن أكبر هو الوطن العربي والإسلامي. ويأتي اهتمامها بالمغرب العربي في المقام الأول.

وقد تجسد هذا الشعور من حيث الشكل واستعمال الرموز التي توحي بضرورة الوحدة، فقد ظهرت ثلاث صحف بالعربية تحمل اسم المغرب وهي : "المغرب" التي أصدرها سنة 1930 تعمونت مع أبي اليقظان، وجريدة "المغرب العربي" التي أصدرها في وهران 1937 حمزة بوكوشة، وجريدة "المغرب العربي" كذلك الصادرة بالجزائر سنة 1947 للشيخ السعيد الزاهري[2].

وأما من حيث المضمون فقد استطاعت الصحافة العربية عموما أن تعكس اهتماما كبيرا بالقضية التونسية والمغربية خصوصا بعد الحرب العالمية الثانية، مما جعلها أكثر رواجا في هذين القطرين الشقيقين، كجريدة البصائر وجريدة المنار. الأمر الذي جعل السلطات الاستعمارية تمنعها من الدخول إلى البلدين.

وحول هذا الهدف والرغبة في الوحدة كان اهتمام الصحافة الإصلاحية بشؤون الوطن العربي والإسلامي، وأخباره، وإعلانها عن تضامنها مع قضاياه وترحيبها بالنهضة المشرقية خاصة.وأيضا، اهتمامها بالوضعية السياسية لكل أقطارها دون أن تنسى فلسطين التي أولتها الصحافة الإصلاحية أهمية كبرى.

---

[1] – ذوالفقار، ع 2، (26 أكتوبر 1913).

[2] – زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر ،(الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية)، ص:101-102.

ووسعت دائرة بحثها في هذا المجال، فكتبت المقالات عن وضعية المسلمين في كل مكان، وبينت من هم أعداء المسلمين الحقيقيين، وحاولت الكشف عن المخططات التي كانت تهدف إلى القضاء على هذه القوة الروحية بين المسلمين، واقترحت الحلول التي رأتها ممكنة في هذا المجال.

وكانت تشير إلى الأسس التي تنبني عليها هذه العلاقة، والروابط التي تجمع العرب كأمة واحدة وهي -زيادة على رابطة اللغة- رابطة الجنس ورابطة التاريخ، ورابطة الألم، ورابطة الأمل. ويرى ابن باديس أنه إذا كانت الوحدة السياسية لا يمكن تحقيقها إلا للشعوب المستقلة استقلالا حقيقيا، فإن التي مازالت تحت وطأة الاستعمار تستطيع أن تعمل كل واحدة منها ما يناسبها من الخطط التي تحقق استقلالها، من غير أن يمنعها ذلك من الشعور التام بالوحدة والقومية، كحال الشمال الإفريقي الذي ينشغل كل قطر فيه بخططه السياسية، دون أن يمنع هذا من "..تغذية الشعور بالوحدة القومية والأدبية العامة"[1].

ويرتكز إيمان الصحافة الإصلاحية بالوحدة العربية على الدعوة المستمرة إلى التضامن الإسلامي، ووحدة توجهاته، ووحدة عقيدته، والتأكيد على معاني التنسيق والتكامل في الجهود الثقافية لتبدو صادرة عن روح واحدة، ومنطلقة إلى هدف واحد. والتساند بين المسلمين وتعاضدهم في مواجهة المخاطر التي تحل بهم وبعقيدتهم.

ولأجل تحقيق كل هذا نجد "البصائر" و"الفاروق" و"وادي ميزاب" و"الأمة" وغيرها من الصحف الإصلاحية تخصص أركانا لتعرض فيها القضايا العربية والإسلامية، منطلقة من الشعور بوحدة المصير.

هذه بصورة عامة أهم الأهداف التي سعت الصحافة الإصلاحية إلى تحقيقها، وهي بلا شك السمات التي يمكن بها تمييز الصحافة الإصلاحية عن غيرها من الصحف.

وقد تحددت هذه الأهداف تبعا لمعطيات الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي في البلاد، ظهر ذلك من خلال الموضوعات التي عالجتها والقضايا التي اهتمت بتوضيحها.

ويأتي في مقدمة هذه العوامل :

- طبيعة الاستعمار الدينية المتهجمة على العقيدة الإسلامية.
- الواقع الاجتماعي الذي تميز بظهور الاغتراب الثقافي، وتعدد المشاكل الاجتماعية، مما دفعها إلى الاهتمام أكثر بوظيفة التحليل والتفسير لهذا الواقع، ومعالجة جوانب الخلل فيه.
- الوضع السياسي والقانوني الذي كان يهدف إلى مسخ الهوية الثقافية والحضارية للمجتمع، حيث أصبح الدفاع عن الشخصية الوطنية للجزائريين، وبعث مقوماتها يعد من أوكد واجبات الصحافة الإصلاحية.

وفي ظل هذه الظروف والدوافع، حاولت الصحافة الإصلاحية لعب دورين أساسيين:

---

[1] - الشهاب، ج 6، م 5، 1929.

الأول هو الدفاع عن عقيدة وقيم المجتمع الإسلامية، ومقومات وجوده التي تحفظ له استقلاليته وتميزه الحضاري، والتصدي لأشكال الضغط الذي يمارسه الوجود الاستعماري، وكل الأفكار والاتجاهات التي تدعم بقاءه.

والثاني توجيه المجتمع وإرشاده إلى الطريق الصحيح، ونشر الوعي، ومساعدة الرأي العام الجزائري على التمسك بالفكرة الإسلامية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث

الدراسة التطبيقية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سبقت الإشارة في مقدمة البحث إلى أن هذه الدراسة من نوع الدراسات الوصفية التي تستخدم تحليل المحتوى. وقد تم اختياره لكونه أكثر التصميمات المنهجية شيوعا في الاستخدام في بحوث الإعلام بصفة عامة، وبحوث الصحافة بصفة خاصة[1].

وتتحدد أهمية تحليل المحتوى في قدرته على الحصول على بيانات مهمة وبالغة الثراء، وفي الإجابة على تساؤلات الباحثين التي تدور حول السلوك المرتبط بالرسائل الاتصالية ومعالجة مضمون الرسائل، وكذلك ملاحظة السلوك الاتصالي العلني للقائمين بالاتصال[2].

وقد ظهرت محاولات عديدة واجتهادات من طرف الباحثين العرب لوضع تعريفات خاصة بتحليل المحتوى تميزت باختلافها حول تحديد موقعه بين نماذج وأدوات البحث العلمي. وتتراوح التعريفات بين كونه أداة، ومنهجا، وأداة ومنهاجا في آن معا.

ومن هذه التعريفات تعريف سمير حسن الذي يؤكد فيه على أن تحليل المضمون ليس منهجا، وإنما مجرد أسلوب وأداة يستخدمها الباحث ضمن أساليب وأدوات أخرى ضمن إطار منهج المسح في الدراسات الإعلامية حيث يقوم الباحث بمسح جمهور وسائل الإعلام، أو مسح الرأي العام أو مسح وسائل الإعلام، أو مسح المضمون، أو أساليب الممارسة الإعلامية[3].

وفي الدراسة التي أعدها السيد يسين عن الفكر القومي العربي ذكر أن "تحليل المضمون هو أسلوب البحث يهدف إلى الوصف الموضوعي المنظم، والكمي للمحتوى الظاهر للاتصال"[4]. وهذا حسب التعريف الذي قدمه علماء مناهج البحث الاجتماعي .

وهناك تعريفات تحتوي على قدر كبير من اللبس، فهي تشير إلى تحليل المضمون على أنه أداة منهجية ثم تعود فتذكر أنه منهج، منها تعريف نادية سالم الذي استخلصه من دراستها التي أعدتها عن صورة العرب والإسرائيليين في الولايات المتحدة، تقول فيه "تحليل المضمون هو أداة منهجية للدراسات الكمية وأداة لاختبار فروض معينة عن مادة الاتصال، وأداة للتنبؤ، وتكمن أهمية تحليل المضمون في كونه منهجا لدراسة الظاهرة محل التحليل في حالتها الديناميكية"[5]، وتتجه تعريفات

---

(1) – ريتشارد بن وآخرون، تحليل مضمون الإعلام: المنهج والتطبيقات والعربية، ترجمة محمد ناجي الجوهري، ط1 (أربد، قدسية للنشر: 1992)، ص10.

(2) – محمد عبد الحميد، بحوث الصحافة، ط1 (القاهرة، عالم الكتب: 1992)، ص 127.

(3) – سمير محمد حسين، المرجع السابق، ص 149.

(4) – السيد يسين وآخرون، تحليل مضمون الفكر القومي العربي،ط1،(بيروت، مركزدراسات الوحدة العربية:1980) ص ١١.

(5) – عواطف عبد الرحمن وآخرون، تحليل المضمون في الدراسات الإعلامية، (مصر، دار الفكر العربي) ص 114 – 115.

أخرى إلى اعتبار تحليل المضمون منهجا، ومنها تعريف محمد عبد الحميد[1]، حيث يرى أن المقدمات المنهجية التي استقر الاتفاق عليها في مناهج البحث العلمي تتوفر في هذا المنهج، فإلى جانب الموضوعية والتنظيم والتعميم التي تقررها كل التعريفات التي تناولت تحليل المضمون، هناك مقومات أخرى تجعل تحليل المضمون منهجا علميا مستقلا، وتنحصر حسب رأيه في ثلاثة أمور:

أولا : صلاحية المنهج لتحقيق الفروض العلمية.

ثانيا : صلاحية المنهج لتفسير الظاهرات الإعلامية.

ثالثا : صلاحية المنهج للتنبؤ.

ورغم هذه الاختلافات المثارة حول التكييف المنهجي لتحليل المضمون إلا أن الباحثين يتفقون على الخطوات الرئيسية التي يجب أن يتبعها الباحث في استخدام تحليل المضمون.

وقد تم استخدام تحليل المضمون في هذه الدراسة وفق الخطوات المنهجية التالية:

أولا : تحديد العينة:

١ – إطار العينة:

قبل الحديث عن العينة وطريقة تحديدها، لا بد من تقديم بطاقة تعريفية بالجريدة محل الدراسة. البصائر صحيفة إصلاحية أسبوعية تصدر باللغة العربية، وهي ملك لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ولسان حالها. يتكون شعارها من كلمتين هما "العربية والإسلام".

ظهر العدد الأول من الجريدة بتاريخ ٦ رمضان 1366 هـ / 25 جويلية 1947، غيرت الجريدة يوم صدورها مرتين، حيث ظهرت أعدادها التسع الأولى يوم الجمعة، ليتحول صدورها إلى يوم الاثنين ابتداء من العدد 10 إلى غاية 211 لتعود إلى الظهور كل يوم جمعة، وذلك ابتداء من العدد 212 إلى آخر عدد منها، وقد دام صدورها ما يقارب التسع سنوات، ظهر خلالها 361 عدد، كان صدور آخرها بتاريخ 6 أفريل 1956.

البصائر الصادرة في الفترة الثانية (1947 – 1956) – محل الدراسة – هي امتداد للفترة الأولى ، (1935 – 1939)، وهذا ما تؤكده افتتاحية العدد الأول من هذه السلسلة حيث جاء فيها "هذه جريدة البصائر تعود إلى الظهور بعد احتجاب طال أمده، وكما تعود الشمس إلى الإشراق بعد التغيب، وتعود الشجرة إلى الإيراق بعد التسلب ...".

---

[1] – محمد عبد الحميد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، (الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية)، ص 45 –51.

وحول التعريف بالجريدة جاء في نفس المقال الافتتاحي "جريدة البصائر هي إحدى الألسنة الأربعة الصامتة لجمعية العلماء المسلمين، تلك الألسنة التي كانت تفيض بالحكمة الإلهية المستمدة من كلام الله وكلام رسوله، والتي ترمي بالشر على المبطلين والمعطلين، وكانت كلما أغمد الظلم لسانا منها سلم الحق لسانا لا ينثلم ولا ينبو" وفي هذا الكلام إشارة إلى ثلاث نقاط:

الأولى: أن الجريدة هي الناطق الرسمي لجمعية العلماء، والمعبر عن أفكارها واتجاهها.

الثانية: اتجاه ومرجعية الجريدة الإسلامي، المستمد من الكتاب والسنة النبوية.

الثالثة: أن هدف الجريدة الذي حدد بشكل عام هو -كما عبرت عنه- الرمي بالشر على المبطلين والمعطلين، وهو كما يبدو هدف ذو وجهين دافعي وهجومي.

ومن حيث الشكل فإن جريدة من الحجم الكبير تقع في ثماني صفحات جاء اسمها "البصائر" في وسط الصفحة إلى الأعلى، وإلى جانب الاسم عن اليمين يوجد مربع تبلغ مساحته 48.75 سم^2 خصص لعدة أغراض منها: كتابة آية قرآنية أو حديث نبوي، أو حكمة عربية، أو أبياتا شعرية، وقد بدا حرص الجريدة على اختيار ما يوافق موضوع المقال الافتتاحي للعدد وأحيانا كان هذا المربع مخصص لعرض أهم عناوين العدد.

أركان الجريدة:

لم تهتم جريدة البصائر بوضع أركان ثابتة، حيث أن أغلبها كانت تظهر وتختفي بين الفترة والأخرى، وإن الجريدة لم تشر إطلاقا إلى ذلك، أو تبين أسباب غياب ركن من الأركان أو عودته. وإن الركن الوحيد الذي عرف استقرارا وانتظاما في الظهور هو "منبر السياسة العالمية"، وهو يعد أهم أركانها، يقع في الصفحة الرابعة، وأحيانا كان يمتد ليحتل الصفحتين أو الثلاث، وكما يظهر من اسمه فقد خصص هذا المنبر للمقال السياسي الذي يعالج مختلف القضايا الدولية.

ومن الأركان المهمة أيضا منبر "الوعظ والإرشاد" وخصص لتقديم توجيهات إسلامية روحية وأخلاقية وفكرية، ومنبر "في الشمال الإفريقي" الذي يحتل الصفحة السادسة، وقد خصص لمتابعة أخبار الأقطار المغاربية في ظل الاحتلال وهي : تونس والمغرب وليبيا.

وقد أضافت الجريدة ركنا يسمى "يوميات الأزمة الجزائرية" لتنشر من خلاله أخبار العمليات العسكرية والمواجهات التي كانت تقع بين المجاهدين وقوات الاستعمار بعد اندلاع الثورة التحريرية.

وهناك أيضا "صفحة القراء" لنشر إعلانات القراء والمعلومات التي تهمهم، وعكست الجريدة اهتمامها بالشعر بأن جعلت له صفحة خاصة "صفحة الشعر". كما خصصت الجريدة مساحة في الصفحة الأخيرة للإشهار.

قلم تحرير الجريدة:

من الأسماء الهامة المشاركة في تحرير جريدة البصائر محمد البشير الإبراهيمي، وهو رئيس جمعية العلماء، ومدير الجريدة ورئيس تحريها، وقد اختص بتحرير المقال الافتتاحي . وأيضا أحمد توفيق المدني الذي تولى تحرير منبر السياسة العالمية، وكان يرقع باسم "أبو محمد"، وأحمد سحنون محرر "منبر الوعظ والإرشاد"، وأحمد رضا حوحو وكانت كتاباته أدبية بحتة، والعربي التبسي، وأحمد بن دياب، ومحمود بوزوزو.

وقد فتحت البصائر إلى جانب هذه الأسماء المعروفة المجال لظهور أسماء شبانية عديدة مثل: علي مرحوم، أبو القاسم سعد الله وباعزيز بن عمر وغيرهم. كما كانت الجريدة تسمح لبعض طلبة معهد عبد الحميد بن باديس بنشر مقالاتهم.

بالنسبة للأقلام النسوية في الجريدة لم يظهر سوى اسمان فقط (ثلاث مرات عنى مدار العينة) وهما ليلى دياب وزهور ونيسي، ورغم قلتها يمكن اعتبار ظهورهما أمرا مهما وبخاصة في تلك الفترة.

2 – نوع العينة وطريقة اختيارها:

تتحدث كتب مناهج البحث عن أنواع مختلفة للعينات، وقد أجملها رشدي طعيمة تحت أربع أنواع رئيسية هي :

العينة العشوائية – العينة الطبقية – العينة الدائرية – العينة العمدية[1].

ومهما اختلفت أنواع العينات تبعا لاختلاف طرق اختيارها، فإن جميعها تستهدف التمثيل الصادق للمجتمع. وإن هذا الاختيار للعينات في بحوث الإعلام تفرضه طبيعة الدراسة وأهدافها، وقد يلجأ الباحث لاختيار أكثر من طريقة لتحديد العينة حتى يتحقق إلى أقصى مدى من توفر الموضوعية والبعد عن التحيز.

[1] – رشيد طعيمة، تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية : مفهومه، أسسه، استخداماته، (القاهرة، دار الفكر العربي)، ص 136-142

وبالنسبة لهذه الدراسة فقد تم اختيار العينة العشوائية المنتظمة، وهي أكثر الأساليب شيوعا في بحوث الإعلام، حث يقوم الباحث باختيار أول عدد من المصادر بطريقة عشوائية، ثم يقوم باختيار المفردات التالية للعينة بطريقة منتظمة على أساس تساوي البعد الزمني بين كل مفردة[1]، إلا أن الأخذ بهذه الطريقة قد يجعل تجنب التحيز الناتج عن تكرار الاختيار مع وحدة المجال صعبا، والذي يعني تكرار نفس السمات في كل أعداد العينة. ولهذا فقد اخترت أسلوب الدورة في اختيار العينة، لأنه يحقق العديد من المزايا أهمها إعطاء فرص متساوية لكل الأعداد للظهور في العينة[2].

وقد اعتمدت في بناء عينة البحث خلال الإطار الزمني للدراسة على أساس بناء ربع سنة متغير لكل سنة من سنوات الدراسة. فاخترت الأسبوع الأول من الشهر الأول، والأسبوع الثاني من الشهر الثاني، والأسبوع الثالث من الشهر الثالث، والأسبوع الرابع من الشهر الرابع. وهكذا حتى تحصلت في النهاية على ثمانية وعشرين عددا، وباستبعاد العدد الخاص الذي ظهر في العينة وهو العدد 90 (5 ديسمبر 1949) بقي سبعة وعشرون عددا.

(1) - محمد عبد الحميد، بحوث الصحافة، ص 74.

(2) - محمد عبد الحميد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، ص 101.

جـــــدول رقـــــم (1)

يوضح توزيع وطريقة اختيار العينة (الأرقام تشير إلى أعداد العينة)

الشهر / السنة	جانفي	فيفري	مارس	أفريل	ماي	جوان	جويلية	أوت	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
1947	//	//	//	//	//	//	1	//	//	//	13	//
1948	//	//	//	31	//	//	//	47	//	//	//	61
1949	64	//	//	//	81	//	//	//	90	//	//	//
1950	//	109	//	//	//	122	//	//	//	133	//	//
1951	//	//	145	//	//	//	163	//	//	//	175	//
1952	//	//	//	186	//	//	//	198	//	//	//	211
1953	214	//	//	//	231	//	//	//	239	//	//	
1954	//	260	//	//	//	274	//	//	//	288	//	
1955	//	//	308	//	//	//	326	//	//	//	342	
1956	348	//	//	361	//	//	//	//	//	//	//	

ثانيا: تصميـــم كشـــف الدراســـة:

1 – فئات التحليل:

تعتبر مرحلة وضع الفئات وتجزئة المحتوى إلى وحدات قابلة للعد والقياس مرحلة مهمة تتطلب من الباحث المهارة والدقة، ولهذا يحتاج إلى معايير التصنيف يحددها مسبقا لتيسر عليه وضع الفئات وتجعل هذه الأخيرة ذات دلالات تصنيفية.

وقد حدد محمد عبد الحميد هذه المعايير في ثلاث نقاط هي:

- الإطار النظري لمشكل الدراسة.
- حدود ما يثيره البحث من تساؤلات أو فروض علمية.
- إطار النتائج المستهدفة من البحث[1].

وقد تم اختيار فئة التحليل في هذه الدراسة استنادا إلى مشكلة الدراسة وأغراضها.

---

[1] – محمد عبد الحميد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، ص193 .

وفئات التحليل تنقسم إلى فئتين رئيسيتين كثيرا ما تستخدمان في بحوث تحليل المحتوى وهما: فئة ماذا قيل؟ وفئة كيف قيل؟

- فئة كيف قيل؟:

وهي التي تجيب على السؤال كيف قيل؟ تهتم بالقوالب والأنماط التي قدمت من خلالها المادة الإعلامية. وهناك عدة فئات شائعة الاستعمال ثم اختيار:

- فئة شكل النشر:

وهي القوالب الفنية التي تتخذها المواد الإعلامية في وسائل الإعلام. وتم تصنيف فئة الشكل في جريدة البصائر إلى:

مقال – تعليق – تقرير – روبورتاج – خبر – قصة قصيرة، وهذه تعريفات موجزة لهذه الأنواع:

- **المقال:**

يقسم المقال بشكل عام إلى ثلاثة أقسام وهي: المقال الأدبي، والمقال العلمي، والمقال الصحفي. ولكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة أنواع وأشكال خاصة به. فمن أنواع المقال الأدبي المقال الوصفي والمقال النقدي والمقال القصصي والمقال الذي يأتي على شكل مذكرات أو اعترافات. أو على شكل خواطر وتأملات...

أما المقال العلمي فيختلف بحسب المادة العلمية التي يخوض فيها كاتب المقال، وقد يكون في موضوعه تاريخي أو طبي أو في مجال الأدب وقد يكون في مجال الاكتشافات والاختراعات الحديثة[1]. وبالتالي فإن كل الفنون والعلوم والمعارف الإنسانية تصلح أن تكون مادة له.

وأهم أنواع المقال التي تنشرها الجريدة المقال الصحفي بأنواعه، وذلك لاهتمامه بشرح وتفسير الظواهر والتطورات التي ترتبط بواقع القارئ، أو القضايا التي تشغل الرأي العام الدولي، وترجع أهمية المقال الصحفي كذلك إلى كونه الفن الصحفي الذي يساعد الصحيفة -خاصة تلك التي يغلب عليها جانب الرأي – في تحقيق هدفها وهو توعية وإرشاد وتوجيه القارئ.

والمقال الصحفي ينقسم بدوره إلى عدة أقسام وقد ظهر أن الجريدة قد اعتمدت على ثلاث أنواع من المقال الصحفي وهي:

– **المقال الافتتاحي:** يعبر المقال الافتتاحي من خلال شرح وتفسير وتحليل الأحداث والقضايا الجارية عن رأي الصحيفة، ولهذا يعد النافذة التي يطل من خلالها القارئ على سياسة

---

[1] – عبد اللطيف حمزة، المدخل في فن التحرير الصحفي، ط 4، (مصر، دار الفكر العربي)، ص 274.

الجريدة وأفكارها والقضايا التي تناضل من أجلها[1]. ولأهمية المقال الافتتاحي كان ينشر في الصفحة الأولى ، وأول شيء يطالعه القارئ، وذلك قبل أن تتحول الصحافة الحديثة إلى صحافة خبر. أما موضوعات المقال فمتنوعة، فهي لا تقتصر على القضايا السياسية فقط، بل أيضا تعالج القضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

وأما بالنسبة لظهور المقال الافتتاحي في صحافة الدول العربية، فإنه يرتبط بنضالها وكفاحها من أجل الاستقلال والتحرر من السيطرة الاستعمارية، فقد تطور في ظل ما أصبح يسمى الصحافة التجنيدية التي رافقت النضال الاجتماعي لبناء مجتمع على أسس جديدة مغايرة لأسس النظام الاستعماري[2].

– **المقال التحليلي**: يقوم هذا النوع من المقال على التحليل العميق للأحداث والقضايا التي تشغل الرأي العام، وربط الوقائع بعضها ببعض، وقد لعب المقال التحليلي دورا مهما ومميزا في تاريخ الصحافة العربية[3]. وأهم وظائف المقال التحليلي تتمثل في :

1 – عرض وتحليل الأحداث الجارية والكشف عن أبعادها ودلالاتها.

2 – مناقشة وطرح القضايا والظواهر التي تشغل الرأي العام المحلي والدولي، ومساعدة القارئ على فهمها ومتابعتها.

3 – التعبير عن السياسات والاتجاهات السائدة في المجتمع[4].

– **المقال النقدي**: وهو المقال الذي يقوم على عرض وتحليل وتقييم الإنتاج الأدبي والفني من قصص وروايات وشعر، والإنتاج المسرحي والإنتاج العلمي ممثلا في الكتب الجديدة والأبحاث والمقالات والدراسات .. وبيان جوانبه الإيجابية والسلبية وذلك من أجل توعية القارئ وإرشاده ومعاونته على اختيار أفضل الأعمال الفنية والأدبية والعلمية[5].

---

(1) – عواطف عبد الرحمن، الصحافة العربية في الجزائر، ص 73.

(2) – نصر الدين لعياضي، إقترابات نظرية من الأنواع الصحفية، (الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية: 1999) ص 32 ، نقلا عن:

Maurice Mouillard et Jean Fronçoi TETU: Le journal quotidien P154

(3) – فاروق أبو زيد، فن الكتابة الصحفية، ط 2، (جدة، دار الشروق: 1982)،ص 229.

(4) – المرجع نفسه، ص 230.

(5) – المرجع نفسه، ص 217 – 218.

– التعليق الصحفي:

يحتاج القراء في كثير من الأحيان إلى فهم الأخبار وإدراكها إدراكا صحيحا، ولهذا تستعين الصحيفة بفن التعليق الصحفي، حيث يقوم هذا الأخير بشرح وبيان مدلول هذه الأخبار والكشف عن مغزاها، وتوضيح صلتها بالأخبار الأخرى، ثم تقديم وجهة النظر كخلاصة لكل ما سبق[1].

وعلى هذا النحو يجعل للأحداث التي تنشرها الجريدة معنى يتحكم من خلاله في نظرة القراء إلى هذه الأحداث. كما أن التعليق يفرق بين الجانب المغرض المعادي والجانب الصحيح، وبهذا فإن جريدة البصائر بحاجة إلى التعليق عن الأخبار وخاصة إذا كانت صادرة عن جهة معادية تخدم مصالح الاستعمار.

– التقرير الصحفي*:

التقرير الصحفي من أهم الأنواع الصحفية الإخبارية، يقدم مجموعة من المعارف حول الوقائع في سيرها وديناميكيتها، ويستوعب وصف الزمان والمكان والأشخاص، والظروف المرتبطة بالحدث[2]. من أجل إطلاع القراء على ما جرى وما حدث لهم.

– الروبورتاج:

يرتبط ظهور الروبورتاج الصحفي في الكتابات العربية فيما اصطلح عليه بأدب الرحلات، حيث أن بعض الباحثين[3] لاحظ أن أغلب سماته قد ظهرت في كتابات ابن بطوطة عن رحلاته إلى إفريقيا وآسيا، وقد ظهرت أكثر نضجا في كتابات بعض الصحفيين الجزائريين أمثال سليمان بن صيام المليانى ومحمد سعيد علي الشريف**، حينما وصفا رحلتهما إلى فرنسا في سنة 1852 في جريدة المبشر.

وقد استخدم هذا الفن الصحفي في الجريدة، ليصف من خلاله الصحفيون الأماكن التي زاروها، والأحداث التي عايشوها في أثناء رحلاتهم.

---

(1) – نصر الدين لعياضي، اقترابات نظرية من الأوضاع الصحفية، ص 28.

* – يصنف التقرير الصحفي حسب بنيته إلى : التقرير الإخباري، التقرير الحي، تقرير عرض الشخصيات.

(2) – فاروق أبو زيد، فن الكتابة الصحفية، ص 135.

(3) – نصر الدين لعياضي، اقترابات نظرية من الأنواع الصحفية، ص 50 – 51.

** – للتعرف أكثر على هذين الصحفيين انظر : الزبير سيف الإسلام، المرجع السابق، ج 5.

– الخبر:

لقد كان الخبر الصحفي أحد أشكال التحرير التي استخدمتها جريدة البصـــائر في عـــرض مضمونها، فعلقت على بعضها وتركت بعضها الآخر دون تعليق، وذلك علـــى الرغـــم مـــن أن الصحيفة أسبوعية وتابعة* لحركة إصلاحية، مما يدل على أنها صحافة رأي.

– القصة القصيرة :

استخدمت جريدة البصائر هذه الفئة وأدرجتها ضمن مادتها، وهي مأخوذة من الواقع، وترتبـــط ببعض الظواهر الاجتماعية.

فئة ماذا قيل؟: ويقصد بهذه الفئة تحديد ماذا قيل في المضمون الذي يخضع للتحليل، وينضوي تحتها العديد من الفئات الفرعية اختارت الباحثة منها :

1 – فئة موضوع الاتصال:

وهي الفئة التي تستهدف الإجابة على السؤال : علام يدور موضـــوع المحتـــوى، وتفيـــد في الكشف عن مراكز الاهتمام، ذلك أن وسائل الإعلام تعطي اهتماما أكبر للموضوعات التي تتفـــق مع سياستها التحريرية وأهدافها.

وقد استخدمت هذه الفئة للكشف عن المحتوى النوعي ومستويات الاهتمام به في فـــترة صـــدور العينة، ومدى ارتباط هذا المحتوى بالواقع الجزائري، ومدى مواكبته للأحداث الداخلية والخارجية. وتم تقسيم المحتوى إلى فئات رئيسية وفرعية، من أجل الكشف الدقيق لاهتمامات الجريدة، وذلـــك كما يلي:

- موضوعات سياسية: وتنقسم إلى ثلاثة فئات فرعية وفقا لمجال التغطية الجغرافي:
  - محلية: وتتناول الموضوعات التي تتعلق بالوضع السياسي في الجزائر.
  - عربية وإسلامية: أي القضايا السياسية الخاصة بالدول العربية.
  - عالمية: ما تعلق بدول العالم خارج دائرة الدول العربية والإسلامية.
- مواضيع اجتماعية وأخلاقية: مثل مشاكل الفقر – انتشار المرض والأمية – الأســـرة – تعليم المرأة – التعاون والتكافل الاجتماعي – القضايا التي ترتبط بسلوك الأفـــراد – قضايا الانحراف – الدعوة لالتزام القيم الإسلامية.

---

* – استخدمت هذه الفئة في دراسة بعنوان: "دور الصحافة المتخصصة في تشكيل الدفاع الاجتماعي ضد الجريمة في المجتمع الكويتي": دراسة اجتماعية تحليلية: خالد أحمد الشلال، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، الكويت، س22، ع85، (ربيع 1997).

- الجمعية: وهي المواضيع الخاصة بجمعية العلماء وبنشاطها، والتي تشرح أهدافها وآراءها ومبادئها.
- مواضيع ثقافية: مثل مشكلات الكتاب والتأليف – قضايا الأدب والمسرح – الثقافة الجماهيرية.
- مواضيع علمية تاريخية: مثل المكتشفات الحديثة في مجال التكنولوجيا والطب والآثار – مواضيع في التاريخ.

– **فئة الأهداف:**ويقصد بها الأهداف التي يسعى إليها صاحب الرسالة الإعلامية وتم تقسيمها إلى:

- **التوعية.**
- **التوجيه والإرشاد.**
- دعم مكانة الجمعية في المجتمع.
- الإعلام.
- التثقيف.

وهي ترتبط أساسا بالغرض الأساسي للبحث وهو تحديد دور الجريدة الإصلاحي.

2 – وحدات التحليل:

هي وحدات المحتوى التي يمكن إخضاعها للعد والقياس بسهولة، ويعطي وجودها أو غيابها وتكرارها دلالات تفيد الباحث في تفسير النتائج الكمية.

وتبعا لأغراض البحث وفروضه، فقد تم اختيار وحدة الموضوع أو الفكرة، وهي أكبر وأهم وحدات تحليل المضمون، وأكثرها إفادة، وتعتبر إحدى الدعامات الأساسية في تحليل المواد الإعلامية والدعائية والاتجاهات والقيم والمعتقدات[1].

3 – وحدات العد والقياس:

هناك عدة وحدات للعد والقياس يمكن استعمالها من أجل التسجيل الكمي لوحدات المحتوى وفئاته بطريقة منتظمة، تعيد بناء المحتوى في شكل أرقام وأعداد يمكن من خلال المعالجة الإحصائية لها والوصول إلى النتائج الكمية، التي تسهم في التفسير والاستدلال.

وبما أن وحدة العد هي فئات المحتوى فإن الأسلوب المناسب للعد هو تكرار ظهور الفئات الخاصة بالموضوع والشكل.

---

[1] – سمير محمد الحسين، المرجع السابق، ص 360.

ثالثا : عـــرض البيـــانات وتحليـــلهـــا:

1 – الأشكال التحريرية المستخدمة في جريدة البصائر:

هناك صلة وثيقة بين الشكل والمحتوى فيما يتصل بالاتصال، ولكل قالب صحفي خصائص تجعل استخدامه ذا دلالة ما، فليس استخدام الخبر كالمادة التفسيرية أو مادة الرأي. ومن هنا جاءت التفرقة بين المعالجة الصحفية المجردة وتلك التي تضفي على الواقع تفسيرات ورؤى تسهم في بناء معرفة الجمهور بالحقائق والموضوعات من حوله.

والأنواع الصحفية تصنف بعدة طرق ومنها هذه الصيغة[1]:

الأنواع الإخبارية: وهي الأنواع التي تنطلق من أحداث ملموسة قصد إعلام الناس مثل (الخبر، التقرير...).

الأنواع الفكرية: وهي كل المواد الصحفية التي تسعى أساسا إلى تأطير الجهود وتوجيهها وغرس مجموعة من القناعات والمواقف في ذهن القارئ كالمقال والتعليق.

الأنواع التعبيرية: وهي المواد الصحفية التي تبرز حالات خاصة وأشخاصا معينين، فتسلط عليهم الأضواء، وتصفهم في تفاعلهم مع الوسط الاجتماعي الذي يعيشون فيه مثل: الروبورتاج الصحفي والبورتري.

الأنواع الاستقصائية: وهي المواد الصحفية التي تقدم مادة دسمة، وتستهدف البحث والتحليل والتقصي، لتقدم الحلول أو تبرز التصورات للمشاكل والظواهر مثل: التحقيق الصحفي. فالأنواع الصحفية إذا ظهرت من أجل أداء مجموعة من الأدوار والوظائف المتمايزة، والمتكاملة في إطار الوظيفة العامة للوسيلة الإعلامية، وليس فقط من أجل تنويع إنتاجها أو تجميله[2]. وقبل التعرف على أهم أشكال التحرير التي اعتمدتها الجريدة في عرض المحتوى ودلالات هذه الأشكال من حيث الأهداف، يجب الإشارة إلى أن التجربة الصحفية الأولى التي ظهرت في الدول العربية بما فيها الجزائر كانت إفرازا للظاهرة الاستعمارية، والفرنسية تحديدا، أو ثمرة الاحتكاك بها أو تقليدها، وهذا يعني أنها بلا شك قد اكتسبت بعض خصائصها البارزة.

إضافة إلى تأثر الصحافة الجزائرية من جهة أخرى بالصحافة العربية التي سبقتها في هذا المجال، فكان هذا الاحتكاك بمثابة المدرسة التي تعلم منها الكتاب الجزائريون بعض أشكال التحرير في

---

(1) – نصر الدين لعياضي، اقترابات نظرية من الأنواع الصحفية، ص10.

(2) – نصر الدين لعياضي، مساءلة الإعلام، (الجزائر، المؤسسة الجزائرية للطباعة: 1991)، ص 206.

وقت لم تتح لهم الفرصة للتكوين في الكليات والأقسام المختصة في الدول العربية، على الأقل في مصر التي كان يوجد بإحدى جامعاتها "معهد التحرير والترجمة والصحافة" الذي أنشئ سنة 1940 [1].

وبالنسبة للمشتغلين بالصحافة في الجزائر فإن معظمهم كان من رجالات الأدب والفكر في ذلك الوقت، كما هو الشأن في معظم دول العالم.

ومما تجدر الإشارة إليه هو صعوبة تصنيف أشكال التحرير في جريدة البصائر لتداخلها، ذلك أنه لا تتوفر – حسب علمي- دراسات عربية اهتمت بالتأريخ للأنواع الصحفية في الصحافة العربية، في الوقت الذي توجد فيه العديد من الدراسات الغربية في هذا المجال.

وأن الدراسات التي اهتمت بالصحافة الجزائرية عالجتها من زاويتين: الزاوية التاريخية، سواء التأريخ لنشأة هذه الصحف أو رصد موضوعاتها ومجالات اهتمامها في فترات تاريخية معينة، أو من زاوية فنية أدبية.

ورغم هذا فمن المهم محاولة الاقتراب من أشكال التحرير التي استعملتها، لأن ذلك سيساعد في الكشف عن بعض أهدافها من خلال استعمالها لأنواع صحفية بعينها. والكشف أيضا عن بعض الخصائص الفكرية للمجتمع في تلك الحقبة.

وفيما يلي الجدول الذي يوضح نسب تواجد مختلف الأشكال الصحفية المتواجدة في جريدة البصائر.

[1] – عبد اللطيف حمزة، المرجع السابق، ص 9.

جـــــدول رقـــــم (2)

يبين توزيع عينة الدراسة وفقا للأشكال الصحفية المستخدمة في جريدة البصائر

الأشكال الصحفية	التكرار	النسبة %
المقال	130	% 45.61
التقرير	18	% 6.31
الروبورتاج	7	% 2.45
الخبر	120	% 42.10
التعليق	8	% 2.80
قصة قصيرة	2	% 0.70
المجموع	285	% 99.97

يظهر الجدول أن الجريدة قد استعملت عددا متنوعا من أشكال التحرير، وهي: التقرير، الروبورتاج، الخبر، التعليق، القصة القصيرة، وبنسب مئوية متفاوتة.

المقال:

جاءت نسبة تواجد المقال بأنواعه الصحفي والأدبي والعلمي في الجريـــدة في المرتبـــة الأول، حيث بلغ عددها 130 مقالا، بنسبة 45.61 % من مجموع أشكال التحرير المستخدمة. وقد بلـغ عدد المقالات الصحفية 114 بنسبة 87.69 % من مجموع المقالات المنشورة، أما النسبة الباقيـــة وهي 12.30 % فتمثل نسبة تواجد المقال الأدبي والعلمي الذي بلغ عدده 16 مقال. وإن هـــذه النسبة الكبيرة لتواجد المقال الصحفي في الجريدة تكشف من جهة عن نضج الممارسة الإعلاميـــة، وعن أهميته بالنسبة للجريدة من جهة أخرى، حيث أن المقال الصحفي يعتبر أفضل قالب صحفـي تعرض من خلاله الأحداث اليومية الجارية والقضايا التي تشغل الرأي العام في الداخل والخـــارج، وذلك عن طريق شرح وتفسير هذه الأحداث والتعليق عليها والكشف عن أبعادها ودلالاتها[1].

[1] – فاروق أبو زيد، فن الكتابة الصحفية، ص 179.

وقد كشف التحليل أن الجريدة قد استعانت بثلاثة أنواع من المقال الصحفي وهي: المقال الافتتاحي والمقال التحليلي والمقال النقدي، وكانت نسب تواجدها كما يلي:

- سجل المقال التحليلي أكبر نسبة تواجد وتقدر بـ76.31 % حيث بلغ عدده 87 مقالا، وهذا الرقم الكبير يدل على اهتمام الصحيفة بتوضيح وشرح الأحداث السياسية والمحلية والدولية، والقضايا الاجتماعية التي تهم القارئ، ومساعدته على فهمها وإعطاء رأيه حولها.

- أما المقال الافتتاحي فكانت نسبة تواجده 18.96 % وهي نسبة قليلة ترجع إلى طبيعة المقال الافتتاحي وهو مقال واحد غير متعدد، يتصدر صفحات كل عدد من أعداد الجريدة (في كل عدد هناك مقال افتتاحي واحد)، ويضاف إلى هذا أن تكرار المقال الافتتاحي لم يساو أعداد العينة (27 عددا) بمعنى أنه قد غاب في خمسة أعداد رغم أهميته لكل من الجمهور والجريدة التي تعبر من خلاله عن سياستها، ويعود هذا الغياب إلى أن المقال الافتتاحي قد عوض في عددين بروبورتاج عن رحلة محمد البشير الإبراهيمي إلى المشرق العربي، وفي الأعداد الثلاثة الأخرى نشرت الجريدة مكانه بلاغات صادرة عن إدارة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ولهذا يمكن القول أن غياب المقال الافتتاحي لم يشكل اختلالا في بناء بعض أعداد الجريدة، خاصة إذا وضعنا في الاعتبار ملكية الجريدة التي تعود إلى جمعية العلماء المسلمين حيث يمكن اعتبار رصد رحلة الإبراهيمي رئيس الجمعية ونشر بلاغاتها إلى الجمهور في مرتبة المقال الافتتاحي من حيث الأهمية.

- أما أضعف نسبة فقد سجلها المقال النقدي وهي 4.38 %، وكما هو معروف فإن المقال النقدي يهتم بعرض وتقييم الإنتاج الأدبي والعلمي والفني، وذلك من أجل توعية القارئ بأهميتها، ويمكن تبرير ضعف هذه النسبة بقلة الإنتاج في هذه المجالات بسبب الظروف الاستعمارية التي لم تكن تساعد أو تسمح بتطور الحياة الثقافية.

الخبـــــر:

شكلت الأخبار نسبة 42.10 % من إجمالي الأشكال الصحفية التي استخدمتها جريدة "البصائر" وهي نسبة تعتبر كبيرة قياسا إلى طبيعتها.

ويرجع ارتفاعها إلى أن الجريدة قد أضافت بابا جديدا تحت مسمى "يوميات الأزمة الجزائرية" الذي ظهر في الأعداد الخمس الأخيرة من العينة وهي:

- ع 308 (4 مارس 1955).
- ع 326 (8 جويلية 1955).

- ع 342 (25 نوفمبر 1955).
- ع 348 (6 جانفي 1956).
- ع 361 (6 أفريل 1956).

وكل هذه الأعداد وكما يظهر من تواريخ صدورها صاحبت قيام الثورة الجزائرية، ولهذا خصصت الجريدة هذا الباب لنشر الأخبار الأمنية والعسكرية المرتبطة بأحداث الثورة، وقد بلغ عددها 90 خبرا أي أنها شكلت نسبة 75 % من مجموع الأخبار المنشورة.

أما من حيث النوع فإن هذه الأخبار من الأخبار المجردة، وقد عرّف الخبر المجرد على أنه "هو الخبر الذي يقتصر على تسجيل الوقائع أو تصوير الأحداث أو سرد المعلومات، دون أن يدعم بخلفية من المعلومات والبيانات والتفاصيل"[1]. ولعل الاقتصار على هذا النوع من الأخبار في تصوير أحداث هامة كأحداث الثورة يرجع إلى قلة المعلومات والمصادر التي تساعدها على تقديم تفاصيل أكثر عنها.

ويضاف إلى هذه الأخبار الأمنية والعسكرية، الأخبار السياسية التي سجلت من خلالها الجريدة بعض مستجدات الساحة السياسية على الصعيدين المحلي والعربي، والأخبار الثقافية وبلغت نسبتها 25 % (30 خبرا).

التقرير:

جاءت نسبة تواجد التقرير الصحفي في المرتبة الثالثة بنسبة 6.31 %، ورغم أنها نسبة صغيرة إلا أن اعتماد الجريدة على التقرير في تلك الفترة يعكس أمرين مهمين: الأول نضج الممارسة الصحفية والثاني اهتمام الجريدة بتجسيد الوظيفة الإخبارية عن طريق الشروح والتفاصيل وتقديم المزيد من المعلومات التي تجعل القارئ يشعر بمعايشة الحدث أو الواقعة، واطلاعه على ما يجري.

ومن حيث الموضوع فإن أغلب هذه التقارير قد ركزت على موضوعين رئيسيين وهما:

- تصوير نشاط جمعية العلماء وبخاصة في مجال التعليم.
- تقديم تقارير إخبارية عن جلسات المجلس الجزائري.

---

[1] – فاروق أبو زيد، مدخل إلى علم الصحافة، ط 2 (مصر، عالم الكتب: 1993)،ص 183.

التعليـــق:

كان اعتماد الجريدة على التعليق في مرتبة أقل بلغت نسبتها 2.80 % قدمت مـــن خلالـــه بعض الأخبار السياسية المحلية والعربية التي كانت تراها مهمة، وأن القـــراء بحاجـــة إلى فهمـــها وإدراكها

الروبورتاج:

كان اعتماد الجريدة على فن الروبورتاج هو الآخر بنسبة قليلة تقدر بـــ 2.45 % وهـــي متقاربة مع نسبة التعليق، وذلك من أجل تسجيل تفاصيل رحلة البشير الإبراهيمي، وبعض رحـــلات جمعية العلماء إلى المشرق العربي، ولإبراز أهمية هذه الرحلات، وقد كانت الروبورتاجات مرفوقـــة بصور مما يزيد من أهميتها وجاذبيتها، وهذه ميزة تحسب للجريدة.

القصة القصيرة:

وأخيرا فإن أضعف نسبة هي نسبة القصة القصيرة وهي 0.70 % وهي مأخوذة من الواقـــع. عالجت من خلالها الجريدة بعض المشاكل الاجتماعية.

ومن المهم الإشارة إلى أن الجريدة قد استعملت أشكالا أخرى كالإعلانـــات والبلاغـــات والشعر، وسيأتي ذكرها في جدول خاص بفئات أخرى.

أما النتيجة التي نستخلصها من العرض السابق فهي أن الجريدة قد نوعت إلى حد مقبـــول في الأشكال الصحفية، وأن تواجد التقرير والروبورتاج دليل على نضج الممارســـة الإعلاميـــة وأن الأشكال التفسيرية هي الفئة الغالبة على المعالجة الصحفية وهي سمة لا بد أن تنعكـــس في عمـــق المضمون الذي تعالجه الجريدة.

إضافة إلى أشكال التحرير التي استخدمتها الجريدة ظهر أيضا اهتمامها بالشعر والإعلانـــات التي مست جوانب متعددة، وقد تم تصنيفها في فئة خاصة تحت مسمى "فئات أخرى" حســـب الجدول الآتي:

جدول رقم (3)
يبـــين فئـــات أخـــرى

الفئـــة	التكرار	النسبة %
الشعر	22	% 12.57
الإعلانات	152	% 86.85
بريد القراء	1	% 0.57
المجموع	175	% 99.99

1 – الإعلانات:

من خلال الجدول يظهر الاهتمام الكبير الذي أولته الجريدة للإعلانات، حيث بلغ عددهـــا 152 بنسبة 86.85 %، وقد تنوعت بين الإعلانات عن أنشـــطة جمعيـــة العلمـــاء المختلفـــة، والإعلانات الخاصة بالقراء أو الموجهة إليهم وإلى المشتركين في الجريدة والموزعين لها، وهناك نوع آخر من الإعلانات وهو الإعلانات التجارية، ولهذا تم تصنيفها تبعا لمحتواها ونسبة كل واحـــدة منها، حسب الجدول الآتي:

جدول رقم (4)
يبـــين توزيـــع الإعـــلانـــات

الفـــئـــــة	التكرار	النسبة %
– إعلانات عن افتتـــاح مـــدارس –أسمـــاء النـــاجحين –بلاغات من لجان التعليم –تجديد الشعب –التبرعات	35	% 23.02
– إعلانات موجهة إلى القراء والمشتركين والموزعين	17	% 11.18
– إعلانات عن المواليد –الزواج –الوفاة	93	% 61.18
– إعلانات تجارية	7	% 4.60
– المجموع	152	% 99.98

- بلغ عدد الإعلانات عن المواليد والزواج والوفاة 93 بنسبة 61.18 % من إجمالي الإعلانات المنشورة، وهي أعلى نسبة مسجلة.

وقد أدرجت تحت ركن خاص وهو "صفحة القراء" وهذا الركن ظهر في 15 عددا من أعداد العينة واختفى في الأعداد الأخرى، وخاصة الأعداد الأخيرة، ويمكن تفسير هذا الغياب بأن هذا الركن قد عوض بركن آخر أضيف إلى أركان الجريدة وهو "يوميات الأزمة الجزائرية".

وبنشر هذه الإعلانات فإن الجريدة تساهم في تقوية الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع.

- ثاني نسبة سجلت من الإعلانات هي نسبة الإعلان عن افتتاح مدارس جديدة ونشر أسماء الطلبة الناجحين في مدارس جمعية العلماء، والإعلانات الصادرة عن لجان التعليم والتي تخص الإعلان عن مواعيد الامتحانات والعطل الاجتماعات، وقد بلغ عددها 19 إعلانا.

إضافة إلى تجديد شعب الجمعية، حيث ظهر حرص الجريدة على إعلام القراء بتأسيس شعب جديدة أو تجديد أعضائها القائمين عليها وذلك بنشر أسمائهم، كما يندرج تحت هذه الفئة الإعلان عن التبرعات التي تقدم لمؤسسات الجمعية، وهي بشكل رئيسي موجهة لدعم النشاط التعليمي.

وإلى جانب دعوة القراء للتبرع لصالح مؤسسات الجمعية قامت الجريدة بنشر أسماء المتبرعين ومبالغ التبرعات، وهي بهذا تحاول كسب ثقة القراء بنشر أسمائهم وتبرعاتهم، وترغبهم أكثر في تقديم المعونات المادية.

- الإعلانات الموجهة إلى القراء والمشتركين والموزعين، فبلغت 17 مفردة بنسبة 11.18 % من إجمالي الإعلانات المنشورة.

فأما الإعلانات الموجهة إلى القراء فتخص الإعلان عن صدور الصحف مثل "الشباب المسلم" الصادرة عن جمعية العلماء باللغة الفرنسية، والكتب كـ "رسالة الشرك ومظاهره" و"تاريخ الجزائر" لمحمد مبارك الميلي، وعناوين بعض الكتب والمكتبات التي تباع بها كصحيح البخاري، وإحياء علوم الدين، وديوان المتنبي وغيرها...

أما الإعلانات الموجهة للمشتركين والموزعين فهي تحمل جميعا دعوة للوفاء بما في ذمتهم من مال للجمعية، وقد تكررت هذه الإعلانات في أغلب أعداد العينة، وقد تسبب التأخر في دفع الاشتراكات والمستحقات في أزمة الجريدة المالية، وهو مشكل عانت منه الصحف العربية دائما، ومما ذكره محمد البشير الإبراهيمي عن هذا المشكل "الجريدة توشك أن تتعطل عن القيام بواجبها مكرهة، إذ هي لا تعتمد في مواردها المادية إلا على اشتراكات المشتركين ودخل الباعة، وليس لها

اعتمادات أو إعانات أو إعلانات تقوي ميزانيتها، وإذا كان المشتركون يتهاونون في دفع ما بذمتهم أو لا يدفعونه حتى نرسل إليهم من يأخذ منهم، والباعة يتقاعسون عن تصفية حساباتهم بانتظام في كل شهر فإن سير هذين الموردين الوحيدين للجريدة يختل"[1].

- وبلغت الإعلانات التجارية سبع مفردات، بنسبة 4.60 % وقد كانت الإعلانات مرفقة بصور أو رسوم يدوية تعرف بالمنتوج المعلن عنه ورغم ضعف النسبة إلا أن الجريدة بلا شك سوف تقدم عن طريق هذه الإعلانات خدمة لكل من المنتج والموزع وذلك بالتعريف بالسلعة التي تقدمها، وخدمة للمستهلك أو المنتج حيث تعرفه بالسلعة المعروضة في السوق ومكان تواجدها[2].

2 - الشعر:

بلغ عدد القصائد المنشورة 22 قصيدة، وهو عدد يعتبر مهما، يبرز دور الجريدة المهم في خدمة الحركة الأدبية، وتشجع الأدباء على نشر إنتاجهم، سواء كانوا شعراء معروفين أم شعراء شباب أمثال محمد العيد آل خليفة وأحمد سحنون وأبو القاسم سعد الله وموسى الأحمدي وجلول البدوي وغيرهم، كما نشرت لشعراء من الوطن العربي كخماسيات عمر الأميري.

3 - بريد القراء:

أضافت الجريدة إلى أركانها ركنا جديدا وسمته "بريد البصائر"[3]، ويظهر أنها كانت تقصد منه الرد على رسائل القراء التي ترد إليها سواء تعلق ذلك بالموضوعات التي يرغبون في نشرها أو الرد على بعض طلباتهم، إلا أن هذا الركن لم يظهر إلا مرة واحدة، ولم تشرح الجريدة سبب هذا الغياب، ويعد ذلك تقصيرا من الجريدة في إظهار الاهتمام اللازم برسائل القراء من جهة وفي تلبية حقهم في الرد من جهة أخرى.

---

(1) - البصائر، س 3، ع 134، ديسمبر 1950.

(2) - أحمد المصري، الإعلان، (مصر، مؤسسة شباب الجامعة: 1992)، ص 13، 14، 15، 16.

(3) - البصائر، س 2، ع 81، (30 ماي 1949).

2_مجالات اهتمام جريدة البصائر:

جدول رقم (5)

يبين توزيع عينة الدراسة وفقا لمجالات اهتمام الجريدة

الموضوع	التكرار	النسبة %
سياسي	93	% 50
اجتماعي وأخلاقي	29	% 15.59
جمعية العلماء	31	% 16.66
ثقافي	23	% 12.36
علمي وتاريخي	10	% 5.37
المجموع	186	% 99.98

١ - المواضيع السياسية:

يوضح الجدول رقم (5) ترتيب الموضوعات التي عالجتها الصحيفة، ويأتي على رأسها الموضوعات السياسية إذ بلغ عددها ثلاثة وتسعين، أي بنسبة 50 %.

وهذه النتيجة تعكس حجم اهتمام الجريدة بالوضع السياسي، وقد مست من خلالها عدة مستويات. ولأهمية هذه النتيجة، وللكشف الدقيق عن مراكز الاهتمام، فقد تم تقسيم الموضوع السياسي إلى فئات فرعية على أساس المجالات الجغرافية التي قامت الصحيفة بتغطية وقائعها، ولهذا تم اختيار المعيار الإقليمي في تصنيف الموضوعات السياسية. وقسمت إلى:

- محلية.
- عربية وإسلامية.
- عالمية.

وسيتم بيان مركز اهتمام الجريدة وفقا لمجالات التغطية، وفي جداول خاصة، كما يلي:

جدول رقم (6)
يبين توزيعات الموضوعات وفقا للمجال الجغرافي

الموضوع	التكرار	النسبة %
- محلي	34	% 36.5
- عربي وإسلامي	42	% 45.16
- عالمي	17	% 18.27
المجموع	93	% 99.98

1 - يتضح من الجدول السابق أن الموضوعات السياسية العربية والإسلامية قد شكلت أعلى نسبة قدرت بـ 45.16 % من إجمالي الموضوعات السياسية التي عالجتها الجريدة. وهذا يعكس حجم اهتمامها بقضايا العالم العربي والإسلامي.

ويرجع هذا الاهتمام إلى طبيعة العلاقة التي تربط الجزائر بالدول العربية والإسلامية وطبيعة الظروف والمرحلة التي تمر بها المنطقة، حيث عرفت الساحة السياسية العربية والإسلامية بعد الحرب العامية الثانية أحداثا وتحولات هامة كالعدوان الإسرائيلي على فلسطين، والنضال العربي ضد الاستعمار والاحتلال الأجنبي، والتطورات السياسية التي وقعت في الوطن العربي عموما، وتطورات قضايا المغرب العربي بشكل خاص.

إضافة إلى اهتمامها برصد التحولات السياسية الداخلية لبعض الدول العربية والإسلامية، ومنها إزاحة الملك فاروق عن عرش مصر، وتولي الجيش بقيادة اللواء محمد نجيب تسيير شؤون مصر.وقامت برصد أهم معالم السياسة الغربية في المنطقة العربية.

وقد لوحظ أن ثلاث موضوعات من إجمالي الموضوعات السياسية ذات المجال الجغرافي العربي والإسلامي قد خصصت لدول إسلامية غير عربية.وشكلت نسبة 7.14 % من 45.16 %، وهي نسبة تعتبر ضئيلة. ويعني ذلك أن الجريدة تعتبر القضايا العربية في المقام الأول من حيث الأهمية؛ فإضافة إلى الروابط العقدية واللغة والتاريخ الذي يجمع بين كل العرب، وما ينتج عن ذلك من

مشاركة في المشاعر والمنازع وفي الآلام والآمال، هناك أيضا التحدي الخارجي المتمثل في الاستعمار الغربي الذي يحتم وحدة العرب لرد عدوانه.

خصص الموضوع الأول للحديث عن العدوان الهولندي على أندونيسيا المسلمة ، وجاء الحديث عنها في إطار بحث مشكل الاستعمار العالمي الذي في كل مرة يطرح نفسه على العالم فوق بساط من الدم ومن النار، فتحت عناوين فرعية (الطغيان الاستعمار - الاستعمار ملة واحدة - ثبات عجيب - رفع القناع - على غرار موسوليني) أشارت الجريدة في تحليلها لهذه القضية إلى عدة زوايا تكشف عن طبيعة الاستعمار وأهدافه:

- أن المعركة الحالية التي أقدم على إيقادها الاستعماريون الهولنديون ليس سوى معركة بين فكرة الاستعمار وفكرة الحرية
- الاستعمار الهولندي وغيره يهدف إلى استغلال الثروات البلاد المستعمرة.
- أن أمريكا كانت وراء الغزو الهولندي لأندونيسيا، فهو الذي وطد أقدامهم من جديد وجهزهم بالأسلحة والأموال والسفن وهدفه من وراء ذلك أن يستثمر من ورائهم ما في أندونيسيا من معادن ومناجم وخيرات طبيعية، ومنابع بترولية، وكذلك ليبعد الخطر الشيوعي الذي يحاول ابتلاع النظام الرأسمالي في آسيا.
- ثبات الأندونيسيين في حربهم من أجل الحرية[1].

وأما الموضوع الثاني فكان تعليق حول المؤتمر الذي عقد بكراتشي، كان هدفه تعزيز علاقات التعاون بين الدول الإسلامية في المجالات الاقتصادية والتجارية والمالية والصناعية، وهذا المؤتمر يصب في المجهود الذي تبذله باكستان في سبيل " ..التكتل الإسلامي وتمكين الروابط بين أبناء الإسلام لتجعل منهم سدا قويا تعتمد عليه في حل مشاكلها الحاضرة وفي مستقبل الأيام حذر الطوارئ والخطوب".[2]

---

[1] - أبو محمد، البصائر، س 2، ع 61، (27 ديسمبر 1948).

[2] - أبو زيد الهلالي، مؤتمر كراتشي الإسلامي، س4، ع145، (05 مارس 1951).

أما الموضوع الثالث فتحت عنوان "الحالة السياسية والدينية في البلاد التركية" تحدثت فيه الجريدة عن الاضطرابات السياسية التي تشهدها تركيا بسبب اشتداد الانتقادات التي وجهتها الأحزاب المعارضة للحكومة لأنها عجزت عن تحقيق وطأة الأزمة الاقتصادية والسير بالبلاد في طريق الحكم الشعبي الديموقراطي.[1]

2 - جاءت الموضوعات السياسية المحلية في المرتبة الثانية بنسبة36.95 % وبفارق 8.7 % عن الموضوعات العربية والإسلامية، وهذا الفارق لا يعتبر كبيرا. ويتقلص أكثر من خلال الموضوعات التي جاءت أفكارها الأساسية حول واقع الدول العربية بما في ذلك الجزائر.

وهذه النتيجة تعكس حجم الاهتمام بالواقع السياسي الداخلي، وتكشف عن مركز هذا الاهتمام من خلال التركيز على جوانب دون أخرى، والتي سيتم بيانها في جدول خاص.

3 - أما الموضوعات ذات المجال الجغرافي العالمي فجاءت بنسبة 16.39% وهي تأتي في المرتبة الثالثة.

وقد لوحظ تخصيص منبر ثابت لمعالجة الموضوعات السياسية العالمية تحت مسمى "منبر السياسة العالمية".

وقد تركزت هذه الموضوعات بشكل عام في عرض آثار الحرب العالمية الثانية، والوضع السياسي العالمي الجديد، وأهم القوى الغربية الفاعلة في الواقع كأمريكا وإنجلترا وفرنسا، واهتمت بالكشف عن سياسات هذه الدول تجاه دول العالم الأخرى في ظل الصراع على مناطق النفوذ.

---

[1] - البصائر، س1، ع13، (10 نوفمبر 1947).

جدول رقم (٦)
يبين توزيع المواضيع السياسية العربية

الفئـــــة	التكرار	النسبة %
-الاستعمار في المغرب العربي	19	% 48.71
- الضغط الغربي على دول المشرق العربي	7	% 17.94
- الصراع العربي الإسرائيلي	10	% 25.64
- الحياة السياسية في مصر	3	% 7.69
- المجموع	39	% 99.98

- يطلعنا الجدول رقم (٦) على أهم المجالات (الأفكار) التي عولجـــت في إطارهـــا الموضوعـــات العربية، ويظهر أن قضايا المغرب العربي قد احتلت المرتبة الأولى بنسبة 48.71 %، ويرجع ذلـــك إلى عدة عوامل أهمها :

- الشعور بوحدة المصير، فإلى جانب رابطة العروبة والإسلام الـــتي تصـــل الجزائـــر بالأقطار المغاربية، فإن أوضاعها في ظل الاستعمار تحتم عليها التضامن.
- العامل الجغرافي الذي قد يسهل على الجريدة الوصول إلى مصـــــادر المعلومـــات، والقيام بمتابعة كل ما يقع في المنطقة من أحداث.

وقد دارت المادة الصحفية في هذا الاتجاه حول أهم التطورات والأحداث السياســـية في الأقطـــار المغاربية الثلاث: المغرب وتونس وليبيا. وتكشف عن جوانب السياسة الاستعمارية في المنطقة.

جاء الحديث عن قضية المغرب في المقام الأول، حيث خصصت له عشر مفردات، ســـجلت مـــن خلالها أهم الأحداث التي شهدها بسبب الضغوطات التي كان يمارسها الاستعمار على العنـــاصر الوطنية، والتي استمرت في شكل صدام مع الملك محمد الخامس، ثم نفي هذا الأخير، وقد كتبـــت جريدة البصائر مقالا مطولا تحت عنوان "بطشة الاستعمار بجلالة ملك المغرب"[1] عرضـــت مـــن خلاله تفاصيل خلع الملك والأساليب التي كانت وراء ذلك، كما قامت برصد أهم ردود الفعل في الصحف الفرنسية، وفي نفس العدد نشرت الجريدة فتوى العلماء الجزائريين حول خلـــع الملـــك، وأخرى لشيخ الأزهر أكدوا فيها على عدم شرعية هذا الخلع، وأن إمامته قائمة وطاعته واجبة على

[1] - البصائر، ع 239، (4 سبتمبر 1953).

كل مسلم مغربي. كما نشرت الجريدة برقية احتجاج باسم جمعية المسلمين إلى رئيس حكومة فرنسا بباريس. وقامت الجريدة أيضا بتحليل الوضع السياسي في المغرب بسبب التغييرات التي قامت بها الإدارة الاستعمارية، وما خلفته هذه التغييرات من اضطرابات في المدن، ومن ذلك مقالا مهما بعنوان "هل هي نار الهشيم..؟"[1].

ركزت المقالات والموضوعات التي تناولت الوضع السياسي في تونس على شرح وتحليل وتقديم الدلائل على حقيقة وطبيعة الاستعمار وسياسته في تونس حيث وصفها بالرجعية وأنها واحدة لا تتبدل رغم ما تدعيه في محاولة لتضليل الرأي العام الداخلي التونسي والرأي العام الخارجي.

ومن المقالات الهامة التي تعبر عن هذه الفكرة التي دارت حولها أغلب الموضوعات المنشورة مقال بعنوان "السياسة الاستعمارية في تونس سياسة رجعية لا تتبدل وكل جديد في سياستها أن تبدل حاكما بآخر"[2]. وأبرز القضايا التي شهدتها تونس في فترة صدور العينة حل الوزارة التونسية بطريق القوة وقيام الاستعمار بإدخال رجالها إلى المعتقلات، فقامت الجريدة بتسجيل هذا الحدث، ورصدت أهم آثار وردود الفعل الداخلية والخارجية وأهمها قيام باكستان وباسم الدول العربية والإسلامية بعرض القضية أمام مجلس الأمن[3].

أما ليبيا فقد كانت على وشك نيل استقلالها، ولهذا فإن أهم ما ركزت عليه الجريدة هو رصد أهم حدث في القضية وهو عرضها على مجلس الأمن، وتتبع مناقشاته، إضافة إلى اهتمامها بما كان يدور داخل ليبيا من تحولات سياسية سبقت الإعلان عن الاستقلال، ومن المقالات التي نشرت مقالا بعنوان "ليبيا أمام التاريخ"[4]، إضافة إلى الأخبار والتعليقات التي نشرت في منبر "في الشمال الإفريقي".

- جاءت نسبة الموضوعات التي عالجت قضية الصراع العربي الإسرائيلي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بنسبة 25.61 %، وجوهر هذا الصراع هو فلسطين التي احتلها اليهود بمساعدة إنجلترا ثم تدخل الولايات المتحدة الأمريكية التي أظهرت حرصا على إبقاء وحماية الكيان اليهودي في المنطقة. وقد أشار محمد البشير الإبراهيمي إلى أن الاهتمام بقضية فلسطين هو واجب معلق في عنق

---

(1) - البصائر، س 8، ع 326، (8 جويلية 1955).

(2) - البصائر، س 13، ع 122، (5 جوان 1950)، (المغرب والإصلاحات التونسية)، (في الشمال الإفريقي).

(3) - البصائر، س 5، ع 186، (7 أفريل 1952)، (منبر السياسة العالمية).

(4) - البصائر، س 6، ع 260، (26 فيفري 1954).

كل مسلم عربي، والبصائر بما تنشر من المقالات إنما تقوم ببعض الواجب على مسلمي الجزائر[1]. فأوضحت خلفيات القضية الفلسطينية وأبعادها، وتحدثت عن مشكلة الفلسطينيين المشردين وهجرات اليهود المتتابعة وأعمالهم الإجرامية في المنطقة[2]، وقد عبرت الجريدة من خلال الموضوعات عن روح الإدانة والاستنكار للاحتلال الصهيوني الذي كشف عن نواياه في المنطقة. وأشارت إلى ضرورة تكتل العرب لإيقاف الزحف الصهيوني.

كما أشارت إلى بعض المواقف العربية إزاء القضية، وأكدت على مسؤولية العرب تجاه فلسطين، وأنها جزء لا يتجزأ من الوطن العربي يجب الدفاع عنه، وأن الوحدة هي الحل الوحيد لمواجهة مختلف أشكال الاستعمار.

ونظرت إلى الصراع العربي الإسرائيلي على أنه صراع مصيري، وأن القضية قضية حياة أو موت، وكما جاء في أحد المقالات "إن لم تقتل العروبة الصهيونية، قتلت الصهيونية العربية"[3].

أما الموضوعات التي تناولت بالتحليل سياسة الضغط الغربي على دول المشرق العربي، فقد جاء الاهتمام بها في المرتبة الثالثة بنسبة 17.94 %، وقد كشفت من خلالها أن منطقة المشرق العربي قد أصبحت مسرحا مفتوحا لتيارات الصراع بين القوى الدولية، وقد سعت هذه الدول منفردة أو مجتمعة إلى السيطرة على هذه المنطقة واحتوائها خدمة لأهدافها، وعملها على تفتيت وحدة الأمة العربية ومنع تحقيق تكاملها السياسي والنضالي.

وأن اهتمام الجريدة بالوضعية السياسية في المشرق العربي هو جزء من الاهتمام بشؤون كل الأقطار العربية في المشرق أو في المغرب، فالعرب جميعا أمة واحدة وأن ما بين العرب من أسباب الترابط والتلاحم ووشائج القربى لا يمكن أن تفصم عراه"[4].

وهو أيضا جزء من الاهتمام بالتحولات التي أصبحت تميز السياسة العالمية بعد الحرب العالمية الثانية تجاه الوطن العربي، حيث اشتد التنافس بين أمريكا التي خرجت منتصرة من الحرب والاتحاد السوفياتي بعد ظهوره كقوة عظمى على مسرح السياسة الدولية.

وركزت الموضوعات أكثر على شرح السياسة الخارجية الأمريكية بسبب تدخلاتها المباشرة في الشؤون العربية، وممارسة الضغوطات التي تهدف من ورائها إجبار الدول العربية حتى تكون ضمن

---

(1) – البصائر، ع 91

(2) – باعزيز بن عمر، "بلدان لا ناقة لنا فيها ولا جمل"، س2، ع 81 (30 ماي 1949).

(3) – منبر السياسة العالمية، س 2، ع 61، (27 ديسمبر 1948).

(4) – علي مرحوم، "وجهتنا الطبيعية"، البصائر، س 1، ع 13، 10 نوفمبر 1947).

منطقة الحرب ضد الاتحاد السوفياتي من جهة، ولحماية إسرائيل ومصالحها ومصالح الدول الغربية في المنطقة[1].وهذا التدخل لم يشمل الدول العربية فقط وإنما شمل أيضا بقية دول العالم (مثل كوريا)[2] وذلك من أجل فرض سيطرتها على العالم.

واحتلت الموضوعات التي عالجت الحياة السياسية في مصر في المرتبة الرابعة بنسبة 7.65 %. وأول حدث هام سجلته البصائر هو إزاحة الملك فاروق عن عرش مصر، وتولي الجيش قيادة البلاد، وجاء في مقال تحت عنوان "السياسة الاستبدادية الفاجرة تقضي على عرش فاروق وتبعث به إلى المنفى"[3].

أما المقال الثاني فخصص للحديث عن الأحزاب السياسية في مصر تحت عنوان "انقلاب سلمي خطير"[4].

وأخيرا نشرت الجريدة تقريرا من مراسلها الخاص بالقاهرة للوضع السياسي في مصر ونشاط الرئيس محمد نجيب[5].

جدول رقم (8)

يبين توزيع الموضوعات السياسية المحلية

الموضوع	التكرار	النسبة %
- الإدارة الاستعمارية	18	% 52.94
- المجلس الجزائري	10	% 29.41
- الأحزاب الجزائرية	2	% 5.88
- أخرى	4	% 11.76
- المجموع	34	% 99.99

(1) - أنظر على سبيل المثال:
- منبر السياسة العالمية، البصائر، س 3، ع 122، (5 جوان 1950).
- // // س 4، ع 175، (26 نوفمبر 1951).

(2) - منبر السياسة العالمية، البصائر، س 3، ع 133، (23 أكتوبر 1950).

(3) - البصائر، س 5، ع 198، (4 أوت 1952)، (منبر السياسة العالمية).

(4) - البصائر، س 3، ع 109، (27 فيفري، 1950)،(محمد الحاج الناصر).

(5) - البصائر، س 5، ع 211، (29 ديسمبر 1952).

- يظهر من خلال قراءة الجدول أن موضوع سياسة الإدارة الاستعمارية المطبقة في الجزائر قد حاز على الاهتمام الأكبر للجريدة، حيث خصصت له ثمانية عشر موضوعا بنسبة 52.94 %.
وللإشارة فإن 50 % من هذه الموضوعات قد وجه للحديث عن قضية "فصل الدين عن الحكومة الفرنسية"، وشرح أبعادها، وكتب أغلب مقالاتها محمد البشير الإبراهيمي، ونشرت في الصفحة الأولى من الجريدة، وكانت أهم عناوينها "الأديان الثلاثة في الجزائر"[1]، "الدين المظلوم"[2]، "فصل الدين عن الدولة مناف لوصله بها"[3].

وهذا الاهتمام بقضية فصل الدين عن الحكومة يعكس من جهة طبيعة جمعية العلماء المسلمين التي "تعتبر نفسها مسؤولة عند الله وأمام الأمة الجزائرية عن الإسلام ومعابده وتعليمه ولغته وجميع شعائره الحقيقية وأحكامه القضائية"[4]. ومن جهة أخرى يعكس حجم تسلط الاستعمار على الشؤون الإسلامية. فعلى الرغم من أن الإدارة الفرنسية قد أعلنت مبدأ فصل الدين عن الدولة، إلا أنها سعت بالنسبة للدين الإسلامي وبشتى الوسائل إلى الوقوف دون تطبيق هذا المبدأ، وذلك إمعانا في التسلط والاحتكار واستضعافا للمسلمين واحتقارا لهم.

وأشارت الموضوعات التي تناولت قضية "فصل الدين عن الدولة" إلى أن هدف الاستعمار البعيد من خلال أشكال التدخل والسيطرة التي يمارسها على الشؤون الإسلامية، هو القضاء على الوطنية بالقضاء على الدين الإسلامي الذي يعتبر أحد أهم مقوماتها، ولهذا اعتبرت قضية فصل الدين الإسلامي قضية الأمة كلها، وأنها لا تحقق ذاتها إلا إذا بقيت متمسكة بهذا المطلب.

وأما الرسالة التي وجهتها للشعب الجزائري فهي بيان الآثار السلبية الخطيرة لهذه التدخلات على حياتهم الدينية والاجتماعية[5].

- أما بقية الموضوعات فقد واصلت الحديث عن أساليب الإدارة الاستعمارية في معاملة الشعب الجزائري، وموقفها من مقوماته، كما بينت ما يتعرض له أفراد المجتمع من اضطهاد وتضييق على الحريات، وحرمان من أبسط الحقوق.

---

(1) - البصائر، س 1، ع 13، (10 نوفمبر 1947).

(2) - البصائر، س 4، ع 122، (5 جوان 1950).

(3) - البصائر، س 6، ع 211، (29 ديسمبر 1952).

(4) - محمد خير الدين، المصدر السابق، ج 2، ص 28.

(5) - أنظر على سبيل المثال: حمزة بوكوشة، "القضاء الإسلامي بالجزائر"، البصائر، س 1 ، ع 1 ، (25 جويلية 1945).

وكذلك اهتمت الجريدة بنشر الأخبار والتعليقات التي ترتبط بالقضية الجزائرية بعد اندلاع الثورة التحريرية، وتصريحات رجال السياسة الفرنسيين، والصحف الأجنبية، وموقف منتخبي البلديات التي تحددت في الاستقالات المتوالية التي كانوا يقدمونها كرد فعل على ظروف الحرب التي ازدادت حدة.

- وجاء اهتمام صحيفة البصائر بالمجلس الجزائري في المرتبة الثانية، أي بنسبة 29.41 %. أما سبب الاهتمام فيرجع لكون المجلس هو الهيئة التي تتولى مناقشة الأمور التي تتعلق بالمجتمع الجزائري، وتتخذ القرارات تجاهها.

ومما لوحظ في تصوير الجريدة لجلسات المجلس ومواقفه إزاء القضايا التي عرضت عليه سيطرت السمات السلبية على صورته، حيث ركزت على بيان مواقفه السلبية التي اتخذها فيما يخص المسائل التي تهم الشعب الجزائري، وأهمها: الدين الإسلامي، واللغة العربية، وتوزيع الميزانية والخدمات الاجتماعية، إذ اعتبرت أن كل القرارات التي اتخذها كانت في صالح الاستعمار، وضد مصلحة الشعب الجزائري، وبالتالي فإن المجلس ليس إلا أداة من أدوات الاستعمار يستخدمها لإبقاء المجتمع الجزائري في أسوأ حال.

والسمة الإيجابية الوحيدة التي سجلت للمجلس، كانت حول رفض بعض أعضائه إجراء انتخابات بعد اندلاع الثورة التحريرية وتقديم استقالاتهم.

- أما أضعف نسبة سجلت فتتعلق بالأحزاب الجزائرية، وتقدر بـ 5.88 %، وهذه النتيجة تتطابق مع المبدأ الذي أعلنته جمعية العلماء المسلمين، وهو التزامها الحياد تجاه الأحزاب السياسية الجزائرية، فلا تهاجم أو تعارض أو تساند حزبا على حساب حزب آخر.

وقد جاء في بلاغ مجلسها الإداري الذي وجهته للأمة أن جمعية العلماء هي جمعية الأمة كلها وهذه الحقيقة تفرض عليها أن تكون فوق الطوائف والأحزاب لتكون حكما بينهم إذا اختلفوا على مصلحة، كما أشار البلاغ أن أدنى عواقب اختلاف الأحزاب وما يجره هذا الاختلاف من سباب وأحقاد هو تمزيق الشمل وإضعاف القوة، وهذا ليس من مصلحة الوطن والأمة، وإنما هو من مصلحة خصوم الوطن وأعداء الأمة[1].

---

[1] - البصائر، س 2 ، ع 29 ، (29 مارس، 1948).

والموضوعان اللذان نشرا فيتعلقان بالاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري. الأول حول البيان الذي أعلنه الحزب للأمة يشرح فيه موقفه من الأزمة، والثاني حول الرسالة التي وجهها الكاتب العام للحزب "فرحات عباس" إلى مؤتمر الديبلوماسيين الأمريكيين المنعقد بطنجة حول حق الشعب الجزائري في تقرير المصير.

- وفي فئة أخرى برزت عدة عناوين،سجلت مواقف وأحداث مختلفة تتصل بالقضية الجزائرية هي:

- نداء في سبيل الوحدة القومية[1]: وجهت من خلاله جمعية العلماء دعوة للأحزاب والحركات الوطنية، من أجل الوحدة فيما بينهم من أجل خدمة القضية الوطنية في مواجهة الاحتلال، لأنها سبيلهم إلى الحرية، مشيرة إلى أن هناك أكثر من سبب ودافع للوحدة.
- "من وحي البرلمان الفرنسي"[2]: تعرضت الجريدة من خلاله إلى موقف البرلمان والأحزاب السياسية الفرنسية من القضية الجزائرية، وخلصت إلى أنه موقف يعكس الطبع الرجعي الذي يتسم به الاستعمار الفرنسي، الذي لا زال متمسكا بسياسته القديمة تجاه الجزائر، وهي سياسة رجعية وظالمة.
- "كفاح الجزائر"[3]: كتب هذا المقال بقلم سيد قطب، تحدث فيه عن كفاح الجزائر ضد كل أعمال الاستعمار التي يهدف من ورائها القضاء على وطنية الشعب الجزائري، وهو كما وصفه كفاح من أجل البقاء وكفاح من أجل أن تبقى الجزائر عربية مسلمة، وأن العنصر الذي يحمي المكافحين في العالم الإسلامي من الانهيار ويمسك بهم من التفكك والتفتت هو العقيدة واللغة التي نزلت بها هذه العقيدة، وكل ذلك مجسد في كفاح الجزائر.
- "مظاهرة الطلبة الجزائريين بتونس"[4]: وهي مظاهرة قام بها بعض الطلبة الجزائريين بتونس تعبيرا عن مشاعرهم نحو وطنهم الذي لازال يعيش تحت وطأة الاستعمار هاتفين بحياته واستقلاله.

---

(1) – البصائر، س 1 ، ع 13 ، (10 نوفمبر 1947).

(2) – البصائر، العدد نفسه.

(3) – البصائر، س 5، ع 214 ، (23 جانفي 1953).

(4) – البصائر، س 9 ، ع 361، (6 أفريل، 1956).

جدول رقم (9)
يبين توزيع المواضيع السياسية العالمية

الموضوع	التكرار	النسبة %
الصراع الأمريكي السوفياتي	10	% 58.82
السلام العالمي وحق تقرير المصير	5	% 29.41
أخرى	2	% 11.76
المجموع	17	% 99.99

يطلعنا الجدول رقم (9) على ترتيب الموضوعات السياسية العالمية. ويأتي على رأسها موضوع الصراع الأمريكي السوفياتي بنسبة 58.82 % من جملة الموضوعات السياسية العالمية التي طرحتها في تحليلها وتفسيرها لأهم النتائج التي تمخضت عن الحرب العالمية الثانية في الساحة الدولية.

وتمت معالجة هذه الموضوعات من خلال "منير السياسة العالمية".

وقد بدأ الحديث عن أثر الحرب العالمية الثانية مع أول وأهم مشكل شغل الرأي العام العالمي آنذاك. وهو تقسيم ألمانيا التي كانت أكبر قوة مسيطرة على أوروبا.

وقد دارت الموضوعات التي تناولت صراع القطبين الأمريكي - الروسي على مناطق النفوذ حول فكرتين رئيسيتين:

الأولى: التغيير الجذري في ميزان القوى الدولية بظهور الاتحاد السوفياتي كقوة عالمية ثانية، الأمر الذي جعل الولايات المتحدة الأمريكية تغير من سياستها الخارجية وذلك بتبنيها استراتيجية الهيمنة الدولية، والإصرار على احتواء الاتحاد السوفياتي وهذا باتباع سياسة إبقائه بعيدا عن دول أوروبا وما ينجر عن ذلك من ردود فعل سوفياتية.

وتؤكد أغلب هذه الموضوعات على إصرار الولايات المتحدة الأمريكية على سياسة التدخل في كل دول العالم وتأثيرها على مجريات السياسة العالمية بمباركة هيئة الأمم المتحدة وتحت غطائها، وهذا عن طريق استعمال القوة العسكرية خاصة بعد صنع القنبلة الهيدروجينية (الذرية) وتقديم المساعدات الاقتصادية لاحتواء كل نشاط سياسي في دول أوروبا المعارض للأيديولوجيا والسياسة السوفياتية وفرض منطق جديد للسلام العالمي. وقد ظهرت نتائج هذا التدخل في التوجهات السياسية الجديدة التي تبنتها هذه البلدان، وأهمها إنجلترا وفرنسا وإيطاليا، وهذا التغير سجلته

الانتخابات البلدية التي جرت في بلدانها حيث ظهر جليا في فوز أحزاب اليمين على حساب الأحزاب الاشتراكية، وقد علقت البصائر في إحدى مقالاتها على تأثير أمريكا في سياسات هذه البلدان بقولها "وكأن الدولة الأمريكية الجسيمة كانت مهيمنة على تلك الانتخابات في الأقطار الأوروبية. فالذين توجهوا لصناديق الانتخاب لم يكونوا يفكرون في البلديات ومن يتولاها، وفي المصالح المحلية ومن يرعاها، وإنما كانوا يتوجهون بأنظارهم إلى ما هو أسمى من ذلك الهدف، كلنوا يتوجهون بأنظارهم وهم يقترعون صوب موسكو أو صوب واشنطن... وكانت صاحبة الجلالة الدولارية هي المختارة المبرزة في هذا السباق الجسيم."[1]

هذا إضافة إلى المقالات التي أشارت إلى صور الصراع الحاد القائم بين روسيا وأمريكا ومساعي هذه الأخيرة لفرض نفوذها بمباركة هيئة الأمم وتحت غطائها[2].

الثانية: أن أغلب هذه الموضوعات لم تعالج بمعزل عن العالم العربي خاصة وإفريقيا عامة، في إطار بحث آثار هذه التحولات السياسية في واقعيهما، فإذا كانت الحرب العالمية الثانية قد غيرت وجه السياسة العالمية فإن ذلك التغيير لم ينعكس في واقع الدول العربية والإفريقية. وهذا التحول السياسي يكشف عن وجه من وجوه الاستعمار، حيث أن منطق الصراع والدكتاتورية ومحاولة إخضاع شعوب العالم، لم تنته بانتهاء الحرب العالمية الثانية وأزمة العالم لم تحل، وإنما دخلت مرحلة جديدة، والدليل على ذلك أن الشعوب الضعيفة المستعمرة والتي دفعت ثمنا باهضا في الحرب لم تنل حريتها واستقلالها كما وعدتها الدول التي كانت تدعي أنها تحارب الدكتاتورية في العالم وأن هيئة الأمم التي أسست بعد نهاية الحرب لم يكن لها أي دور في حماية الدول الضعيفة، وقد قوبلت مطالبتها بالحرية بألوان من الاعتداءات وأنماط التعذيب. وبالتالي فإن التغيرات السياسية التي شهدها العالم الغربي بعد الحرب لم تنعكس في واقع الدول العربية والإفريقية.

---

(1) - البصائر، س1، ع13، (10 نوفمبر 1947).

(2) - أنظر على سبيل المثال المقالات التي نشرت في منبر السياسة العالمية في الأعداد التالية:

- ع 133، (23 أكتوبر 1950).
- ع 109، (28 فيفري 1950).
- ع 231، (29 ماي 1953).
- ع 260، (26 فيفري 1954).
- ع 288، (8 أكتوبر 1954).

– وقد جاء موضوع السلام العالمي واحترام حرية الشعوب وحقها في تقرير المصير في المرتبة الثانية بنسبة 25 % حيث خصص له خمس موضوعات وهي "جاء دور إفريقيا"[1]، "القلق الاجتماعي"[2]، "في مجتمعنا الجديد"[3]، "بين السلام العالمي والسلام الاجتماعي"، "لا يفل الحديد إلا الحديد"[4]. فقامت من خلالها بتحليل طبيعة السياسة الغربية القائمة على الظلم والعدوان وأشارت إلى أن السلام العالمي هو سبيل السلام الاجتماعي القائم على احترام حقوق الأفراد والمجتمعات، والحيلولة بينها وبين طغيان المصالح والنزاعات، مشيرة إلى حركات التحرر التي بدأت تظهر في بعض دول العالم، وأن هذه الحركة التحررية ستستمر، ولا بد أن تصل إلى كل بلد مستعمر، وأن مطلب السلام لا يهم الدول المستعمرة فقط، وإنما يهم كل دول العالم التي أصبحت تعيش قلقا اجتماعيا حادا زعزع استقرارها وشعورها بالاطمئنان، فإذا كان بالنسبة لغيرها سببه الاستعمار، فإن الخوف من اندلاع الحرب وما قد تخلفه من مآسي وفقد العدالة هو سبب ما تعانيه من قلق، ولهذا فإن الحل المناسب لها هو وضع دساتير تقوم على التعاون بين الأمم لحفظ السلام. وقيام الحياة الاجتماعية على أسس من العدالة، أما الحل بالنسبة لدول الشرق فموقوف على زوال الاستعمار وتمكين كل شعب من شعوب إفريقيا وآسيا من التمتع بحقوقه المشروعة[5].

وقد لوحظ أن الفكرة الأساسية لهذه الموضوعات قد تم الإشارة إليها في الموضوعات التي تناولت قضية بين المعسكرين الشرقي والغربي، تأكيد على نزوع الشعوب المستعمرة إلى الحرية.

– أما الموضوعان الأخيران فقد جاء الأول مكنهما تحت عنوان "الاشتراكية تتحرك"، للحديث عن انعقاد المؤتمر الاشتراكي الأول، وكان اهتمام الجريدة بالحديث عنه من منطلق أن الفكرة الشيوعية الصحيحة ترفض الاستعباد وترى الاستعمار جريمة في حق شعوب العالم.

والموضوع الثاني الذي جاء بعنوان "الانتخابات الفرنسية" فكان يخص الانتخابات الفرنسية، وما يمكن أن ينتج عنها من تغييرات داخلية، قد تنعكس على الموضع بالجزائر ومستقبله حيث تساءلت ما إذا كانت الحكومة المقبلة ستهتم بالقضية الجزائرية وتستجيب لرغائب الشعب الجزائري.

---

(1) – البصائر، س ٦، ع 274، (11 جوان 1974).

(2) – البصائر، س٦، ع 288، (8 أكتوبر 1948).

(3) – البصائر، س8، ع348، (6 جانفي 1956).

(4) – البصائر، س9، ع361، (6 أفريل 1956).

(5) – البصائر، س٦، ع 288، (8 أكتوبر 1954).

الجمعية:

بلغت الموضوعات التي خصصت لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين 31 موضوعا أي بنسبة 16.66%، تتبعت من خلالها الجريدة أنشطتها وأعمالها وبينت أهدافها. والأنشطة التي تتبعتها تتمثل في:

- تأسيس المدارس عبر مختلف أرجاء القطر الجزائري.
- إرسال وفود الوعظ والإرشاد.
- الرحلات.

أما تأسيس المدارس فقد جاء الحديث عنها في شكل تقارير، جاءت متضمنة تفاصيل عن الافتتاح، والأفراد الذين حظروا الاحتفال، والكلمات التي ألقيت خلاله، والتي تنصب في أغلبها في شرح أهداف الجمعية، ودورها في تعليم المجتمع الجزائري، والدعوة الواضحة إلى تأييدها والتعاطف معها.

كما كانت هذه التقارير تصف ردود فعل الجزائريين المؤيدة، والتي تظهر في استعدادهم للبذل والعطاء في سبيل دفع عجلة التعليم.

وقد أكدت جميع هذه التقارير على فضل جمعية العلماء في تطور وانتشار حركة التعليم، وأن هدفها هو حفظ الأمة بحفظ مقومات شخصيتها من للغة ودين عن طريق التعليم، واعتبرت هذا الأخير السلاح الجاد الذي يقضي على الاستعمار.[1]

ونشرت الجريدة كذلك مقالات[2] شرحت من خلالها وجهة نظرها في موضوع التعليم وأساليبه وأهدافه، والتي تتمثل أساسا في حفظ الجيل الجديد من عوامل الانحراف، وتوثيق صلاته بأفراد مجتمعه، وضبط نوازعه وتصحيح نظرته إلى الحياة، وتوسيع مداركه الفرية، وذلك بتوحيد برمج التعليم ومناهجه بأن تكون تحت إدارة واحدة.

هذا إضافة إلى عنايتها بنشر قوائم الناجحين في الامتحانات.

---

[1] - انظر على سبيل المثال:

علي مرحوم، "تدشين مدرسة الفتح بسطيف"، س3، ع133، (23أكتوبر1950).

"اليوم المشهود بسيدي بلعباس"س5، ع186، (7أفريل1952).

[2] - من هذه المقالات:

الإبراهيمي، "حقوق الجيل الناشئ علينا"، س4، ع145، (05مارس1951).

نص" خطاب الشيخ عمر خير الدين في حفل ختم الدروس بالمعهد"، س8، ع326، (08 جويلية 1955).

من الوسائل التي ميزت نشاط جمعية العلماء هو إرسال وفود الوعظ والإرشـــاد إلى مختلـف جهات القطر، تكون مهمتها نشر مبادئها الإصلاحية، فتلتقي بمختلف طوائف الشـــعب وتـــزور المساجد والمدارس والفرق الكشفية، وتنشئ فروعا جديدة للجمعية في المدن والقرى، وتســـتقطب إليها الأفراد الذين ترى فيهم الكفاءة والقدرة على العمل من أجل نصرة الدين ورفعة الوطـــن، إلى جانب واجبها في وعظ الناس والدعوة إلى الخير، وإصلاح ذات البين وإرشـــاد النـــاس في أمـــور دينهم.[1]

ومن هذا المنطلق حرصت الجريدة على نشر قوائم الوفود، وبخاصة في رمضان حيث تزيد مـــن نشاطها، مشيرة إلى أهمية ما تقوم به.

ومما جاء في أحد أعدادها تأكيدا على أهمية الوعظ والإصلاح في المجتمع قولها" الوعظ الديني مـــن وظائف جمعية العلماء، وبه بدأت حركتها العظيمة، ومن طريقه توصلـــت إلى شـــواعر الأمـــة، فحرّكتها إلى الإصلاح والاهتداء بالكتاب والسنة، وإلى العلم والتعليم."[2]

وكانت الجمعية تحث الوعاظ على التركيز على مواضيع الأخـــلاق الإســـلامية، والتربيـــة الإسلامية، معتمدين على آيات الكتاب التي يفهمونها فهما صحيحا، وعلى الأحاديث الصحيحـــة، وعلى السيرة النبوية الثابتة وأن يحفظوا بالعناية مواضيع التربية الاجتماعية، وأن يشددوا النكير على البدع التي تفشو وبخاصة في رمضان.

سجلت جريدة البصائر كذلك رحلات محمد البشير الإبراهيمي، وبعض رجال جمعية العلمـــاء إلى دول الشرق.

وقد أشار الإبراهيمي إلى أن بواعث الرحلة تتمثل في:

- "دراسة أحوال المسلمين في مواطنهم، وبحث المقارنات والمفارقات القائمة بين تلك الأحـــوال، ونسبة دركات الانحطاط فيهم إلى درجات الاستعداد للنهوض، وتصحيح الميزان لما تســـتطيع كل طائفة منهم أن تقدمه إلى الأخريات من العون والماعون حتى يحصل التعاون بعد تحصيـــل أهم أسبابه وهو التعارف.
- الاتصال المباشر بعلماء الدين..للتعرف على طريقة فهمهم للدين وعملهم بـــالدين، وعملـــهم للدين، ومدى اقتدارهم البياني والاستدلالي على الدعوة إليه، ومدى اتصالهم بطبقات الأمـــة، واتصالهم بالطبقات الحاكمة، أو المستشرفة للحكم..

---

[1] ـ محمد خير الدين، المصدر السابق، ج2، ص270.

[2] ـ محمد البشير الإبراهيمي، " الوعظ في رمضان"، س3، ع122، (05 جوان 1950).

- دراسة أحوال الحكومات الإسلامية القديمة والناشئة، والأصول التي تبني عليها الحكم.. وأيها أقرب مسافة من روح الإسلام، وروح الشرق، وأيها أصلح لأن يكون مثالا قريبا للحكم الإسلامي الصالح..
- دراسة نفسية شباب الأمم الإسلامية..ومبلغ تأثرها بالعوامل الخارجية التي تبعدهم عن روح الإسلام، ليقدر بقدرها ما يجب لهذه الحالة من علاج"[1]

أما الهدف من نشر هذه الرحلات وتفاصيلها، فقد قال الإبراهيمي أنه تلبية لحاجة الأمة الجزائرية الشديدة إلى مثل هذه الأخبار، لانقطاعها عن الشرق، وتشوقها إلى كل ما يرد منه أو عنه.[2] ولهذا كانت هذه الموضوعات تنقل انطباعات رجال جمعية العلماء عن الدول التي زاروها، وتعطي صورا عنها، وتذكر الشخصيات العربية والإسلامية التي التقوا بها، ومدى الحفاوة التي استقبلوا بها إشارة إلى الروح الأخوية التي تربط بين العرب والمسلمين في المغرب والمشرق العربيين.

أما البلدان التي شملتها هذه الرحلات فهي: مصر، وسوريا، ولبنان، والسعودية، والهند، وباكستان، ذكرت من خلال هذه العناوين:

- رحلة الأستاذ الجليل في ربوع الشرق (ع186)
- رحلتي إلى الأقطار الإسلامية (ع198)
- في البلاد العربية السعودية (ع260)
- في سوريا ولبنان (ع 274)
- رجال جمعية العلماء في دمشق (ع 288)
- النشاط الأدبي للأستاذ الرئيس في مصر (ع211)
- كما اتخذت الجمعية من الجريدة منبرا لشرح منهجها في الإصلاح، وأهدافه وما حققته من نتائج، وبخاصة في مجال محاربة الخرافات والبدع، حيث أن الإصلاح الديني كان أهم ميزة تميزت بها حركة جمعية العلماء. وأشارت هذه الموضوعات كذلك إلى المعوقات التي تقف في طريق الإصلاح.

3 – المواضيع الاجتماعية والأخلاقية:

بلغ عدد الموضوعات الاجتماعية والأخلاقية ثلاثين موضوعا، بنسبة 15.59%، ويأتي اهتمام الجريدة بها تأكيدا على ما جاء في القانون الأساسي لجمعية العلماء أن هدفها "هو محاربة الآفات

---

[1] – الإبراهيمي، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص24 – 25.

[2] – الإبراهيمي، المصدر نفسه، ج4، ص28.

الاجتماعية كالخمر والميسر والبطالة والجهل وكل ما يحرمه صريح الشرع وينكره العقل وتحجره القوانين الجري بها العمل."[1]

وفي الكلمة التي وجهها محمد البشير الإبراهيمي لكتاب البصائر دعاهم إلى أن يهتموا فيما يكتبون بالأمراض الاجتماعية والأخلاقية فيبينوها ويشرحوها للناس، ويرشدوهم إلى طريق العلاج.[2] وهذا يعني ضرورة ارتباط هذه الموضوعات بالواقع الجزائري، ذلك أن الحالة الاجتماعية والأخلاقية في الجزائر لم تكن تقل سوءا عن الحالة الدينية والفكرية المتردية.ولهذا انصبت الموضوعات الاجتماعية والأخلاقية على تصوير المظاهر التي أصبحت تميز واقع المجتمع الجزائري في ظل الاستعمار.

وكان أول وأهم مشكل عالجته البصائر، هو مشكل الفقر، بسبب انخفاض دخل الفرد الجزائري وارتفاع أسعار المواد الغذائية الأساسية، وسيطرة الأوروبيين على المصانع والأراضي الخصبة، وكل مصادر الدخل. وقد نتج عن هذا المشكل آفات كثيرة كتشرد المسنين والأطفال الذين يضطرون لممارسة أعمال شاقة في سن مبكرة، وهذه الظاهرة اعتبرتها الجريدة عنوانا على بؤس الأسرة والمجتمع ككل، ومن جهة أخرى تكشف المغالطات التي يريد الاستعمار الدعاية لها وهو أنه أوجد لمثل هؤلاء الأطفال المشردين مراكز للتعليم الصناعي وملاجئ لإيوائهم وأشارت الجريدة إلى أن النهضة الاجتماعية التي أقامها على أساس تنظيم الإنتاج ورفع مستوى المعيشة والتعليم كلها موجهة إلى المجتمع الأوروبي.

وقد كان الفقر أيضا سببا في انتشار الأمراض والجهل، وسببا في الكثير من الانحرافات الأخلاقية كالزنا.

اهتمت جريدة البصائر إلى جانب ذلك بالرد على ما تروجه الصحف الاستعمارية التي درجت على نشر الادعاءات والأكاذيب لتضليل الرأي العام، فتنسب إلى الإدارة الاستعمارية من أعمال ما هو مخالف للحقيقة، وهو أنه أقام مشاريع اجتماعية وإصلاحية كثيرة تهدف جميعها إلى ترقية المجتمع الجزائري، مؤكدة بأمثلة من الواقع أن الوضع الذي يميز الجزائر هو انتشار الآفات الاجتماعية من فقر وجهل ومرض، وأن هذه الآفات تزداد انتشارا كل يوم وتفتك بالكثيرين يوميا.

---

[1] – محمد خير الدين، المصدر السابق، ج1، ص123، (الفصل الرابع من القانون الأساسي للجمعية).

[2] – البصائر، س1، ع2، (10 جانفي 1936).

كما سجلت الجريدة أشكالا مختلفة من التباين والفروق الشاسعة التي تفصل بين المدن والقرى وبين الأحياء التي يقطنها الأوروبيون والتي يقطنها الجزائريون، وبين وضعية الفلاح الجزائري والفلاح الأوروبي.

أما من حيث المسؤولية، فقد أشادت جريدة البصائر من خلال هذه المواضيع إلى الاستعمار الذي اعتبرته المسؤول الأول والمباشر عن تدهور الواقع الاجتماعي الجزائري، وذلك بسبب سياسته القائمة على التمييز والاستغلال.

وكذلك أشارت إلى مسؤولية الجزائريين، حيث ذكرت أن الروابط والصلات فيما بينهم قد ضعفت، وأنهم قد تخلوا عن الأخلاق الفاضلة، فتحول تراحم المسلمين وتعاطفهم إلى شدة على أنفسهم، وتقاطع في ذات بينهم، وحسن العشرة، وكرم الضيافة والحدب على المساكين، والذود عن الحمى والأنفة من العار.

ومن المظاهر أيضا التي اهتمت بها الجزائر الجهل وانتشار البدع والخرافات التي كانت سببا في تخلف المجتمع. فإذا كانت جمعية العلماء قد جدت في محاربتها، وتمكنت في أغلب جهات القطر من القضاء عليها ونشر الإصلاح، فإن هناك مناطق أخرى ظلت تعاني من بعض الدجالين الذين كانوا يحاولون نشر الأباطيل، ولذلك اهتمت الجريدة بقطع زيف ادعاءاتهم، ووجه التضليل في أعمالهم.

وكانت الجريدة تتعمد ذكر أسماء المناطق التي تنتشر فيها الخرافات، وأسماء المروجين لهذه الخرافات. ومن أمثلة المناطق التي ذكرتها الجريدة منطقة الخروب، حيث قالت عنها:"في الوقت الذي نرى فيه سكان سائر أنحاء القطر ضربت بقسط وافر من التقدم العلمي والثقافي نرى أمة الخروب تسير بخطى سريعة إلى الوراء حيث أن الشيخ الضال المضل وقف في طريقها."[1]

ومن الموضوعات كذلك التي استأثرت باهتمام الجريدة، والتي لها علاقة وثيقة بالمجتمع، الأخلاق...

فأشارت إلى الانحرافات الأخلاقية التي بدأت تنتشر في المجتمع حتى كادت تقضي عليه، وأصبحت تصدر في المقالات العديدة من استفحال هذا المرض، ومما قالته في إحدى هذه المقالات "انحطت الأخلاق انحطاطا لم يعهد له مثيل، وضعفت القوة والحمية، وضاعت الشهامة العربية، وتفاقمت الأمراض الاجتماعية والأوبئة الخلقية وأصبحت الأمة مهددة بخطر عظيم.."[2]

أما الأسباب التي ذكرتها الجريدة وكانت سببا في هذه الانحرافات الأخلاقية هي:

---

[1] ـ الطاهر بن عمار الشرفي، " من أعمال أحمد الخالدي المنكرة بالخروب"، البصائر، س2، ع47، (30 أوت 1948).

[2] ـ يجب معالجة الانحطاط الخلقي قبل كل شيء، البصائر، س2، ع47، (30 أوت 1948).

- ضعف الوازع الديني، وابتعاد المسلمين عن الاستقامة التي هي أساس المجتمعات الصالحة، فخلا مكانها وتحكمت الأهواء في الناس، وسيطرت النزاعات المادية والمصالح الشخصية على النفوس[1]

- وتأثير المدنية الغربية عن طريق التقليد الأعمى، الذي فتح الباب أمام دخول أخلاق جديدة بعيدة ومناقضة لأخلاق المجتمع الجزائري.

وإضافة إلى ذكر أشكال الانحراف الأخلاقي، وبيان أسبابه، دعت الجريدة إلى ضرورة التزام القيم والفضائل الإسلامية، فشرحتها وبينت حاجة الفرد والمجتمع إليها لبناء حياة أفضل.

ومن الملاحظات التي سجلت أن موضوع الأسرة لم يحض بالاهتمام اللازم من الجريدة، حيث خصصت ثلاثة مواضيع فقط على مدار العينة للحديث عن مشكلة تعليم المرأة. فلم يعكس ضعف الاهتمام بوضع المرأة بخاصة فيما يتعلق بتعليمها، ما كانت تدعو إليه، و لم تستغل وسيلة الصحافة بالشكل المطلوب في هذا المجال، كما أنها أغفلت كثيرا من المشكلات الأسرية التي كانت سببا في تدهور الوضع الاجتماعي.

4 - **المواضيع الثقافية:**

بلغ عدد المواضيع الثقافية المنشورة 23 موضوعا أي بنسبة 12.36 % وهي تكاد تنحصر في مجالين رئيسيين، هما مجال الأدب ومجال التأليف.

فأما الموضوعات الأدبية فقد اتجهت جميعها إلى نقد الواقع الأدبي في الجزائر، وتصوير أشكال الضعف والقصور التي أصبحت تميزه، وكذا بيان أسبابه التي تنحصر في عمومها في:

- غياب النقد الذي فسح المجال أمام انتشار أدب سقيم لا يرقى إلى المستوى المطلوب، ومما زاد هذه الظاهرة انتشارا هو أن بعض الصحف قد فتحت للمتطفلين على الأدب - حسب تعبير الجريدة - الباب لنشر إنتاجاتهم، وذلك تشجيعا لهم.

- عدم توفر الإمكانيات المادية المتمثلة في وسائل النشر والطبع التي تساهم في ترقية الحياة الثقافية بتزويد المكتبات بمختلف الإنتاجات في مجال القصص والشعر وغيرها من الفنون الأدبية.

وإن ضعف حركة التأليف وقلة الاهتمام بنشر المنتجات العلمية لم يمس مجال الأدب فقط، بل مس أيضا مجالات أخرى، كالتاريخ، حتى أن كثيرا من أخبار المغرب العربي تكاد تندثر، وجوانب من تاريخ البلاد غير معروفة رغم بعض المحاولات والإسهامات العلمية التي أراد أصحابها أن يخرجوا التاريخ من دائرة الإهمال.وقد تناولت الجريدة هذه المواضيع من خلال عناوين مختلفة أهمها:

---

[1] - انظر مثلا مقال: أحمد سحنون، "من دعائم النجاح" البصائر، س6، ع288، (08 أكتوبر 1954).

" ما لهم لا ينطقون؟"[1]، "أدباؤنا بين النقد والتشجيع"[2]، " إلى أين تذهبون بالأدب يا فقاقيع الأدب"[3]، "عبد الرحمن الجامعي"[4].

و لم تكتف الجريدة بمجرد النقد بل حاولت أن توجه القراء إلى الحلول الممكنة، والكفيلة بتحقيق نهضة أدبية وثقافية، وذلك عن طريق محاربة الجهل وتشجيع حركة التعليم التي ترعاها جمعية العلماء عبر مدارسها الحرة وعزوف الأغنياء عن المساهمة بأموالهم في تثقيف المجتمع.

وإلى جانب هذا اهتمت الجريدة بالتعريف بالكتب التي ظهرت حديثا وفي مختلف المجالات، فعرفت بها، وأشارت إلى أهميتها العلمية، ومن هذه الكتب التي عرفت بها:"المتوسط الكافي" وهو كتاب في العروض لموسى الأحمدي، و"فن القصص" لمحمود تيموربك، وكتاب عن"الإمام المازري"لحسن حسني عبد الوهاب، و"مقاصد القرآن" لمحمد الصالح الصديق.

واهتمت الجريدة كذلك بنشر بعض الأخبار الثقافية، كزيارة الفرقة التمثيلية القومية المصرية الجزائرية، والاحتفال الذي أقيم لها في نادي الترقي[5]، وأخبار ثقافية عربية تخص كلا من لبنان، ومصر، وسوريا، والعراق، والسعودية.

كما نشرت الجريدة عددا من الموضوعات عن اللغة العربية، والمسرح، وحثت القراء على المطالعة القراءة كأحد أهم مصادر المعرفة وتنمية الفكر، وشجعت على المناقشات العلمية.

5 - **المواضيع العلمية والتاريخية:**

أبدت صحيفة البصائر نوعا من الاهتمام بمجال العلوم، وعلى الرغم من أنها لم تكن تملك متخصصين، حيث نشرت من خلال ركن خاص هو ركن " العلوم والفنون والاختراع" عددا من المواضيع العلمية المعاصرة. وذلك رغبة منها في مساعدة قرائها وخاصة الذين لا يتقنون اللغات الأجنبية على الاطلاع على كل جديد في مجال الاختراع والاكتشاف والتقدم العلمي.

---

(1) - أحمد رضا حوحو، البصائر، س5، ع211، (25 ديسمبر 1952).

(2) - (بدون توقيع)، البصائر، س5، ع214، (23 جانفي 1953).

(3) - أحمد رضا حوحو، البصائر، س6، ع260، (26 فيفري 1954).

(4) - عبد الوهاب بن منصور، البصائر، س4، ع163، (26 جويلية 1951).

(5) - إسماعيل الزكري، البصائر، س2، ع109، (27 فيفري 1950).

فكانت تنقل عن المجلات العلمية والفنية والمختصة في دراسة الاكتشافات الحديثة الموضوعات التي كانت تراها مسايرة لما يهتم به الباحثون ومحبو الاضطلاع في العالم[1].

أما الموضوعات التي نشرتها فكانت متنوعة، منها ما يتعلق بمجال المخترعات الحديثة، كاختراع مدفع مضاد للطيران[2]، والأبحاث الخاصة بمجال الطاقة الشمسية[3]. والاكتشافات الخاصة بالحياة على الأرض، حيث نشرت الجريدة تحت عنوان "هل بلاد الجزائر مهد العنصر البشري؟"[4]. موضوعا عن اكتشاف هيكل عظمي متحجر في الجزائر يعود إلى نحو نصف مليون سنة. كما أن الجريدة حاولت أن تبرز بعض القضايا العلمية التي أثبتها القرآن الكريم، كتلك التي تتعلق بخلق الإنسان.

أما الموضوعات التاريخية التي نشرتها الجريدة فكلها تتصل بتاريخ الجزائر، وهذه تعد إحدى وظائف الجريدة التي تسعى لأدائها وهي نشر التاريخ الإسلامي، كما أشار إليه محمد البشير الإبراهيمي[5]:

- معاصرة في تاريخ الأمير عبد القادر[6].
- وهران قبل الاحتلال الإسباني[7].
- سجلماسة وبنو عبيد[8].
- الجزائر في رحلة ابن عبد الله بن زالو[9].
- يوغرطة الملك البطل العظيم[10].

---

(1) – البصائر، س 8 ، ع 308، (4 مارس 1955).

(2) – مكنسة السماء، البصائر، س7، ع 288، (8 أكتوبر 1954).

(3) – الطاقة الشمسية بعد الطاقة الذرية، البصائر، س 8، ع 348، (6 جانفي 1956).

(4) – البصائر، س 8، ع 326، (8 جويلية 1955).

(5) – آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص52.

(6) – محمود بوزوزو، البصائر، س 1، ع 13، (10 نوفمبر 1947).

(7) – عبد الوهاب بن منصور، البصائر، س 4، ع 154، (5 مارس 1951).

(8) – عبد الوهاب بن منصور، البصائر، س 4، ع 175، (26 نزفمبر 1951).

(9) – عبد الوهاب بن منصور، البصائر، س 8، ع 348، (6 جانفي 1956).

(10) – محمد علي دبوز، البصائر، س 8 ، ع 308، (4 مارس 1955).

إضافة إلى المواضيع الرئيسية التي نشرتها الجريدة حسب ما هو مبين في الجـــدول رقـــم(٩)، نشرت الجريدة أيضا مواضيع مختلفة هي:

- أربعون يوما في المغرب الأقصى[1].
- ذكرى وفاة الأخ العزيز مبارك الميلي[2].
- الذكرى السنوية لوفاة الشيخ مبارك الميلي[3].
- محمد بهجة البيطار[4].
- عبد الحميد الشمال إفريقي[5] وهو تذكير بالشيخ عبد الحميد بن باديس وأعماله.
- خبر عن إنشاء اتحاد عام للطلبة المسلمين الجزائريين[6] الذين يدرسون في باريس.

سبقت الإشارة إلى أن الجريدة قد أضافت إلى أركانها ركنا جديدا هـــو "يوميـــات الأزمـــة الجزائرية"، لتنشر من خلاله أخبارا تتعلق بالظروف التي صاحبت اندلاع الثورة الجزائرية، والتي بلغ عددها (90 خبرا)، تناولت المعارك والاشتباكات التي كانت تدور بين القوات العسكرية الفرنسية، والجزائريين، وللإشارة فإن الجريدة في نقلها لأخبار هذه المعارك لم تستعمل مصطلح الجيش بالنسبة للجزائريين، بل كانت تستعمل كلمة الثوار. كما نقلت إلى جانب ذلـــك أخبـــار الاعتقـــالات والاغتيالات التي كان يتعرض لها الجزائريون. وقد لوحظ أن الجريدة قد اكتفت بنقل هذه الوقـــائع دون أن تعلق عليها أو تقدم بعض المعلومات والتفاصيل عن كل حدث، ولعل ذلك يرجع إلى قلـــة المعلومات عن هذه الأحداث. ولهذا فإن غرضها من نشرها لم يظهر بشكل واضح.

---

(1) – حمزة بوكوشة، البصائر، س 2، ع 31، (12 أفريل 1948).

(2) – محمد البشير الإبراهيمي، البصائر، س 3، ع 109، (28 فيفري 1950).

(3) – محمد بن مبارك الميلي، البصائر، س 6، ع 260، (26 فيفري 1954).

(4) – محمد البشير الإبراهيمي، البصائر، س 2، ع 64، 24 جانفي 1949).

(5) – أحمد بن أبي زيد قصيبة، البصائر، س 6، ع 231، (29 ماي 1953).

(6) – عن اللجنة التحضيرية للمؤتمر، البصائر، س 8، ع 326، (8 جويلية 1955).

3 - أهـــداف جريـــدة البصائر:

حددت جمعية العلماء أهداف تأسيسها في قانونها الأساسي، ويرى عدد من الباحثين أنها لا تعبر عن أهدافها الحقيقية، وأنها ليست إلا مقدمات لتحقيق أهداف أكبر وأوسع[1]، ويظهر هذا من خلال تتبع أنشطتها ورصد مواقفها، وتحليل خطب قادتها وتصريحاتهم في المناسبات المختلفة. وأن تعدد الوسائل يشير إلى تعدد الأهداف، لأنها ترتبط بنوع الوسيلة وتكتسب بعض خصائصها.

وفي مقابل هذا الرأي يحصرها البعض الآخر في الجوانب الدينية فقط، أي ما يتعلق بالعقائد والشعائر التعبدية، وعلى هذا الأساس يرون أن صحف الجمعية كانت أداة لنشر تعاليم الدين الإسلامي خوفا من الإعلام المضاد الذي كان الاستعمار الفرنسي يقوم به قصد طمس هوية الشعب الجزائري، وجعلها لصيقة بالجذور الصليبية الغربية، وأيضا من الخطاب الإعلامي السياسي الذي كان يريد الدفع بالتسليم بفكرة أن الجزائر فرنسية[2].

ولهذا فإن استخدام تحليل المحتوى من خلال فئة الأهداف، يساهم في الكشف عن نوايا وأهداف القائمين بالاتصال. وقد أظهرت نتائج التحليل أن البصائر قد سعت إلى تحقيق عدد من الأهداف تتمثل حسب نسبها المئوية في: التوعية 39,78 % ، الإعلام 19,89 %، دعم مكانة جمعية العلماء في المجتمع 15,59 %، التثقيف 13,44 %، التوجيه والإرشاد 11,29 %، حيث جاء هدف التوعية في المرتبة الأولى، تأكيدا على اهتمام الجريدة بنشر الوعي بين القراء في ظل الحصار الاستعماري. وهذا حسب ما يبينه الجدول رقم (10).

الجدول رقم (10)

يبين أهداف جريدة البصائر

الأهداف	التكرار	النسبة %
- التوعية	74	% 39,78
- التوجيه والإرشاد	21	% 11,29
- دعم مكانة جمعية العلماء	29	% 15,59
- الإعلام	37	% 19,89
-التثقيف	25	% 13,44
المجموع	186	% 99,99

---

(1) - انظر: الفصل الأول.

(2) - إسماعيل معراف قالية، الإعلام حقائق وأبعاد (الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية: 1999) ص 39 - 40.

١ – التوعية:

وتجسد هذا الهدف من خلال الاهتمام المتزايد الذي أبدته الجريدة بمعالجة القضايا التي كانت تراها جوهرية، في تحديد صورة وطبيعة الواقع الذي يعيشه الفرد الجزائري، وصلة هذا الواقع بمصير حياته، من خلال تفاعل نشط مع الواقع وما يدور فيه من أحداث، وذلك من أجل تنمية وعيه بمشكلاته وقضاياه ومساعدته على إدراكها وفهمها، ومن ثم دفعه إلى رفض هذا الواقع والسعي إلى تغييره.

وبالتالي فهدفها يتعدى مجرد تلبية حاجة الأفراد في معرفة ما يتصل بحياتهم العامة والخاصة، بل شرح وتحليل هذه الأحداث، وتوضيحها والتعليق عليها بما يظهر أبعادها ويكشف عن بعض جوانبها الخفية، وبيان ما قد يكون لها من آثار ونتائج بالشكل الذي يجعلهم يعايشون واقعهم بوعي.

وإذا كانت الجريدة قد وجهت أغلب اهتمامها إلى القضايا السياسية، فإن ذلك يرجع إلى حقيقة جوهرية، وهي الاستعمار الذي يفرض سيطرته على المجتمع، ويتحكم في مصير أفراده، وبالتالي فإن إحداث الوعي لا يتم إلا من خلال إدراك وفهم لطبيعة الاستعمار ولسياسته التي يتبعها.

لم يكن الواقع الجزائري مفصولا عما يقع في العالم من أحداث، و لم تكن الجزائر وحدها تعاني من ويلات الاستعمار، بل إن كثيرا من دول العالم كانت تعاني منه أيضا. والقضية الأساسية التي كانت تشغل الرأي العام المحلي والعالمي قضية واحدة هي الاستعمار، والنضال من أجل الاستقلال. ولذا لم يقتصر اهتمام الجريدة على تحليل طبيعة الاستعمار والكشف عن أهدافه داخل الجزائر فقط، بل اهتمت أيضا بظاهرة الاستعمار العالمي.

وهذا يعني أن الجريدة كانت ترى أن إحداث الوعي لا يتم إلا من خلال نظرة متكاملة وفهم للواقع الداخلي والخارجي، وإثارة الاهتمام بالقضايا والمشكلات الكبرى التي تواجه العالم. فكانت تربط بين القضية الجزائرية وقضايا الدول المستعمرة الأخرى، وبخاصة الدول العربية، وتعتبر الاستعمار ملة واحدة وأهدافه الاستغلالية والاستعبادية واحدة في الجزائر أو في غيرها.

لهذا قامت بنقد الحركة الاستعمارية العالمية، وشرحت طبيعتها القائمة على الدكتاتورية، وخطرها على حرية الشعوب. وبينت أنه على الرغم من التغييرات التي شهدتها السياسة العالمية عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية، فإن ذلك لم ينعكس على واقع الشعوب المستعمرة.فانهزام ألمانيا وتحرر عدد من الدول الغربية من سيطرتها لم يعن تحرر الدول الإفريقية والعربية، فقد ظلت هذه

الأخيرة تحت السيطرة الأجنبية، وأكثر من ذلك فقد زادت هذه الدول تمسكا بمنطقها وأطماعها الاستعمارية وسياستها القائمة على العدوان وانعدام العدالة تجاه الدول الضعيفة.

أما القضايا العربية، فقد مثلت مرتكزا أساسيا من محاور اهتمامات البصائر، عالجت من خلاله قضايا الغزو الاستعماري، ونبهت إلى الخطر الذي يتهددها. وكشفت عن أهدافه.

وأما داخليا فقد اتجه المضمون إلى بيان حقيقتين تساهمان في توضيح الواقع وتوعية القارئ بما يدور حوله من أحداث، وتتمثل في:

- الكشف عن حقيقة الاستعمار.
- والكشف عن القوى المساندة له.

– الكشف عن حقيقة الاستعمار:

لقد ظهر من خلال الجدول رقم (6) اهتمام الجريدة بالوضع السياسي في الجزائر، اعتمدت الجريدة في بيانه على فن المقال الافتتاحي والتحليلي والتعليق، وهذه الأشكال من الأنواع الفكرية التي تستعملها الصحف في نضالها، لأنها تمنحها مجالا واسعا للشرح والتحليل، وإبداء الرأي وبالتالي التأثير في القراء وإقناعهم بوجهة نظرها، وإضافة إلى المواضيع السياسية ظهر أيضا من خلال الجدول رقم (5) اهتمام البصائر بالناحية الاجتماعية التي تم معالجتها في إطار العلاقة العضوية التي تربط الواقع الاجتماعي بسياسة الإدارة الاستعمارية وتأثير هذه الأخيرة في الوضع الاجتماعي للجزائر.

وتتمثل هذه الحقيقة في عدد من الأفكار التي ركزت الجريدة على بيانها، واعتبرتها هي الصور الدالة عليه، أو التي ترتبط بسياسته وأهدافه وتبرز حقيقته وقد تم رصد هذه الأفكار وحساب تكرارها وذلك كما يلي:

– الاستعمار يحارب مقومات المجتمع	11 مرة
– الاستعمار مسؤول عن تدهور الوضع الاجتماعي	9 مرة
– الاستعمار يستعمل أساليب القهر والعنف ضد الجزائريين	5 مرة
– الاستعمار يحارب الحركة الإصلاحية	3 مرة

الاستعمار يحارب مقومات المجتمع:

لم يكن الاستعمار الفرنسي حسب ما صورته جريدة البصائر استعمارا سياسيا واقتصاديا فقط، بل كان أيضا استعمارا روحيا معنويا، لأنه يريد القضاء على مقومات المجتمع وخصائصه بمحاربتها والسعي بشتى الطرق لمحوها، ولهذا وصفته الجريدة بأنه يشبه الأمراض التي تحارب أسباب المناعة في الجسم. وتقصد بأسباب المناعة المقومات من دين ولغة وتاريخ وجنسية، لأنها هي التي تحفظ للمجتمع بقاءه فقالت: "جاء الاستعمار الفرنسي إلى هذا الوطن كما تجيء الأمراض الوافدة تحمل الموت وأسباب الموت فوجد هذه المقومات راسخة الأصول نامية الفروع على نسبة من زمنها، فتعهد في الظاهر باحترامها والمحافظة عليها، وقطع قادته وأئمته العهود على أنفسهم وعلى دولتهم ليكونوا الحامين للموجود المشهود من عقائد ومعابد وعوائد، ولكنهم عملوا في الباطن على محوها بالتدريج، وتم لهم على طول الزمن بالقوة وبطرائق من التضليل والتغفيل- جزءا مما أرادوا"[1].

ومهما تكن أغراض الاستعمار ودوافعه فإنها تجتمع في النهاية لأجل تحقيق هدف بعيد وهو ضمان بقائه الدائم مستغلا للبلاد والعباد، وإذا كانت حربه للمقومات قد وجهت بشكل أساسي ضد الإسلام لمحوه والقضاء عليه، فذلك لأنه هو روح الأمة والقضاء عليه يعني القضاء على أهم ركن يحافظ على وجودها ووحدة أفرادها.

أشارت الجريدة إلى أن الاستعمار إنما جد في محاربة الإسلام وألّب عليه القوات المتظاهرة والقلوب المتنافرة، خشية من قوته الروحية أن تنبعث من جديد فتصنع الأعاجيب وتغير وجه الدنيا كما غيرته قبل ثلاثة عشر قرنا[2].

واستدلت الجريدة لبيان هدف الاستعمار بما قام ويقوم به من أعمال لمحو الإسلام. فقد انتهك حرماته منذ أن وطأت أقدامه الجزائر وقام بالاستيلاء على المساجد وحول بعضها وهدم البعض الآخر، واغتصب الأوقاف و لم يكتف بذلك بل تدخل في أداء المسلمين لشعائرهم بالتضييق والتشديد.

ويدخل في هذه الحرب المعلنة على الإسلام القوانين والقرارات التي أصدرتها السلطات الإدارية فيما يخص القضاء الإسلامي والتي تهدف من ورائها سلبه كل معنى من معاني الحياة وتركه هيكلا بلا روح حتى يتم إلغاؤه، ولا أدل على تحقيق هذه الغاية من الحالة التي أصبح عليها فقد ذكرت

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي، "من الحقائق العريانة" البصائر، س ١ ، ع ١ ، (25 جويلية 1947).

[2] - محمد البشير الإبراهيمي "الأديان الثلاثة في الجزائر" البصائر، س ١، ع 13 ، (10 نوفمبر 1947).

البصائر في إحدى مقالاتها[1]، أنه منذ أن دخل الاستعمار الجزائر أخذ ظل القضاء الإسلامي يتقلص رويدا رويدا حتى أصبح لا يتجاوز الأنكحة والمواريث، وحتى هذه البقية الباقية منه امتدت إليها يد المحاكم الفرنسية وما هذه الحرب إلا لعلم الاستعمار بأن القضاء الإسلامي هو روح الدين فهو أكبر منصب بعد الإمامة العظمى، والقاضي هو المنفذ بالشرع للأحكام دليله في ذلك كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكتب الفقه الإسلامي المستنبطة منها، وبالتالي فإن القضاء عليه هو القضاء على الإسلام وعلى العمل بشرعيته.

ولتبقي الإدارة الاستعمارية سيطرتها على الشؤون الإسلامية، أبت تطبيق مبدأ "فصل **الدين** عن الحكومة" رغم القوانين واللوائح التي تنص على ذلك، وحاولت في الوقت نفسه عن طريق المناورة والتحايل وبث الادعاءات الكاذبة، إيهام المسلمين بأنها تسعى فعليا لتحقيق الفصل على غرار الديانتين المسيحية واليهودية، ولهذا اتهمتها الجريدة بالمماطلة والتلاعب حتى لا تطبق مبدأ الفصل، لأن شواهد الواقع تدل على أن الإدارة لازالت تحتكر التصرف في مساجد الإسلام ورجاله وأوقافه وقضائه، وأن كل ما تقوم به من مناورات وما تذيعه من إشاعات إنما تريد به تطويل المدة وبث التفرقة وإقصاء جمعية العلماء وإلهاء الأمة بالقشور عن الحقائق[2]، وأنها تهيئ لكي لا يتم الفصل كل الوسائل، ومن ذلك أنها أوكلت حل القضية للمجلس الجزائري ذي الأغلبية الأوروبية، وبهذا تضمن إبقاء الحال على ما هو عليه.

وفي مقابل التشديد والتضييق على الإسلام والمسلمين في أداء شعائرهم، استعان الاستعمار بوسيلة أخرى لردهم عن دينهم، وهي تشجيع حركة التبشير، ومعاونتها بقوة السلاح، وإمدادها بالمال وتأييدها بالجرائد، وتهيئة الظروف المناسبة لانتشارها، وبث دعايتها إلى أقصى حد "ومن ثم فهي تؤسس مراكز التبشير، وتعمرها بالدعاة والأطباء والمعلمين وتجهزها بكل وسائل الإغراء والإغواء، وتغتنم المجاعات والأوبئة فرصا لاصطياد الجوعى واليتامى والمرضى لتفتنهم عن دينهم بلقمة أو ثوب أو جرعة دواء، وما مهد تلك الأسباب إلا الاستعمار، فهو الذي أجاع وأعرى وهو الذي أفقر وأمرض وهو الذي مكن للجهل والجمود."[3]

وارتبط عمل الاستعمار في محاربة ومقاومة المجتمع بالعمل على محاربة اللغة العربية، والتعليم العربي الحر فاعتبر اللغة العربية أجنبية، وأصدر القوانين واللوائح التي تنص على ذلك، وعد التعليم

---

(1) – حمزة بوكرشة، "القضاء الإسلامي بالجزائر"، س 1 ، ع 1 ، (25 جويلية 1947).

(2) – المجلس الإداري، "بلاغ من جمعية العلماء"، البصائر، س 1 ، ع 1 ، (25 جويلية 1947).

(3) – محمد البشير الإبراهيمي، "الأديان الثلاثة في الجزائر"، البصائر، س 1 ، ع 13، (10 نوفمبر 1947).

جريمة يعاقب عليها القانون، وجعل من ذلك وسيلة إلى محو الجنسية العربية، وإبقاء الشعب أميا جاهلا، حتى ينسى نفسه وتاريخه ويقنع بأخس الحظوظ في الحياة[1].

ومن خلال القطيعة التي يحدثها بين المسلمين الجزائريين وماضيهم يتمكن من نشر سمومه في تذويب الشخصية الجزائرية، وتمزيق الصلات بين أفراد الوطن الواحد بإثارة النعرات القبلية ولذا فقد ادعى ساسة الاستعمار وقساوسته بأن الجزائر كانت لاتينية في القديم وهذا يعني أنها لاتينية في الحديث، وأنها كانت مسيحية في الغابرين ولابد أن تعود مسيحية في الآخرين، ثم أخذوا يغدون النزعة البربرية في نفوس أبناء الجزائر والمغرب من التلاميذ الدارسين للعلم أو العوام العاملين للقوت، ويغرونهم بالتنكر للإسلام لأنه دين العرب، وبالتنصل للعربية لأنها جنسية طارئة غريبة، ويحاولون إقناعهم بأن الجزائر وطن بربري، والهدف من إثارة هذه النزعة حسب ما ذكرته الجريدة هو الذبذبة والتشكيك حتى يتنكر العربي لعروبته، والمسلم لإسلامه، فيخلق جنسين يسهل عليه ضرب أحدهما بالآخر ولهذا أكدت الجريدة بأن ليس في الجزائر بربري وعربي وإنما هم جزائريون جمعهم الإسلام على تعاليمه، ووحدتهم العربية على بيانها، وإنما دأب الاستعمار أن يحيي المعاني الميتة ويقتل المعاني الحية[2].

ومن خلال بيان صور وأشكال الحرب التي شنها الاستعمار ضد مقومات المجتمع، سعت إلى الكشف عن الوجه الآخر للاستعمار الذي يحاول إخفاءه وهو الوجه الصليبي، حيث أشارت إلى أن الاستعمار بأطماعه الرومانية، وبروحه الصليبية احتل الجزائر، فلا يكاد يختفي وجه حتى يظهر الآخر، وهو لهذين الدافعين عامل الإسلام هذه المعاملة الشنيعة[3]، ووصفت هذه الروح الصليبية بالحاقدة التي تنطوي على بغض الإسلام، والسعي بكل وسيلة لتهوينه وإضعاف هيمنته على النفوس والعمل على إبادته والقضاء عليه[4].

لقد سعت جريدة البصائر –من خلال هذه الزاوية– أن تبين أحد وجوه الاستعمار التي يحارب بها الجزائر، وهي محاربته لمقومات المجتمع، وإن بيان هذه النقطة بالنسبة لجمعية العلماء يعد أمرا مهما في الدفاع عن مقومات المجتمع، والحفاظ عليها. وإذا تركز حديث الجريدة عن الإسلام فلأنه الجهاز المناعي الذي يحافظ على كيان الأمة مستقلا مهما ضيق على الحريات، ونشر الادعاءات.

---

(1) – محمد البشير الإبراهيمي، "كتاب مفتوح إلى رئيس الجمهورية الفرنسية"، البصائر، س 2 ، ع 81 ، (30 ماي 1949).

(2) – محمد البشير الإبراهيمي، "هذه أقواله فكيف تكون أعماله؟"، البصائر، س 8 ، ع 308، (4 مارس 1955).

(3) – محمد البشير الإبراهيمي، "القضية ذات الذنب الطويل"، البصائر، س 4 ، ع 175، (26 نوفمبر 1951).

(4) – فقيه سلفي، "مجلة صوت المسجد والقضية الدينية"، البصائر، س 2 ، ع 81، (30 ماي 1949).

ومما لوحظ على الجريدة من خلال المقالات التي نشرتها، أنها تعتبر الدفاع عن الدين واللغة والوطن شيئا واحد، لا ينفصل أحدها عن الآخر. فلا يمكن تصور الإسلام مفصولا عن اللغة العربية، ولا تصور هذه الأخيرة مفصولة عن الإسلام، كما لا يمكن تصور الجزائر باعتبارها وطنا عربيا إسلاميا مفصولا عن هذين العنصرين، وكلها عناصر الشخصية الوطنية ومقوماتها.

ومن ثم فإن النضال من أجلها هو نضال من أجل الشخصية الوطنية، وتحريرها هو تحرير للشخصية الوطنية.

الاستعمار مسؤول عن تدهور الوضع الجماعي:

لقد ظهر من جدول الموضوعات رقم (5) اهتمام البصائر بتحليل الواقع الاجتماعي الجزائري، وتقديم صورا عنه، وبينت أن أحد أهم ما يميز البيئة الاجتماعية هو انتشار الفقر والجهل والأمية والأمراض، وانعدام أدنى الشروط الضرورية للحياة.

وقد تمت معالجة هذه القضايا في إطار تفسير العوامل المسؤولة عن ذلك حيث ربطت الجريدة بين الوضع الذي يعيشه الجزائريون والظروف الخاصة التي تحكم حياتهم، وهي الظروف الاستعمارية، وبالتالي فإنها قد عبرت وبشكل واضح عن مسؤولية الاستعمار عن هذا الوضع الاجتماعي المتدهور،وبهذا جعلت من تصوير هذه المأساة الاجتماعية أحد الوجوه الدالة على الاستعمار.

وقد قام هذا الأخير بالاستيلاء بالوسائل القهرية على خيرات البلاد ومواردها وجعلها في خدمة الاقتصاد الفرنسي، واغتصب الأراضي الخصبة من أهلها وسلمها للمعمرين الأوروبيين، ومكنهم من الوسائل التي تيسر لهم استثمار المشاريع الاقتصادية التي يريدون، وهيأ لهم كل الأجواء التي تجعلهم أسيادا مطاعين، وتجعل أبناء البلد عمالا يخدمونهم ويخدمون مصالحهم مقابل أجور زهيدة لا تفي بحاجاتهم، ولا تكفي لمعيشة عائلاتهم.

وهذه السياسة الاستعمارية القائمة على الاستغلال والتمييز، إنما وضعت لخدمة مصالح المستوطنين والمعمرين الفرنسيين الذين يحظون بكل الامتيازات التي تجعل حياتهم في أحسن صورها بينما لا يمتلك الجزائريون أقل الشروط الضرورية للحياة.

الاستعمار يستعمل أساليب القهر والعنف ضد الجزائريين:

تتمثل حقيقة الاستعمار كذلك كما صورته البصائر في استعماله أساليب العنف والقهر والاعتداء ضد الشعب الجزائري، والتضييق على حرياته بسلاح القوانين الجائرة.

وهذا الاستعمار البشع كما تصفه، لا يطيب له العيش إلا في سفك الدماء ودوس الحريات والمرور على جماجم الموتى من ضحاياه. فإذا كانت الكتب السماوية والقوانين البشرية تحث على احترام الإنسان، وصون كرامته فإن هذا لا وجود له في الأوطان التي أصيبت بالاستعمار، كما هو الحال في الجزائر، فالاستعماريون لا يقيمون وزنا للكتب السماوية ولا للقوانين البشرية، ولا يهمهم إلا تدعيم أركان وجودهم بكل الأساليب وإن كانت مخالفة للتعاليم الدينية وعبثا بالقيم الإنسانية.

وما السجون والمعتقلات التي أوصدت أبوابها على الآلاف من أبناء الأمة إلا دليل قاطع على هذه السياسة التي تريد أن تفرض نفسها بالقوة.

وإن الاستعمار لم يكتف بهذا، بل زاد في سياسة التنكيل بالجزائر، وأسس ما يسمى بالبوليس السياسي الذي يرتكب أفظع الأعمال، فهو كما جاء في أحد المقالات[1] "لا يكتفي بإلقاء القبض على القوميين الأحرار والديمقراطيين الأطهار، بل ينكل بهم شر تنكيل ويذيقهم صنوف العذاب الأليم ويتفنن في تعذيبهم قبل أن يحيلهم على القضاء"، وما أسسه الاستعمار إلا للنيل من الكرامة القومية والفتك بخيرة الأمة الجزائرية، وما يحيطه بالرعاية إلا ليستعين به على تدعيم أركانه وتعزيز سلطانه وخنق الحريات.

وقد ازدادت أعمال القمع والبطش خاصة بعد قيام الثورة التحريرية، اعتبرتها البصائر حربا استعمارية جديدة تغزو الجزائر بأفظع ما عرف التاريخ من أنواع الغزو والاحتلال الأجنبي. والإدارة الفرنسية إلى جانب ذلك تحاول تضليل الرأي العام، فتدعي أنها تقوم بذلك لإعادة السلام. وقد ردت الجريدة على ذلك بأنه لا يمكن قيام مساواة وسيادة سلام في أرض يسوسها الاستعمار، ولا يمكن لشعب يطالب بحريته المسلوبة أن يرضى بسياسة الترقيع وأنصاف الحلول[2].

إن اهتمام البصائر بتوضيح ملامح السياسة الفرنسية تجاه القضية الجزائرية، ومصير الجزائريين جعلهما تتبع أحبار البرلمان الفرنسي وجلساته، وما يصدر عنه من مواقف اعتبرتها دليلا واضحا على سياسة الحكومة الفرنسية، و أن كل ما يقع في البرلمان الفرنسي من مناقشات حول القضية الجزائرية يؤكد على أن الاستعمار ملة واحدة، والسياسة الاستعمارية في الجزائر رجعية لا تتبدل، فالفرنسيون يستهينون بمصير عشرة ملايين من الجزائريين، ويجعلون من القضية الجزائرية محل مساومة بين الأحزاب ورجال السياسة، ليحققوا مصالحهم، ولذا فإن هذه السياسة لا تتبدل ولا ينتظر منها أن

---

(1) – محمد محفوظي ، محاكمة الجلادين، البصائر، س 7 ، ع 308 (4 مارس 1955).

(2) – أنظر : – ما هذا المنكر العظيم، البصائر، س 8 ، ع 326 (8 جويلية 1955).

– تعليقات في كلمات، البصائر، س 9 ، ع 361 (6 أفريل 1956).

تتبدل. وهو إلا جانب ذلك يستعين بالصحف المأجورة لتبرر تصرفاته وتخفي الحقيقة وتضلل الـــرأي العام وتقف في وجه العدالة[1]

الاستعمار يحارب الحركة الإصلاحية:

شرعت الإدارة الفرنسية منذ سنة 1932 في تتبع جمعية العلماء وعرقلة نشاطها، بعد أن تمكنت من إخراج المرابطين من عضويتها، وبعد أن بدأ نشاطها يتسع خارج حدود قسنطينة.

فاتخذت ضدها عدة إجراءات تعسفية، كان أولها منع أعضائها من الوعظ والإرشاد في مسجد تلمسان سنة 1933. وتوالت هذه القرارات الإدارية في السنوات الأخيرة التي تليها للتضييق علـــى الجمعية والحد من تأثيرها، فأغلقت بعض مدارسها، وسجنت وحكمت بالغرامة على معلميـــها، وعطلت جرائدها. وقد تابعت البصائر في سلسلتها الأولى هذه الإجراءات بالتنديد، فكانت حافلة بالمقالات التي تصور أشكال المعاملة الجائرة ضد الجمعية، سواء بقلم عبد الحميد ابـــن بـــاديس رئيس جمعية العلماء آنذاك- أو بقلم رئيس التحرير الطيب العقبي، وبأقلام بعض أعضائها*.

وكما كانت الجريدة تندد بأعمال الإدارة الاستعمارية ونشر عرائـــض احتجـــاج المجلـــس الإداري، فإنها كانت تندد بالمؤامرات التي كان يحيكها خصوم الجمعية ضدها، والتي كـــان مـــن نتائجها إغلاق المساجد أمام دعاة الجمعية، ومنع رجالها من التدريس الحر بها.

وقد استمرت هذه المعاملة الجائرة طيلة حياة الجمعية، وحافظت السلطة على نفس أســـلوبها، مادام الدافع الذي من أجله حاربتها لازال قائما. فذكرت البصائر في هذه المرحلة ما تقـــوم بـــه الإدارة من إثارة خصومها ضدها، وما ذلك إلا لتردها عن مقاصدها وتضعف دعوتها، وما هـــذه المقاومة إلا لأن جمعية العلماء بمنهجها الإصلاحي كانت تسعى إلى إحياء الإسلام ورد الناس إليـــه، وإحياء المقومات الإسلامية والخصال العربية، والتي يحاول الاستعمار القضاء عليها بالمسخ والطمس حتى تنسى الأمة مقوماتها، فيسهل عليه ابتلاعها والقضاء عليها، وليس هناك خطر أكـــبر علـــى الاستعمار من رجوع الأمة إلى منابع القوة والعزة من دين ولغة وتاريخ. غير أن هذه المقاومـــة لم تزد حركة الإصلاح إلا انتشارا حتى عمت كل مناطق الوطن، وما زادت الأمة إلا شعورا بحقـــها المهضوم، وتمسكا بالإصلاح.

---

[1] - أنظر مثلا إلى : من وحي البرلمان الفرنسي، البصائر، س 2 ، ع 13 (12 أفريل 1947).

* - أنظر : -الطيب العقبي، "نحن وخصماؤنا غير الشرفاء"، البصائر، س 1 ، ع 26 ، (3 جويلية، 1936).

- الطيب العقبي، "جمعية العلماء المسلمين والحكومة الجزائرية" البصائر، س 1 ، ع 50، (8 جانفي 1937).

- محمد سعيد الزاهري، "الحركة الإصلاحية بين نارين" البصائر، س 1، ع6، (27 فيفري 1936).

ومما عرف عن الاستعمار كذلك، وعانت منه جمعية العلماء، حربه العنيفة والمستمرة للمدارس التي تديرها، وسلاحه في ذلك القوانين والقرارات التي يخرجها بين الفينة والأخرى، ثم يلقي بها "في أيدي القضاة وحرسة الأمن ليرهقوا ويغلقوا ويحاكموا، كأن التعليم جريمة يترتب عليها العقاب"[1].

وكانت الأسباب التي تتذرع بها الإدارة الاستعمارية لمعاقبة المعلمين بالغرامة أو السجن هو عدم امتلاكهم لرخص بأسمائهم الخاصة، متجاهلة وجود جمعية العلماء، وأن المعلمين ليسوا مسؤولين عن المدارس.

وتذكر الجريدة أن جمعية العلماء قد احتجت لدى مسؤولي الإدارة، إلا أن هؤلاء أبوا الإصغاء، أو إعارة احتجاجهم أية أهمية، وذلك لتحقيق مآرب في نفوسهم وهي بلا شك محاربة التعليم العربي الحر.

وإذا كان معلمو الجمعية يدخلون السجن بتهمة فتح مدرسة دينية أو قرآنية بدون رخصة فإن ذلك يعد من دواعي فخرهم وفخر جمعية العلماء أن يكون سجنهم في سبيل الدين واللغة.

والإدارة من جهة أخرى، وزيادة في التضييق على التعليم العربي الحر، تعطل المدارس بدعوى عدم استيفاء الشروط الصحية، وكأن الحكومة لا تهتم بالمحافظة على الصحة إلا إذا كان تلميذا في مدرسة عربية، فإذا أغلقتها لم يعد له حق في المحافظة على الصحة.

إن سياسة الحكومة تجاه الجمعية والتعليم سياسة قائمة على التناقض، غايتها التضييق على الدين واللغة، وهضم الحقوق بكل الوسائل.

فهي تدعي تثقيف الشعب وتعليمه، وتحارب التعليم العربي وتغذي الجهل والأمية وتحميها. وهي تدعي المحافظة على الصحة ثم لا تلتفت إلى الألوف المؤلفة التي تنام على الأرصفة في زمهرير الشتاء، ولا إلى الذين يعيشون في مساكن هي أشبه بالقبور، يفتك بهم السل ويغشاهم الموت من كل مكان.

وإذا كانت جريدة البصائر لم تتعرض بالنقد أو الشرح لسياسة الإدارة نحو الجمعية فلم تشر إليها إلا ثلاث مرات على مدار العينة، فلعلها رأت أن ما تقوم به من بيان موقف الإدارة من الديانة الإسلامية واللغة العربية، وتذكيرها القراء بمطالبها فيما يخص التعليم والنوادي والمساجد والأوقاف، وعدم استجابة الإدارة لهذه الطالب، ما يشير إلى ذلك، لأنها تعتبر نفسها مسؤولة عن

---

[1] – عبد الحميد بن باديس، "عريضة جمعية العلماء إلى جانب مدير الشؤون الأهلية العام"، البصائر، س١، ع١، (29 ماي 1936).

الأمة في الحفاظ على دينها وقوميتها والدفاع عنهما، والوقوف ضد استبداد الإدارة بالتصرف في شؤونها الإسلامية.

- الكشف عن القوى المساندة للاستعمار:

لقد كان من أهداف البصائر إلى جانب الكشف عن حقيقة الاستعمار وأهدافه، سعيها للكشف عن الجهات المتعاونة معه لتطبيق سياسته وتحقيق أغراضه.

ومن خلال تحليل عينة الدراسة ظهر أن البصائر قد ذكرت قوتين، عدتهما من وسائل الاستعمار وأعوانه، من خلال بيان الصلة التي تربطهما به وتتمثل هاتين القوتين في:

1 - المجلس الجزائري.

2 - رجال الدين الرسميين.

1 - المجلس الجزائري:

تعتبر البصائر المجلس الجزائري مجرد أداة بيد الاستعمار أنشأها لخدمة مصالحه، ولهذا فالمجلس بالنسبة لها مؤسسة غير شرعية من جهتين:

- الأولى، أن الأغلبية فيه تمثل الأقلية، وهم الأوروبيون بينما تمثل الأقلية فيه الأغلبية، وهم الجزائريون المسلمون.
- والثانية، تدخل الحكومة في الانتخابات واستبدادها بتخطيط الدوائر الانتخابية، وتوجيهها الانتخاب إلى جهاتها، وضغطها على حرية المنتخبين.

وقد كانت الجريدة صريحة في اتهام الإدارة الفرنسية بالتلاعب بالانتخابات بالغش والتزوير لتكون نتائجها حسب ما تريده. ومما قالته في هذا الشأن "وهنا في القطر الجزائري مجالس نيابية لم يكتف الحاكم الجائر بجعل أبناء البلاد فيها أقلية ضئيلة، بل عمد إلى التدليس والغش والتزوير"[1]. وما ذلك إلا لإبعاد نخبة الأمة عن المقاعد النيابية خوفا من أن تعلو أصواتهم بالحق، وعملهم ضد مصلحة الاستعمار، ولهذا تدخلت الإدارة في الانتخابات بالتزوير، ووضع جماعة من الذين رضيت عنهم واطمأنت لولائهم.

وبهذا فإن المجلس الذي لم يكن للأمة يد في اختياره، لا يمكن إلا أن يكون وسيلة الاستعمار لتحقيق أغراضه. وقد ظهرت هذه الحقيقة جلية في مواقف المجلس ومقرراته، فيما يخص القضايا الحيوية الهامة التي ترتبط بمصير الشعب الجزائري، إذ كانت كلها لصالح الاستعمار ومن القضايا التي ناقشها المجلس وتتبعتها البصائر قضية اللغة العربية التي تبنى اتجاهها نفس موقف الحكومة

---

[1] - محمد البشير الإبراهيمي، " هذه أقواله فكيف تكون أعماله"، البصائر، س 8، ع 308 (4 مارس 1955).

الفرنسية من اعتبارها لغة أجنبية. حيث رفض أكثرية أعضاء المجلس أن تكون لغة المناقشات ومحاضر الجلسات إلى جانب اللغة الفرنسية وأشارت الجريدة إلى أن هناك عددا من الجزائريين من أعضاء المجلس من لا يتكلم ولا يفهم اللغة الفرنسية.

وإمعانا في إقصاء اللغة العربية من كل الدوائر الرسمية، واعتبارها لغة أجنبية فإن المجلس كان يعرقل كل المشاريع والاقتراحات التي تهدف إلى الارتفاع بها وترقيتها، ومنها رفضه لمقترح أحد الأعضاء -وكان فرنسيا- إنشاء مطبعة عربية لطبع جريدة رسمية عربية على غرار التي يصدرها المجلس باللغة الفرنسية، وأن يؤدي باللغة العربية كل ما تؤديه باللغة الفرنسية من قرارات المجلس ومحاضر جلساته ومناقشاته، كما ينص عليه القانون وقد تعلل المجلس بعجز الميزانية عن إنشاء مطبعة عربية.

كما رفض المجلس طلب بعض الأعضاء تنظيم التعليم العربي، متعللا بأن هناك تعليما عربيا ثانويا وعاليا، والحقيقة التي ذكرتها البصائر هي أنه لا وجود لتعليم عربي حكومي في أي مرحلة من مراحل التعليم.

ومما أوكل إلى المجلس الجزائري حله، قضية استقلال الديانة الإسلامية طبقا لما نص عليه القانون الصادر في 20 سبتمبر 1947، والذي ضمن الاستقلال نظريا وعلق تنفيذه بالمجلس. ولأن هذا الأخير تهيمن عليه الإدارة الفرنسية فإنه لم يتمكن من اتخاذ قرار فعلي لاستقلال الديانة الإسلامية، أو النظر في وضع أوقاف المساجد، وإصلاح القضاء الإسلامي. فبقي قرار الفصل مجرد ورقة محفوظة في أدراج المجلس.

وبالرغم من أن بعض المثقفين من أعضاء المجلس المسلمين كانوا يعتقدون بأن مسألة كمسألة القضاء الإسلامي على خلاف ما تروجه الإدارة مسألة دينية، يجب الرجوع فيها إلى أهل العلم بالدين، فإن صوت الحق الذي جهروا به كانت تعلوه أصوات الباطل والجهل.

وإذا كان الاستعمار قد أقنع المجلس بعدم دينية القضاء، فما ذلك إلا ليبقي يد الحكومة مبسوطة عليه. وهكذا فإن المجلس يتخذ القرارات ويبدل ويغير في المسائل المختلفة كما يريد إلا القضية الدينية فإنه يتناولها بمنطق استعماري، وفكر عنصري.

والحقيقة أن هذا لا ينطبق على المسائل الدينية فقط، بل يشمل كذلك نظرته إلى القانون والعدل والمساواة، فهو لا يرى هذه العناصر الثلاث التي تضمن الطمأنينة والاستقرار إلا كما تنظر إليها الإدارة الاستعمارية. وقد تقدمت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية(*)، إلى المجلس

(*) - انظر منبر " في الشمال الإفريقي"، البصائر، س 3، ع 122 (5 جوان 1950).

باقتراح لتعجيل النظر في القمع والزجر القائمين في البلاد تحت ستار ما سماه الاستعمار بالمؤامرة السرية ضد الأمن العام، فرفض أغلبيته هذا الاقتراح، وأبوا إلا استمرار الفزع في أوساط الشعب، وترويع الأمهات والأطفال والشيوخ بتفتيش البيوت وإلقاء القبض على الأبرياء، وبهذا يدافع المجلس الدفاع الرسمي عن الزجر والظلم والعدوان على الحريات الشخصية وحقوق الإنسان.

إن الحرص على المساواة وتطبيق القانون، لا وجود له إلا في داخل المجلس، والقانون لا يطبق إلا إذا كان لصالح الاستعمار والحاكمين.

وبالتالي فإن الاستعمار كما ترى البصائر، هو عدو المساواة وعدو القوانين والديمقراطية، وأنه لا يقوى على العيش إذا تخلى عن هذه العداوة الذاتية فيه.

ولا يقتصر الموقف السلبي للمجلس على هذا، بل أنه أداة لتكريس العنصرية والاستغلال، لأنه حين يقوم بمناقشة التقرير المالي، أو يوزع الميزانية، فإنه يراعي مصلحة الاستعمار قبل كل شيء، فلا يوزعها بشكل عادل، وهذا ما ترك جهات ومناطق كثيرة من الوطن فقيرة لم يمسسها أدنى إصلاح اجتماعي وصحي، محرومة من خيراتها ومنشآتها، فلا مدرسة ولا مركز صحة، ولا مياه جارية، ولا طرق فضلا عن الكهرباء، بينما تحظى النواحي التي يسكنها الأوروبيون، بكل اهتمام ورعاية. إضافة إلى الضرائب المفروضة على الفلاحين والتجار الجزائريين، وهذا كله يجعل الجزائريين يعيشون في شقاء وشظف الحياة، بينما الأوروبيون وأعضاء المجلس في الترف والبذخ.

2 – رجال الدين:

من العوامل البارزة التي ميزت حركة جمعية العلماء وعرفت عنها، هو مقاومتها للطرقية، وترجع أسبابها إلى كون الطرقية سببا في تشويه العقيدة، ومصدرا لانتشار البدع والخرافات التي تخالف الدين.

وقد اتخذ الطرقيون من نشر العقائد الباطلة، وسيلة لاستغلال الناس وفرض السيطرة عليهم فكان من نتائج تشويه الوجه الحقيقي للإسلام، ضعف الوازع الديني في نفوس العامة، فكثر الفساد وتعددت صوره وأشكاله، وعم الانحطاط الاجتماعي والخلقي والفكري، واستغل الاستعمار هذه الأوضاع ليتمادى في بسط نفوذه وسيطرته، واستغل الطرقيين ليبقى المجتمع بعيدا عن كل تطور ثقافي أو اجتماعي، وشجع الناس على عبادة الشيوخ وتقديسهم.

ولهذه الأسباب حاربت الحركة الإصلاحية الطرقية، والمتتبع لصحافتها يجدها حافلة بالمقالات التي تعرض أعمال الطرقيين الذين اعتبرهم العدو الثاني للجزائر بعد الاستعمار.

أما صراع جمعية العلماء مع الطرقية فبدأ منذ تأسيسها، وقد ظهر ذلك في صحفها وبخاصة في السلسلة الأولى للبصائر، ومما يلاحظ على أعداد عينة الدراسة أنها تكاد تخلو من المواضيع التي تتحدث عن الطرقية، وترجع أسباب سكوت جمعية العلماء عن رجال الزوايا كما جاء في أحد مقالات الجريدة إلى سكوت هؤلاء ورجوع الكثير منهم إلى الحق مشيرة إلى أن الخصم الحقيقي لها هو الاستعمار الذي قضى على الدين واللغة واستولى على الأوقاف والمؤسسات الدينية.

واتجهت هذه المرة لتكشف عن جهة أخرى متعاونة مع الاستعمار وهي رجال الدين الذين عينتهم الإدارة لتولي المناصب الدينية، ومن الأمور الأساسية التي ركزت عليها في حديثها عن هذه الفئة:

- الطريقة أو المقاييس التي يتم على أساسها اختيارهم لتولي الوظائف الدينية.
- الأعمال التي تقوم بها والتي تنطوي كلها على خدمة أهداف الاستعمار.

فأما بالنسبة للشروط التي تشترطها الإدارة الفرنسية في من يتولى منصب القضاء أو الإفتاء أو الإمامة فهي الشروط التي تخالف شروط الإسلام، ولذلك لا تولي إلا من تحققت من جهله بأمور الدين وشهد له الملف والتقارير بأنه بارع في الجوسسة والإفساد، ودليل ذلك كما أشارت إليه البصائر أن هناك من القضاة والمفتين من لا يدين بالإسلام ويعتنق مذهب الماسونية وهو مع ذلك يصلي بالمسلمين ويحكم بينهم في أنكحتهم ومواريثهم.

وفي حديث الجريدة عن الأئمة الذين تعينهم الإدارة تقول أنهم رغم أن معنى كلمة إمام في اللغة "أن يكون محل ثقة في دينه وخلقة ومروءته، وأن يكون إماما يؤتم بشجاعته وبطولته في الكفاح القومي والجهاد، كما يؤتم به في الصلاة، وأنه موضع القدوة الحسنة في رأيه وعلمه".

فإن الإمام الذي تعينه الإدارة "يكبر عليه أن يتحمل تبعة هذه الأوصاف والنعوت الشريفة، وينهض بمسؤولياتها مادام في إمكانه وبكل سهولة أن يتنصل منها ويلتجئ إلى عكسها ومادامت تكلفه ضياع الخبزة الباردة التي يأكلها ملطخة بعار الذل والعبودية"[1]. وهذا يعني سير من يسمون أنفسهم رجال الدين في ركاب الاستعمار، يطيعون أمره، ويغضبون لغضبه ويرضون لرضاه، ولا يهمهم رضى الله ماداموا يأخذون على ذلك أجرا من الاستعمار، ولهذا وصفتهم الجريدة بأنهم أمراء السوء[2].

---

[1] - علي مرحوم، "حاج وإمام" البصائر، س5، ع211، (29 ديسمبر 1952).

[2] - العربي التبسي، "مواعظ ليالي رمضان"، البصائر، س6، ع231، (29 ماي 1953).

وما كونهم الاستعمار إلا ليحارب اليقظة القومية في هذا الوطن، وليقف في وجه الأمة كلما ألحت في المطالبة بحقوقها الدينية.

والإدارة الاستعمارية تستعملهم ليكونوا وسيلة لـ:

- إضعاف الإسلام بإتيان البدع والمنكرات وإحياء العوائد السيئة التي تنتهك فيها المحرمات، والحكومة تيسر لهم ما عسرته الأزمة المالية الخانقة، بعد أن تركها الناس وأعرضوا عنها تأثرا بحركة الإصلاح التي تحارب البدع والمنكرات، ومنهم من وزعه عنها وازع المروءة.

وكلما رأى الاستعمار أن الناس قد نسوه وعادوا إلى الإسلام عمد إلى إحيائها، ومن هذه العوائد السيئة (عادة الزرد). وهؤلاء لا يهمهم من أمر الدين شيء مادامت جيوبهم بهم ملأى، وما دام الاستعمار يدر عليهم الأموال الطائلة ليكونوا -عند الحاجة- أدوات لهدم الدين.

- مواجهة الحركة الإصلاحية، والوقوف حجر عثرة أمام تقدم المجتمع، فهذه الفئة لا تكفي حسب الجريدة- بالتخلي عن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإرشاد الناس إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، بل يحاولون أن يثيروا الناس ضد كل حركة دينية أو اجتماعية تهدف إلى ترقية المجتمع ويتهمونها بالتدخل في السياسة ليؤلبوا عليها الاستعمار.

- تأييد تدخل الحكومة في شؤون المسلمين الدينية، والادعاء بأن ذلك من مصلحة الدين، وقد تساءلت البصائر في استنكار كيف ساغ للموظفين الدينيين "أن يعترفوا بذلك التدخل ويطالبون ويحتجون لتصويب رأي الحكومة في ارتكابه، ويرون أن ذلك في مصلحة الدين وهل يتصور عاقل أن المسيحيين أو اليهود لو كانوا تحت سلطة الحكومة الإسلامية يرغبون منها أن تتدخل في دينهم"[1].

وفضلا عن تأييد الموظفين الدينيين للحكومة، يعترفون بأنهم جزء لا يتجزأ من الحكومة ويعني هذا أنهم يقدمون رضاها على رضى الله ويعملون لتأييدها على باطلها.

2 -الإعلام:

سبقت الإشارة إلى أن أغلب الصحف الجزائرية قد توقفت غداة اندلاع الحرب العالمية الثانية، بما في ذلك صحف جمعية العلماء المسلمين، بسبب تخوفها من ظروف الحرب، وحتى لا تضطر إلى نشر ما يخالف قناعاتها.

---

[1] - فقيه سلفي، "مجلة صوت المسجد والقضية الدينية"، البصائر، س2، ع81، (30 ماي 1949).

وبعد انتهائها عاد إلى الظهور عدد قليل من الصحف الإصلاحية والتابعة للأحزاب الجزائرية. وقد شهدت هذه الفترة كثيرا من الأحداث السياسية الهامة، والتطورات، سواء على المستوى المحلي أم العربي أم العالمي.

وكما هو معروف فإن وسائل الإعلام عامة والصحافة خاصة تعد القنوات الأساسية التي تمكن جمهور القراء من معرفة ما يجري في أوطانهم، ومن الاتصال بالعالم الخارجي، ذلك أن الأفراد لا يهتمون فقط بمعرفة الأحداث الداخلية، بل كذلك يهتمون بكل ما يحدث خارج هذه الدائرة، ولهذا كان جمع المعلومات والأخبار ونشرها يعد أحد أهم وظائف وأهداف الصحافة.

ومن هذا المنطلق يمكن القول أن الصحف الجزائرية في تلك الفترة كانت تعد مصدرا رئيسيا للمعلومات والأخبار بالنسبة لأفراد المجتمع الجزائري، وللتقليل من أهمية الصحف الفرنسية، سواء تم اطلاعهم على ما تحتويه من أنباء بشكل مباشر - أي بقراءتها - أو عن طريق الفئات المثقفة التي تكون الوسيط بينهم وبين هذه المعلومات.

وقد ظهر من خلال تحليل مضمون البصائر من حيث مجالات التغطية قد مست ثلاثة مستويات محلية وعربية وعالمية، وأنها نوعت من حيث أشكال التحرير في نقل هذا المضمون.
وقد قامت من خلال ذلك بإعلام القراء بما يجري على المستوى الداخلي من أحداث، وتتبعت أهم القضايا التي تشغل الرأي العام العالمي، كتقسيم ألمانيا، وظهور قطبين جديدين يتمثلان في أمريكا وروسيا وصراعهما من أجل السيطرة على دول العالم، وكذلك نقلت أخبار تحرر بعض الدول من السيطرة الاستعمارية، وما تشهده الساحة السياسية الداخلية لبعض دول العام من تحولات هامة.

لم تكن الجريدة تهتم فقط بتلبية حاجة القراء في معرفة ما يجري من أحداث في الداخل أو الخارج، بل كانت تسعى عن طريق تتبع الأخبار ونقلها ونشر المقالات والتعليقات إلى ترقية اهتمامات الناس وتوجيهها، وذلك من خلال العناية الخاصة التي أبدتها في السيطرة الاستعمارية، حيث تعتبر جزءا أساسيا من اهتمامات القراء في الجزائر وفي كل القطر العربي. كما تجعل القراء في دول العالم الأخرى على اطلاع بما يقع في الوطن العربي من أحداث.
وبهذه المتابعة والاهتمام بنقل الأخبار والأنباء، فإن جريدة البصائر تفك العزلة عن المجتمع الجزائري، وتجعله على صلة بما يدور حواه من أحداث، وتوسع اهتماماته بكل القضايا التي تهم الإنسانية، وتزيد من شعوره بالوحدة والترابط والتضامن مع كل القضايا العربية.

3 – دعم مكانة الجمعية في المجتمع:

إن استعمال جمعية العلماء المسلمين لوسيلة الصحافة في تلك الظروف الصعبة، وتحملها المشاق الكثيرة لإصداراتها، أمر ينطوي عن وعي عميق بأهمية الصحافة في دعم أفكارها، وتوضيح مواقفها تجاه مشكلات المجتمع، وعرض وجهات نظرها إزاء القضايا المختلفة التي تعالجها على صفحات جرائدها.

وهي إلى جانب هذا بحاجة إلى أنصار ومؤيدين لحركتها، وقد أظهرت البصائر اهتماما بتتبع أنشطة الجمعية المختلفة، وإعلام القراء بها، وبلا شك فهي لم تكن تقصد مجرد الإعلام، رغم ما لهذا من أهمية في إحاطة القراء معرفة بمنجزاتها، وتوضيح الملابسات التي قد تعلق في أذهان الناس حول نشاطها وبرامجها، بل تريد أيضا جذب أفراد المجتمع إلى صفها وكسب تأييدهم ومساندتهم لها بما تقوم به من أعمال وما تدعو إليه من أفكار ومبادئ.

ولهذا فهي بحاجة دائمة إلى إبراز دورها المهم في المجتمع، وتتمثل هذه الأهمية كما أوضحته البصائر في :

- أن المنهج الإصلاحي الذي اعتمدته جمعية العلماء، هو السبيل لتجاوز الوضع الاستعماري الذي فرض التخلف والتحلل الأخلاقي والجهل، والكفيل بتحقيق الرقي.
- أن الفضل الأول في نهضة المجتمع يرجع إلى الجمعية، وإلى ما قامت به من أعمال في سبيل ذلك وأن أهم ما قامت به هو أنها:
- قاومت الجمود وانتشار الخرافة والجهل، فعممت التعاليم الإسلامية والتربية الحقة المطابقة لما جاء به الإسلام في كافة الأنحاء، وحررت الأمة من الدجالين الذين ظلوا يستغلونها لزمن طويل ويقفون حجر عثرة في طريق تقدمها.

وقد كانت الأمة قبل ظهور الجمعية مشتتة الأهواء، تجهل المعنى الحقيقي للحياة، فلما ظهرت وحدتها على حقيقة واحدة، فأنارت الأفكار واستطاعت أن تنهض بها إلى مستوى الثقافة والتربية، والتهذيب.

وكان من آثار ذلك أن توجهت الأمة إلى الحياة توجها فيه كل معاني الشجاعة والأنفة، والجهاد والصبر والكفاح.

– حفظت أبناء المسلمين من الضياع الفكري، وأنارت عقولهم بالعلم والمعرفة الإسلامية، وذلك بإنشائها العديد من المدارس، ووضعها لأفضل المناهج الدراسية، وتزويدها بأفضل الكفاءات التعليمية من أجل إخراج جيل مسلم متعلم متحصن بالثقافة والمعرفة الإسلامية.

– حافظت على شخصية الأمة، وواجهت المشروع الاستعماري الذي كان يريد القضاء على المقومات بالقضاء على اللغة العربية ومسخ روح الإسلام، وتعطيل العمل به وتشويه سمعته عند بنيه، فأحيت اللغة العربية بهذه النهضة العلمية.

– أن حركة جمعية العلماء لا تنبثق إلا عن حقيقة واحدة وهي كونها لا تعمل لأغراض ذاتية أو خاصة، ولا لمصلحة جهة معينة، بل تعمل لأجل مصلحة الأمة، وأنها لسانها في الدفاع عن حقوقها الدينية المغصوبة، ونصرة دينها لأنه الأصل في البقاء.

وأكدت أن أهم عمل قامت به جمعية العلماء هو القيام بواجبها في الدفاع عن الإسلام في ثلاثة ميادين في وقت واحد:

- دافعت عنه في الميدان الخارجي بالرد على شبه الطاعنين ومقاومة حركة التبشير والإلحاد.
- وفي الميدان الخاص بالحكومة الجزائرية، تناولت قضية فصل الدين عن الحكومة بالشرح والتحليل واستمرت في المطالبة به، دون أن يردها وعد أو وعيد عن تقبيح سلوك الحكومة وموقفها من هذه القضية، و لم تصبها المماطلة والتلاعب بالفشل لعلمها أن العاقبة للمتقين.
- ودافعت عنه في الميدان الداخلي بينها وبين قومها، فدعت إليه وبينته حتى علم الجاهل، واهتدى الضال، وفاء إلى الرشد الغوي، وهي ترجو بذلك أن يتعاون أفراد الأمة جميعا على نصرة دينهم وإنقاذه من اليد الغاصبة، وأن يدركوا أن الاستعمار إنما يثير بينهم أسباب العداوة والبغضاء لمصلحته لا لمصلحتهم، وإلى جانب ذلك انتقدت تصرف الذين يقفون في صف الحكومة، لأنه ليس من الحق والعدل أن يكون التصرف في أمور الدين موكولا إلى غير أهله.

4 – التثقيف:

سعى الاستعمار الفرنسي عن طريق التضييق على التعليم العربي ومحاربته بشتى الطرق، أن يفرض حصارا معرفيا وثقافيا على المجتمع الجزائري، ويقف في وجه كل تطور.

وقد ساهم في تحقيق هذا الهدف تردى الوضع الاجتماعي الذي جعل الفرد الجزائري ينظر إلى التحصيل العلمي والثقافي على أنه أمر ثانوي يأتي بعد لقمة العيش.

وفي ذات الوقت حاول الاستعمار نشر ثقافته، ولهذه الأسباب كان أحد أهداف جمعية العلماء من تأسيس المدارس والنوادي ومختلف المؤسسات الثقافية، تجاوز الحصار الثقافي، والعمل على تنوير وتثقيف المجتمع وتعليمه، ثم إيجاد طبقة من المثقفين ثقافة عربية إسلامية يكونون أداة للتأثير في بقية أفراد المجتمع.

وقد اتخذت من جريدة البصائر أداة لنشر الثقافة والمعرفة، وذلك بتقديم مادة إعلامية تلبي حاجة القراء في الإصلاح على كل إنتاج فني وأدبي وعلمي، وترقية اهتماماتهم عن طريق انتقاء المادة الإعلامية التي ترى أنها تخدم الثقافة العربية الإسلامية.

فكانت تتبع الإصدارات الحديثة، وتعرف القراء بالمؤلفات وما تنطوي عنه هذه المؤلفات من فوائد في مجالات المعرفة المختلفة، سواء في مجال اللغة أم علوم الدين أم التاريخ أم الأدب أم غيرها.

كما كانت تنقل القراء من المجالات العلمية المتخصصة ما جد من مكتشفات علمية، وتتبع الأخبار الثقافية في الجزائر وفي بعض الدول العربية، وتنشر القصائد الشعرية والمقالات التاريخية، والنقدية التي كانت تكشف من خلالها عن بعض المواقف السلبية للمجتمع وبعض المثقفين والتي ترى أنها عائق أمام تحقيق تنمية ثقافية راقية.

وهي إلى جانب ذلك كانت تشجع الأدباء والمثقفين وتدعوهم إلى المشاركة في تنمية الثقافة العربية وترقيتها بالاهتمام بالتأليف ومحاولة تجاوز العقبات التي تقف في طريق نشرها، وكذلك باختيار المضامين - وخاصة في مجال الأدب - التي تخدم المجتمع وقيمه وتساهم في إصلاحه، وتنقد كل إنتاج تراه يخالف القيم الإسلامية.

5 – التوجيه والإرشاد:

انتقدت البصائر الظواهر التي تخالف القيم الإسلامية، التي أصبحت سائدة في المجتمع، واعتبرت أحد أهم أسبابها ضعف الوازع الديني.

وقد حاولت أن تقدم طرحا لحل مشكلات الانحراف الأخلاقي من منظور إسلامي، وذلك عن طريق التربية الصالحة، وإحياء واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو واجب علماء الدين والشريعة، وأشارت إلى أهمية المسجد في محاربة تلك الآفات وأسبابها، وذلك بالرجوع إلى الهداية الإسلامية من أجل تقوية الشعور الديني، وإحيائه في النفوس، ولا أفضل من الدروس الدينية التي تقام في المساجد لتحقيق هذه الغاية.

وقد ركزت البصائر في دعوتها للأخلاق والفضائل الإسلامية، على القيم التي توطد الروابط الاجتماعية وتمتن الصلات بين أفراد المجتمع، فدعت إلى الأخوة، والحب والإخلاص في العمل ونبذ الأنانية والظلم.

وبينت الجريدة أن من أخطر مظاهر الانحراف الاجتماعي التي كانت سببا في تفرق المسلمين وضعف الصلات بينهم، اختلال رابطة العقيدة بين أفراد المجتمع، وبناء العلاقات على أسس مصلحية وروابط عابرة تنتهي بانتهاء المصلحة. ولهذا دعت المسلم أن يؤسس علاقاته مع أفراد

مجتمعه على أساس رابطة العقيدة الإسلامية،وهي الرابطة الوحيدة التي تربط بين المسلمين،بعيدا عن المصالح الذاتية والأنانية، وتجعلهم أمة واحدة تربط بينهم برباط الأخوة التي أساسها الحب في الله.

وقد كان من مقتضيات الدعوة إلى الأخلاق الإسلامية، أن تؤسس هذه الدعوة على ما جاء في القرآن الكريم، وذلك لتجعل الناس قريبين منه، كما ربطت بين النص القرآني والواقع بإعطاء أمثلة حية حتى تجعل القرآن وثيق الصلة بحياتهم، وبينت دور الشريعة في حماية الأخلاق وعنايتها بها من عدة وجوه، حيث قامت:

- بإصلاح النفس البشرية بإيقاظ الضمير لمعرفة الله ومراقبته في السر والنجوى.
- وأوصت بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- وبثت مكارم الأخلاق.

كما دعت البصائر أفراد المجتمع إلى ضرورة واحدة والتعاون فيما بينهم والاهتمام بشؤون بعضهم البعض، واعتبرت ذلك الوسيلة الأساسية لتجاوز المشكلات الاجتماعية، والعقبات التي تقف في طريق رقي المجتمع، ودعت أيضا إلى الصبر والاستقامة والعفة.

ومن خلال توجيه الجريدة القراء إلى السلوك الإسلامي الواجب، سعت إلى تحفيز الهمم، وتقوية العزائم إلى الخير بكل معانيه، ونبذ الشر والفساد بشتى صوره وأشكاله المثبطة لكل القيم الاجتماعية والمبادئ الإنسانية.

نتائج الدراسة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تم بلورة إشكالية الدراسة وصياغتها في عدد من الأسئلة حاولت الإجابة عنها من أجل تحقيق الغرض النهائي من البحث، وقد أمكن الوصول إلى عدد من النتائج يرتبط قسم منها بالجانب النظري والآخر بالجانب التطبيقي، وتتمثل نتائج القسم النظري في:

- نشأت الصحافة الإصلاحية متأخرة عن حركة الإصلاح في الجزائر، ويرجع ذلك إلى الأسباب نفسها التي أعاقت ظهور الصحافة الجزائرية عموما، وعانت من المضايقات والمتابعات بسبب توجهها الإصلاحي.

- كشفت المتابعة التاريخية لنشأة الصحافة الإصلاحية، وتطورها عن ارتباط هذه الصحافة بمجموعة من الأهداف التي تتمتع بالثبات والتشابه، إذ يلاحظ في هذا السياق أن صحف البدايات تلتقي في أهدافها مع الصحف التي جاءت في مرحلة متأخرة عنها. وإذا برز اختلا في لغة التعبير عن الهدف فإن المعنى يظل واحدا في كل الأحوال، ويمكن توضيح ذلك على النحو التالي:

- أنها تلتزم بدور دفاعي يمثل جانبا أساسيا في رسالتها الإصلاحية، وهذا الدور يرتبط بالوضع الاستعماري، وما ينجر عنه من مخاطر تواجه المجتمع.

- تلتزم بدور بنائي يتلازم مع الدور الدفاعي ويركز هذا الدور على تربية النشء تربية إسلامية، تعتمد على تدعيم العقيدة في النفوس، ومواجهة أزمة الفساد الأخلاقي، وتفشي الإباحية والإلحاد، وفي هذا الإطار نبهت الصحف إلى الأخطار التي تتعرض لها الأجيال من جراء تقليد الغرب ودعت إلى مقاومته.

أما من حيث المضمون فقد تركز اهتمام الصحفيين حول نقاط صارت تمثل خصائص الصحافة الإصلاحية، وترجع إلى طبيعة المصلحين وطريقة تفكيرهم وتحليلهم للخلل في الواقع وتصورهم لشكل الحل، وبالتالي فإن الصحافة كانت انعكاسا لتوجهاتهم الفكرية وترجمة لأهدافهم الإصلاحية، ولهذا فإن الوظائف التي تؤديها تسعى من خلالها لأن تضمن لها هذه الخصوصية، وتتمثل في:

- محاربة البدع والخلافات التي شاعت في المجتمع الجزائري، وتحرير الفكر من قيد التقليد، والدعوة إلى فهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعه الأولى ممثلة في القرآن والسنة.

- نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة.

- الحفاظ على اللغة العربية، والدفاع عنها باعتبارها لغة القرآن والسنة، وأداة فهمهما، والعمل بهما.

- محاربة الجهل، وانحراف الطرق الصوفية التي أصبحت عائقا في طريق تقدم المجتمع.

- ابتعدت الصحف الإصلاحية في بدايتها عن الخوض في القضايا السياسية بسبب الظروف التي كانت تعيش في ظلها والتي أجبرتها وأجبرت الصحافة الجزائرية عموما إلى التزام الحذر، ليصبح فيما بعد الوضع السياسي الداخلي ومواقف الإدارة الفرنسية وسياستها أحد مجالات اهتمامها. ولعل ذلك يرجع إلى نضج وعي القائمين على هذه الجرائد بضرورة تحريك وتحليل بعض القضايا السياسية، حتى تجعل القارئ على وعي وإدراك وفهم لواقعه.

- تقوية الصلات بين الأمم الإسلامية، وتمتين روابط الألفة بين أفرادها، عن طريق نشر كل ما يتصل بشؤون المسلمين في العالم وبالدعوة إلى الوحدة.وقد مثل هذا بدايات مبكرة لفكرة التضامن العربي، والجامعة العربية

- إن اهتمام الصحافة الإصلاحية لم يعد مقصورا على القضايا الداخلية والرأي العام المحلي، بل اتسع نطاق هذا الاهتمام حتى أصبح يشمل القضايا الدولية والرأي العام العالمي.

أما بالنسبة للدراسة التطبيقية فإن أهم النتائج التي يمكن تسجيلها هي:

- اتسمت المعالجة الصحفية للبصائر بالثراء والتنويع، سواء من حيث استخدام الأشكال الصحفية التي اشتملت، المقال والتعليق والتقرير والخبر والروبرتاج، أو استعمال الأنواع الأدبية (القصة القصيرة والشعر).

وقد أضافت الجريدة إلى الأشكال المستخدمة "الصورة"، حيث تعد عاملا مهما من عوامل جذب القراء، إلا أنها اقتصرت من حيث الموضوع على شخصية البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء، وتسجيل لقاءاته من بعض كبار الشخصيات العربية والإسلامية في رحلته إلى المشرق العربي والهند.

- اتضح من خلال التحليل اعتماد البصائر بدرجة كبيرة على المقال، مما يعني أنها كانت تهدف إلى عرض وجهات النظر وتوضيح مواقفها إزاء مختلف القضايا التي عالجتها، ومن ثم التأثير على القراء، والمساهمة في توجيه آرائهم، وأن تكون مرآة عاكسة للواقع والأحداث التي ترى أنها تهم الرأي العام المحلي والعالمي.

- جاء اعتماد البصائر على الخبر في المرتبة الثانية بعد المقال، إلا أن هذه النتيجة لا تنفي عنها صفة الرأي ويرجع ذلك لطبيعة المقال الذي يحتل مساحة أكبر من التي يحتلها الخبر لاعتماده أساسا على التحليل.

- أما من حيث مجالات الاهتمام فقد نوعت البصائر إلى حد مقبول في مضمونها، وشمل المواضيع السياسية والاجتماعية والأخلاقية والأدبية والتاريخية والعلمية، وهذا يؤكد أهمية أن يكون

النشاط الصحفي شاملا من حيث التنويع في المواضيع، ويعني أنها لم تحصر نفسها أو مجال اهتمامها في جانب دون آخر، وعكس ما هو شائع عن الحركة الإصلاحية وجمعية العلماء في كونها تهتم فقط بالناحية الدينية وبالوعظ والإرشاد.

وقد اتضح من العرض السابق أم الموضوعات السياسية قد شغلت مكانة محورية في اهتمامات الجريدة، وذلك من منطلق الاستجابة الموضوعية، للأوضاع والتحريات التي واجهها المجتمع الجزائري داخليا، والعالم العربي والعالمي خارجيا.

- اهتمت بمعالجة وتحليل سياسة الإدارة الفرنسية داخل الجزائر، وانعكاساتها على واقع المجتمع، وخاصة على النواحي الدينية والاجتماعية، وقد ظهر تركيزها بشكل أكبر على القضية الدينية.

- مثلت قضايا العالم العربي مرتكزا أساسيا من محاور اهتمام البصائر، عالجت من خلاله الغزو الاستعماري في المغرب العربي، وما تعرض له على يد الاستعمار، واهتمت بالوضعية السياسية في المشرق العربي ولاسيما في فلسطين. وكشفت عن المخططات الغربية التي كانت تهدف إلى القضاء على الوحدة العربية. أما القضية الفلسطينية فقد أوضحت خلفياتها وأبعادها وتناولت أكثر من مرة دور الصهيونية في هذه القضية والعلاقة التي تربط بينها وبين إنجلترا. وكشفت عن أشكال جديدة من الاستعمار تمثلت في محاولة الدول الغربية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية فرض سيطرتها على أقطار الوطن العربي بالتدخل في شؤونها، وضغط كل من المعسكرين الشيوعي والرأسمالي على الدول العربية لاختيار معسكر تنحاز إليه، وحاولت مختلف المواضيع السياسية التي تناولت الوضع في الأقطار العربية أن تكشف عن هذا التدخل وأهمها حماية مصالحها في المنطقة ودعم وحماية الكيان الإسرائيلي.

- تابعت الجريدة الأحداث السياسية العالمية ولاسيما تلك القضايا المصيرية ذات الأثر البعيد عن الإنسانية كلها، فأظهرت اهتماما خاصا بمتابعة الحوادث التي تلت الحرب العالمية الثانية والخلافات الحادة التي أخذت تتفاقم بين الدول الكبرى روسيا وأمريكا.

- تابعت الجريدة حركة جمعية العلماء فكانت تغطي بتقريراتها الصحفية نشاطات الجمعية الفكرية والعلمية، وتنقل للقراء صورا عنها، كما شرحت مقالاتها أفكارها وأهداف دعوتها.

- كشفت عن أشكال من الانحراف الاجتماعي والأخلاقي، وقدمت صورا عن مظاهر البؤس والشقاء والمعاناة التي كان يعيشها المجتمع في ظل الاحتلال.

– سعت من الناحية الأخلاقية إلى محاربة التحلل والفساد، وغرس الأخلاق الفاضلة، ونشر المبادئ السامية، وحثت الجمهور على التزامها، وهذا انطلاقا من المنهج التربوي الذي تؤمن به.

– اهتمت بالناحية الأدبية فكانت منبرا للأدباء الجزائيين لنشر إنتاجهم الأدبي والفني، ونشرت المقالات التاريخية والعلمية وعرفت بالمكتشفات الحديثة.

– لقد سعت هذه الدراسة لمضمون جريدة البصائر عبر العينة التي اختيرت التعرف على الأهداف والأفكار الكبرى التي دار حولها هذا المضمون، وقد أمكن -كما اتضح من التحليل- الوصول إلى أن الجريدة قد سعت إلى تحقيق عدد من الأهداف، وقد ظهر تركيزها على هدف التوعية، وذلك من خلال إثارة اهتمام الجمهور بمشكلاته وقضاياه، وكذا المشكلات الكبرى التي توجه العالم، وانعكاساتها، ومعاونته على فهمها من خلال عمليتي التحليل والتفسير، بالشكل الذي يساعده على معايشة هذا الواقع بوعي، دون أن تنفصل هذه المعالجة عن المشكلة الأساسية وهي الاستعمار. وهذا يؤكد على أن عملية التغيير والإصلاح كما تراها البصائر، لا تتم إلا من خلال رفع وعي الفرد وإدراكه بمشكلاته الأساسية، وبقدر رقي هذا الوعي يكون رفض الجمهور للواقع ورغبته في تغييره.

– الكشف عن حقيقة الاستعمار وجرائمه في حق الشعب، وحق ممتلكاته المادية والروحية. وفضح أساليبه الدنيئة ومفارقاته العجيبة بين ما يدعيه قولا، وما يقدم عليه فعلا. كل ذلك من أجل تصوير حقيقة الاستعمار أمام الناس وتبصيرهم بحقيقة أمرهم وواقعهم. وفي هذا الإطار قامت الجريدة بالرد على ما تنشره الصحف الاستعمارية من معلومات وأخبار دفاعا عن سياسته، من أجل تنوير الرأي العام والحد من تأثيرها.

– كشفت الجريدة عن القوى المساندة للاستعمار، والدور الذي تقوم به بالتعاون مع الإدارة الفرنسية ضد الشعب من خلال بيان أشكال عاونها معه، والإسهامات التي قدمتها لخدمة أهدافه التي تعتبرها مضادة لمصلحة المجتمع وللحركة الإصلاحية.

– سعت البصائر من خلال التوجيه والإرشاد المساهمة في تغيير سلوك الأفراد تجاه أنفسهم وتجاه مجتمعهم، من خلال بيان الأمور الخاطئة في المجتمع، ونقد بعض الظواهر والاتجاهات التي تقف عائقا أمام التقدم، وتقديم الحلول الممكنة لتجاوز مشكلاتهم، وطرح سلوكيات بديلة والحث على السير نحو المثل الإسلامي الأعلى.

– ركزت على القيم التي توطد الروابط الاجتماعية، وتمتن الصلات بين أفراد المجتمع، فالحديث عن الأخوة والحب في الله والإخلاص ونبذ الأنانية والظلم والدعوة إلى الوحدة والاهتمام

بالآخرين والسعي في سبيل معاونتهم على الرقي، كل ذلك من شأنه أن يساهم في تأسيسي مجتمع متضامن وموحد، فلا يمكن للإصلاح أن يكون إلا إذا تم إيجاد هذه القاعدة الصلبة من الأخلاق الاجتماعية الفاضلة على أسس العقيدة الإسلامية التي يذوب فيها طغيان المصالح وحب الذات والأنانية واللامبالاة.

– دعم ومساندة حركة جمعية العلماء المسلمين، من خلال التأكيد على إسهاماتها في تربية وتعليم وإصلاح المجتمع، والحفاظ على عقيدته وقيمه الحضارية، والدفاع عن حقوقه الدينية. وهذا يعني حاجتها إلى الدعم والمؤازرة في تحقيق الأهداف والتأثير في حركة المجتمع.

ـ لفت انتباه القراء إلى القضايا الساخنة في ذلك الوقت، وإثارة اهتمامهم بالمشكلات الكبرى التي تواجه العالم.

– تجاوز الإطار المحلي رغم أن في الجزائر ما يكفي من الانشغال والهموم والمخاطر، حيث جعلت من الوطن العربي جزءا من همومها، وذلك تضامنا مع القضايا العربية وتقوية الروابط والدعوة إلى الوحدة.

سعت البصائر إلى ممارسة دور إيجابي وفعال في حياة المجتمع الجزائري، وتتمثل هذه الإيجابية في اهتمامها بجوانب الحياة المختلفة والتنويع في مضمونها، وابتعادها عن أسلوب الوعظ، واتجاهها إلى ترجمة الواقع والتعبير عنه، وتجاوزت دور المرآة العاكسة بشرح وبيان أبعاده وانعكاساته سواء في الداخل أو الخارج، من أجل تثقيف الرأي العام وتنويره ورفع مستواه الفكري ومحاولة توحيد أحكامه تجاه القضايا المختلفة، والتزام القيم الاجتماعية والمبادئ الأخلاقية الإسلامية، من خلال إعادة صلته بالقرآن الكريم واستلهام القيم منه بتفسيرها وتحليلها للقضايا الاجتماعية والأخلاقية على أساس ما جاء به.

واتساقا مع هذا الدور الإيجابي عملت على إيجاد وعي لدى القراء بالحاجة إلى التغيير بإظهار مواطن الخلل والخطر على مستقبل حياة المجتمع، وتوجيههم إلى سبيل الإصلاح والتغيير.

وعلى هذا الأساس فإن مفهوم الإصلاح لم يكن محدودا، والجريدة ليست متخصصة، بحيث تحصر نفسها في الجوانب الدينية دون غيرها من جوانب الحياة المهمة، مما يدفع عنها فكرة ارتباطها بالوعظ والإرشاد فقط، وإنما دورها المساهمة الفعالة في جميع مجالات الحياة، وإن بيانها وشرحها للواقع وظروفه يعتبر المقدمة الأساسية للإصلاح وتحقيق التغيير المطلوب.

فإذا كانت الدعوة إلى العقيدة والأخلاق وتجاوز الجمود والتخلف تعني الرجوع إلى الإسلام الذي هو الغاية النهائية للدعوات الإصلاحية والتجديدية، فإن هذه العملية لا تتم بمعزل عن الواقع ولذا لا بد من فهمه وإدراكه واستيعابه ثم تحديد سبل التغيير، وبالتالي فإن الإصلاح وعملية تفاعل مع الواقع ومعطياته.

وإذا كانت البصائر قد وجهت أكبر اهتمامها إلى الناحية السياسية فلأن جمعية العلماء تعد السياسة جزء لا يتجزأ كما جاء على لسان رئيسها البشير الإبراهيمي. ولأن المجتمع الجزائري كان تحت سيطرة الاستعمار، كان بيان سياسته وأهدافه يعد أحد أهم أولوياتها، وقد ركزت أكثر على شرح القضية الدينية وموقف الاستعمار من الإسلام ومحاربته له، لأنها قضية جوهرية المجتمع الذي توجه إليه خطابها مجتمع مسلم وحربه في هذه الزاوية تعد أهم وأخطر حرب لأنها بلا شك تقود إلى فنائه، كما أن الدفاع عن هذا الحق هو أحد مسؤولياتها الأساسية باعتبارها حركة إصلاحية تدعو إلى الدين وتتخذ من المساجد والوعظ منابر للدعوة وأدوات للإصلاح.

وهي إلى جانب استنكار الاحتلال في الجزائر ورفضه، تستنكره في كل بقعة من بقاع الأرض وترفض كل أشكاله وصوره، وترى أن ليس هناك فرق بين استعمار شرقي أو غربي، فالاستعمار هو الاستعمار سلب لإرادة الشعوب وتعطيل لقدراتها وتجميد لإنسانيتها، ولحقوقها المشروعة في حياة حرة وكريمة.

وبهذا يمكن القول أنه كان للجريدة دور مهم في تحقيق الوعي الوطني من خلال الدفاع عن مقومات المجتمع، والتأكيد على استقلالية الشخصية الجزائرية في مواجهة الغزو الثقافي ومحاولات الاستعمار القضاء عليها، وفي تعميق الانتماء لدى الجزائريين بوطنهم. دون أن ينفصل هذا الوعي الوطني عن الوعي القومي العربي، انطلاقا من مفهومها للوطن العربي الذي هو وطن واحد مهما تباعدت أقطاره، وتماشيا مع دعوتها إلى الوطنية العامة وتجاوز الوطنيات الضيقة التي كانت سببا في تسلط الاستعمار.

وكذلك تحقيق الوعي الديني من خلال العودة إلى القرآن، وإدراك الحاجة إلى وجود حقيقي للعقيدة والأخلاق الإسلامية، والتصدي لبيان العوامل التي تعرضها للاهتزاز والتي تتمثل في الطرقية والفراغ الروحي وتأثير المدنية الغربية والفكر الإلحادي، والتمسك بمطلبها في فصل الدين ورفض تدخل الإدارة الفرنسية فيه.

كما كان لها دور في تنمية روابط التضامن بين أفراد المجتمع، وتوعيتهم بضرورة التعاون من أجل تجاوز المشكلات الاجتماعية التي يفرضها الاستعمار.

وبناء على هذا يمكن أن نستنتج أن خطوات الإصلاح كما جاءت في البصائر تتمثل في :

- مواجهة الاستعمار بالتمسك بالمقومات الشخصية العربية الإسلامية.
- القضاء على مظاهر الانحلال الخلقي في المجتمع، والتوجيه إلى طريق العمل الصالح والتعاون بين أفراده.
- الدفاع عن حقوق المجتمع.
- التأكيد على انتماء الجزائر العربي، وإعلان التضامن والمساندة لكل القضايا العربية والدعوة إلى الوحدة.
- رفض كل أشكال الاستعمار.

وبهذا يصبح دور البصائر إسهاما عمليا في الحفاظ على عقيدة الأمة وشخصيتها وكيانها، ودعم قيمها الأساسية، ونشر الثقافة الصحيحة، وتحقيق التعاون المثمر بين أفراد المجتمع وإذكاء شعورهم بالروابط العربية، وإثارة الرأي العام تجاه القضايا المصيرية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لقد اتضح من خلال فصول الدراسة كيف أن حركة إصدار الصحف ارتبطت بالواقع السياسي والاجتماعي الذي عاشته الجزائر آنذاك. واتضح أيضا كيف أن الواقع السياسي الذي ضيق على الحريات، وفرض العزلة على الجزائريين، قد دفع بهم إلى أن يصدروا الصحف والمجلات. حاولوا من خلالها تحدي الوضع القائم، والعمل على كشف مخاطر هذه السياسة للرأي العام، والمساهمة في تنويره وتوعيته وتثقيفه.

وقد ساهمت الحركة الإصلاحية بشكل كبير في تنشيط هذه الحركة الإعلامية، عبر العديد من الصحف التي أصدرتها، تعبر عن أهدافها وتدعو إلى مبادئها.

وإن ظهور الحركة الإصلاحية كان أمرا حتميا ومنطقيا في نفس الوقت في ظل غياب الاتجاه الإسلامي في الحركة الوطنية، وتحلل المجتمع من كثير من قيمه وعاداته وتقاليده الإسلامية، وسلبية الطرق الصوفية، ودعوة النخبة إلى الاندماج، فكان كل ذلك يكرس الشعور بضرورة تبني صيغ جديدة لمقاومة الاحتلال، وتجاوز مرحلة التخلف، تتماشى من معطيات الواقع والمرحلة، وتعيد للإسلام دوره في توجيه حركة المجتمع.

والحركة الإصلاحية ذاتها لم تحافظ على وجهها الأول الذي ظهرت به، حيث تطورت بفعل التحولات الفكرية والاجتماعية، وإلحاح المرحلة الجديدة - بما كانت تحمله من أشكال التحدي - إلى ضرورة تنظيم وتطوير أساليب المواجهة، تمثل ذلك في تبني مفهوم أوسع للإصلاح والتغيير، وفي إدراك أهمية تجاوز العمل الفردي المبعثر الذي كثيرا ما تكون نتائجه محدودة، وتأسيس عمل جماعي منظم، محدد المراحل والأهداف، وقد تجسد ذلك في تأسيس حركة جمعية العلماء المسلمين، التي كان لها دور أساسي في تنبيه المسلمين إلى المخاطر التي تهدد حياتهم ومستقبلهم، وبث القيم والمفاهيم الإسلامية، وحماية الذاتية الثقافية في مواجهة محاولات المسخ والتغريب التي تعرض لها المجتمع بكثافة شديدة.

وقد شمل هذا التحول - في مسار الحركة الإصلاحية - الوسائل؛ حيث أصبحت أكثر تنوعا، وكانت الصحافة إحدى أهم هذه الوسائل في المقاومة والتعبير عن أهداف المشروع الإصلاحي والدفاع عنه.

وفي هذا الإطار تبرز أهمية الصحافة الإصلاحية في مواجهة الاحتلال والمحافظة على ذاتية المجتمع. فكانت صفحاتها انعكاسا لصورة وطبيعة الصراع السياسي والديني والاجتماعي بين المجتمع والاستعمار الذي اختار أساليب القهر الثقافي.

وإذا كانت بداية الصحافة الإصلاحية والصحافة العربية الجزائرية عموما، صعبة ومتعثرة بسبب المعوقات الكثيرة التي وضعت في طريقها، فإن ذلك لم يمنعها من الاستمرار والتطور. وتمكنت عناوين كثيرة من أن تحتل مكانة مرموقة داخل الوطن، ويكون لها صدى خارجه. فخاضت في كثير من القضايا المحلية والعالمية، وفكت العزلة عن المجتمع الجزائري، وارتقت بمستوى فكره حتى أصبح أكثر وعيا بمشكلاته وقضاياه، وباتت تشكل خطرا وإزعاجا للإدارة الاستعمارية ومشاريعها، مما دفع هذه الأخيرة إلى محاولة التضييق عليها بكل الطرق للحد من تأثيرها.

ولهذا أصبحت الصحافة الوسيلة الأكثر أهمية بالنسبة للحركة الإصلاحية في التواصل مع المجتمع، وفي تحقيق الإصلاح والتغيير الذي تنشده.

ولعلنا ندرك أكثر هذه الأهمية إذا نظرنا إلى الطرف السياسي والديني والاجتماعي والثقافي الذي كان يميز الواقع الجزائري، ووضعنا في الاعتبار ما تقدمه الصحف المضادة من خدمة للاستعمار.

وقد حاولت هذه الدراسة استجلاء بعض ملامح الصحافة الإصلاحية، وتحديد مدى تفاعلها مع أحداث الواقع وتأثيرها فيه، والمنطلقات والأسس التي اعتمدتها في معالجة مختلف القضايا، وذلك من خلال إلقاء نظرة عامة على الظروف والعوامل التي نشأت في ظلها الصحافة العربية على العموم والإصلاحية على الخصوص، وكذا المواضيع التي استأثرت باهتماماتها والأهداف التي سعى أصحابها إلى تحقيقها. وهذا من أجل تحديد دور الصحافة الإصلاحية في توجيه وإرشاد وإصلاح المجتمع الجزائري في ظل الظروف الاستعمارية الصعبة. ولتحقيق هذا الغرض اختص الفصل التطبيقي بتحليل مضمون جريدة البصائر لجمعية العلماء المسلمين.

وإن الحقيقة التي تأكدت لي في نهاية هذا البحث هي أهمية الدور الذي قامت به صحف جمعية العلماء المسلمين في تلك الفترة، فهي لم تقف موقف المتفرج على الواقع وما يشهده من أحداث وتغيرات، و لم تكن مجرد أداة للوعظ والخطب الدينية، بل كانت أداة إيجابية في نقل الأحداث وتصوير الواقع من خلال تحليله وتفسيره، وبيان دلالاته وأبعاد انعكاساته في الداخل والخارج. وأدت دورا إيجابيا في توعية وتوجيه المجتمع إلى ما يحقق خيره ورقيه وفق التصور الإسلامي.

وإذا ركزت على زوايا دون أخرى فإن ذلك يرجع إلى ظروف الواقع والأهداف، وتصورها لشكل الصراع وشكل وطريقة الحل والمواجهة.

وقد تكامل دور الصحافة مع دور الوسائل الأخرى التي استعملتها جمعية العلماء والتي تتمثل في المدارس والمساجد والنوادي وتنظيم وفود الوعظ والإرشاد، وإقامة الندوات والمؤتمرات، وهذا من شأنه أن يساعدها في تحقيق نتائج هامة.

وتجدر الإشارة إلى أن احتلال الصحافة للموقع الأول كأداة إعلامية في حركة القوى الإسلامية، ليست ظاهرة تقتصر على الجزائر وحدها، بل سبقتها وعاصرتها تجارب كثيرة في العالم الإسلامي، وليس خفيا على أحد مدى تأثير هذه القوى في واقع مجتمعاتها.

وإن القاسم المشترك الذي يجمع هذه التجارب جميعا هو دعوتها إلى ضرورة معالجة القضايا المطروحة في مختلف الميادين ومواجهة الأفكار والاتجاهات الغربية من زاوية الرؤيا الإسلامية. وأن يكون الإعلام دعوة مستمرة للهدي والصلاح والرشاد، وأداة لتوجيه مخاطبة الرأي العام، والتأثير فيه بما يخدم الإسلام والمسلمين.

ولعل ذلك ما جعل بعض الباحثين يتجهون إلى دراسة هذه التجارب، وتتبع مراحلها المختلفة. ورصد مواقفها من القضايا المحورية التي شغلت المجتمعات التي صدرت بها.

وإلى جانب هذه الدراسات التاريخية للصحافة الإسلامية، هناك محاولات عديدة من طرف المهتمين بمجال الإعلام لوضع تصور عام للإعلام الإسلامي، وما يجب أن يكون عليه، وتحديد مفهومه وخصائصه ووظائفه. وعلى الرغم من أهميتها فإن مجال الإعلام الإسلامي لا يزال يحتاج إلى المزيد من جهود الباحثين.

وإن المجتمعات الإسلامية اليوم في أمس الحاجة إلى إعلام مؤثر ينطلق من ذاتيتها الحضارية. ويساهم في تشكيل الرأي العام، وصياغة مفاهيم الأفراد وقيمهم صيانة تلتزم بالمقومات الإسلامية.

جمعية التراث لعلوم الإسلامية

الملاحق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جدول يبين أعداد العينة وتواريخ صدورها

رقم العدد	تاريخ الصدور
العدد 1	الاثنين 26 ذي الحجة 1366 هـ/ 10 نوفمبر 1947م
العدد 13	الاثنين 2 جمادى الثانية 1367 هـ/ 12 أفريل 1948م
العدد 31	الاثنين 25 شوال 1367 هـ / 30 أوت 1948 م
العدد 47	الاثنين 25 صفر 1368 هـ / 27 ديسمبر 1948 م
العدد 64	الاثنين 24 ربيع الأول 1368 هـ / 24 جانفي 1949م
العدد 81	الاثنين 2 شعبان 1368 هـ / 30 ماي 1949م
العدد 109	الاثنين 10 جمادى الأولى 1369 هـ / 27 فيفري 1950م
العدد 122	الاثنين 19 شعبان 1369 هـ / 5 جوان 1950م
العدد 133	الاثنين 11 محرم 1370 هـ / 23 أكتوبر 1950م
العدد 145	الاثنين 27 جمادى الأولى 1370 هـ / 5 مارس 1951م
العدد 175	الاثنين 26 صفر 1371 هـ / 26 نوفمبر 1951م
العدد 186	الاثنين 12 رجب 1371 هـ / 7 أفريل 1952م
العدد 198	الاثنين 13 ذي الحجة 1371هـ / 4 أوت 1952م
العدد 221	الاثنين 12 ربيع الثاني 1372هـ / 29 ديسمبر 1952
العدد 214	الجمعة 7 جمادى الأولى 1372هـ / 23 جانفي 1953م
العدد 231	الجمعة 16 رمضان 1372هـ / 29 ماي 1953م
العدد 239	الجمعة 25 ذي الحجة 1372هـ / 4 سبتمبر 1953م
العدد 260	الجمعة 22 جمادى الثانية 1373هـ / 26 فيفري 1954م
العدد 274	الجمعة 10 شوال 1373هـ / 11 جوان 1954م
العدد 288	الجمعة 11 صفر 1374هـ / 8 أكتوبر 1954م
العدد 308	الجمعة 9 رجب 1374هـ / 4 مارس 1955م
العدد 326	الجمعة 18 ذي القعدة 1374هـ / 8 جويلية 1955م
العدد 342	الجمعة 9 ربيع الثاني 1375هـ / 25 نوفمبر 1955م
العدد 348	الجمعة 22 جمادى الأولى 1375هـ / 6 جانفي 1956م
العدد 361	الجمعة 25 شعبان 1375هـ / 6 أفريل 1956م

جدول يبين عناوين المقال الافتتاحي واسم المحرر

العدد	عنوان المقال	توقيع
- ع 1	استهلال	محمد البشير الإبراهيمي
- ع13	الأديان الثلاثة في الجزائر	محمد البشير الإبراهيمي
- ع31	مؤتمر الزوايا بعد مؤتمر الأئمة	محمد البشير الإبراهيمي
- ع47	من الحقائق العريانة	محمد البشير الإبراهيمي
- ع61	صلاح المجتمع وفساده	أبو بكر بن بلقاسم
- ع64	عادت إلى عترها لميس	محمد البشير الإبراهيمي
- ع81	كتاب مفتوح إلى رئيس الجمهورية الفرنسية	محمد البشير الإبراهيمي
- ع109	فصل الحكومة عن الدين	محمد البشير الإبراهيمي
- ع122	الدين المظلوم	محمد البشير الإبراهيمي
- ع133	كلمة واعظة لأبنائنا المعلمين	محمد البشير الإبراهيمي
- ع145	حقوق الجيل الناشئ علينا	محمد البشير الإبراهيمي
- ع 163	من وحي العيد	محمد البشير الإبراهيمي
- ع 175	القضية ذات الذنب الطويل	محمد البشير الإبراهيمي
- ع 211	قضية فصل الدين عن الدولة	محمد البشير الإبراهيمي
- ع 214	كفاح الجزائر	سيد قطب
- ع 231	مواعظ ليالي رمضان واجب ديني على علماء المسلمين	العربي التبسي
- ع 274	صم بكم فهم لا يرجعون	أحمد توفيق المدني
- ع 308	هذه أقواله فكيف تكون أعماله؟	البصائر
- ع 326	ما هذا المنكر العظيم	البصائر
- ع 342	رسالة القاهرة	أبو القاسم سعد الله
- ع 348	بعد المعركة	البصائر
- ع 361	البصائر تستقبل سنتها التاسعة	البصائر

مكاره ، وبما حوته حقيبتها من ذخائر العبر والتجارب ، وبما قدمت من صالحات طيبتها الثانية:

* * *

كنا نعلم مبلغ تشوف الامة الى جريدتها وكنا معها نعلل النفس بالآمال فلما احيينا سنة الاجتماعات العامة السنويه فى السنة الماضية اعلنا للامة وعدا باصدار البصائر اولا والشهاب ثانيا وضربنا لذلك موعدا محدودا قد رناه باعداد العدد اللازمة.

فتهللت اسرة السامعين وطفح البشر على وجوههم ، وتنوقلت الاحاديث بتلك البشرى فى القطر كله فانتعشت الامال وجليت الاقلام التى علاها الصدا من طول ما أغمدت ، وما زلنا حين وعدنا بها زلين ولا معللين وانما كانت دواعى الرجاء عندنا غالبة وقوة التصميم والحزم فينا متوفره ، وما تجلت لنا الحقائق

مقطوعة الصلة بالقلوب واصبحت فى افواههم كالعلك يمضغ ولا يزدرد ، وهذا النفاق السياسى الذى غطى على فضيلة الصراحة فلم يصف معه ضمير ولم يصدق معه لسان ولم تثبت عليه ثقة ، وهذه الاساليب الادارية العوجاء التى فضحها الحق فما زادت فى مقاومته على ان فضحت نفسها ، وانكرت – اخر ما انكرت – هذا الجو القاتم الذى منع الراحة والهدو ، وسلب السكون والاطمئنان ، وبعث القلق والاضطراب الى هنات اهنات ، اسخفها معاملة الادارة الجزائرية لجريدة البصائر فقد مرت سنة وهى تطالب بحقها فى الحياة وحظها من الورق ولم تحصل بعد هذا الزمن الطويل على طائل.

هذا بعض ما عرفت البصائر وانكرت من الناس واحوالهم ، فاما جمعية العلماء وكيف

كانت وكيف هى الان ، وما هى مواقفها فى مبادئها وما يمس مبادئها ، فهى الميادين التى حييت جريدة البصائر لاقتحامها ، فانتظروا فستجلى لكم الحقائق كما هى وستفضح المخبات التى كمن فيها لغط اللاغطين وستكشف الدعاوى الزائفة التى تجرى بها السنة المضللين:

وكان ما كان ، ولكن ذلك كله لم يزد حركة الاصلاح الا تغلغلا فى الامة ولم يزد الامة الا قوة شعور بحقها المهضوم ، فتعالت الاصوات من كل ناحية وتداعى طلاب الاصلاح فى كل ميدان ، ولو ان الاستعمار كان فقيها فى سنن الله فى الامم والطبائع لانصف الامم من نفسه فاستراح وأراح ، ولعلم ان عين المظلوم كعين الاستعمار ، كلمتاهما يقظى.

* * *

كانت جمعية العلماء تقوم فى كل مناسبة كتبديل الجهاز الادارى هنا او الجهاز الحكومى الأعلى فى باريز وفى اجتماعاتها العامة وفى مقابلاتها لرجال الحكومة باحتجاجات على المعاملات الشاذة التى يعامل بها الاسلام فى داره وتعامل بها العربية فى موطنها ، وكانت تقوم بتظلمات وبيانات

مع الأديب الخلـــــــوف

(لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده، فان الناس لا يسألون في كم فرغ، وانما ينظرون الى اتقانه وجودة صنعته)

افلاطون

اقبل متئد الخطى ساهم النظرات عليه مسحة من كآبة وملامح من فتور. لا يحسبه الناظر الا مثقلا باحمال الارض وهمومها. وكان يؤرجح محفظة ضخمة — على عادته — بها وفرة من الكتب والمجلات الحديثة ونماذج من جذاذات لمواد بعض الكتب التي يعتزم النية لاخراجها لتناولها بالتحقيق والمناقشة. وما كادت قدمه تنتهي به الى حيث التحية حتى ابتدرته لعلي ادفع باتجاه حواسه نحو الانشراح والتسرى اشعره بنغمة الحياة حوله...

قلت: لقد قرأت قصيدتيك في «البطائر» و«الاسبوع» واعجبت بهما ايما اعجاب. ولا شك ان الادباء قد اعترفوا لك بالشاعرية التي لاحت تباشيرها. وسيلحون عليك في نشر ما تيسر لك من شعر ومقالات تحمل طابع الخيال والحيوية والخلود..

ذاته — مما يحوم حولهم من شكوك.. وهو بان تعهد الجمعية الى لجنة من رجالها الذين انست فيهم القدرة على التوليد بالذوق. وانساع الافق وغزارة المادة وكثرة الاطلاع ثم تشرع هذه في عملها الفني الجليل فتجمع لديها «مادة معتبرة» مما انتجته قرائح الشعراء والكتاب في العصر الحديث ثم تبتدىء في الاختيار بتدقيق محكم لتكون النتيجة برهانا على الزمن وعندئذ تجمع ما اختارته بين دفتين وتدعوه «النموذج المدرسي» لمدارس جميع العلماء او با تشاء ويطبع الكتاب ويصبح رسميا به تجرى الاختبارات السنوية بجميع المدارس في المحفوظات العربية الجزائرية. وبهذا العمل البسيط — كما اشرت — تكون الجمعية قد اسدت يدا بيضاء للادب الجزائري والادباء. وحملت الناشئة الجديدة على ان ترضع مع العلم «شيئا حبيبا» وهو ان في وطنها شعراء مجيدين وكتابا فنيين لتستقبل الحياة فخورة بهم متطلعة الى انتاجهم البديع.

قلت: شيء جميل واشارة لطيفة ولكن هناك شيئا اظنك لم تفكر فيه حينما اوحت لك الرغبة ببسط رأيك الطريف... ذلك الشيء هو ان ادباءنا لا يسمحون بنشر آثارهم ما داموا في الوجود لأن النزعة الذاتية

صفحة الشعر

الانتخـــــاب

ذا العصر عصر تحول الألباب ... وتبدل الآراء كالأثواب
لاغرو عصر الظلم والارهاب ... وتصرف الدينار في الألباب
ماذا أقول اذن لأبناء الحمى ... في الانتخاب وبغية النواب
ماذا أقول وقد تجرثم قطرنا ... بالانتخاب وكثرة الأحزاب
ماذا أقول وقد تفرق شعبنا ... والظلم صب عليه سوط عذاب
فالانتخاب بذي الديار مفرق ... كالسحر بين الأهل والأصحاب
فالانتخاب وباله كالخمر والاقـ ... ـدام والأزلام والأنصاب
داء كداء السل الا انـه ... جرثومة يقضي على الأعصاب
هبت عواصفه على اهل الجزا ... ئر فاغتدوا في حيرة المرتاب
طافت طوائفـه على أفكارهم ... فاذا الكثير تعالب وحرابي
فتضاربت آراؤهم وتناقضت ... وأصيبت الألباب بالذبذاب
فتفرقوا أيدي سبا وتحزبوا ... وتعصب الأتباع للأحزاب
عقدوا اجتماعات لعرض برامج ... لكنها انقلبت لمقام سباب
فتكاشف النواب سوء فعالهم ... وتنابز الأخصام بالألقاب
وتبادلوا الشتم البذيء جهارة ... وتجردوا عن حلة الآداب

منبر السياسة العملية

بقلم ابى محمد

البرنامج السياسى :

انقضت ايام الاسبوع ، ولم تفدنا عن الحالة فى فلسطين شيئا جديدا . فاذا نحن استثنينا بعض الحوادث التى استعمل اليهود فيها القوة ، وقابلهم العرب بقوة مثلها ، وكانت حوادث قليلة تكاد تنحصر فى مدينة القدس ، فان الركود قد استحوذ على الميدان الفلسطينى كله ، الى درجة ان ذلك الميدان اصبح لا يذكر بين اعمدة الصحف الا عرضا وفى زوايا مهملة .

اننا لنستفيد من ذلك ان القوم ينهمكون اليوم فى استعداد كبير . وان الملحمة الآتية ، ستجرى وقائعها الحاسمة فوق ميادين السياسة والحروب ، قد اوجبت على الفريقين استجمام القوى ، وتنظيم الصفوف ، وترتيب الواجهتين من جديد .

انه لم يبق اليوم سرا خفيا ان البرنامج السياسى العربى الذى سار عليه القوم منذ رضخوا مرغمين لقرار وقف القتال ، هو احترام الهدنة الى اقصى حدود الاحترام ، وحفظ العهد الى الدرجة النهائية ، اجتماع مجلس الهيأة الأممية المتحدة فى باريس ، فى اواسط سبتمبر المقبل ، فيجب علينا ان لا ننتظر حدثا جديدا ، او استئناف قتال ، او شيئا من ذلك القبيل ، قبل ان تقول السياسة كلمتها الآتية ، ولا اقول الاخيرة ولا النهائية ، فى شهر سبتمبر القابل .

لكننى اقول منذ الساعة ، ولا انتظر انعقاد مجلس الأمم المتحدة لابداء رأيى فى الموضوع ، ان هذه المحاولة السياسية لن تجدى العرب فتيلا . فالسياسة التى حكمت عليهم حكمها الصارم وقفت فى اعضادهم اول مرة سوف تمعن فى عمايتها وانصياعها لجانب الغرض والهوى ، فان هى غيرت من موقفها شيئا فان ذلك التغيير لن يتناول الا بعض المظاهر دون ان يمس بجوهر الاشياء .

المسألة مسألة قوة وعنف ، لا مسألة استكانة وضعف . ولمن لم ينل حقه بقوة معصمه ، فلن ينال حقه بشقشقة لسانه .

ادارة الحركات العسكرية كلها بين يديه . وانها لحظة موفقة ناجحة باذن الله ، اذا ما يسر الله لها الخروج الى عالم التنفيذ .

* * *

اما اليهود :

فهم فى هذه الاثناء كلها ، يوالون اعمالهم السياسية فى نشاط ظاهر . وقد ابتاعوا فى المدة الاخيرة حمولة ثقيلة الوزن ، من ضمائر السياسيين الحربة ، واحتلوا مساحة شاسعة من اعمدة الصحف المادية المأجورة ، واشهروا ضد العرب حملة شعواء من الاكاذيب والبهتان والافك العظيم . فانك لا تكاد تقرأ صحيفة من صحف روسيا ، او جرائد اروبا ، او نشرات اميركا المختلفة ، الا وجدتها لسانا للدعاية اليهودية ، وسنانا موجها لصميم العروبة ، اللهم الا العدد القليل من الصحف المستقلة الحرة ، التى لا تزال توجد بقلة هنا وهناك ، وتدافع عن الحق ، لانه حق ، ولو كان اهله ضعفاء ، وتهاجم الباطل ، لانه باطل ، ولو كان اصحابه اقوياء .

اما السلاح ، فاليهود قد استعملوا ايام الهدنة هذه للتزود باقصى كمية منه ، ولقد شهد كل الملاحظين ان مراسى حيفا ويافا وتل ابيب قد اصبحت مثل طريق النمل ، بما تحمله السفن من شحنات السلاح بين السالف ، يستترون ويتسترون ، رأيناهم يهاجمون مدينة القدس القديمة ويحاولون الاستقرار بها . رأيناهم يهاجمون غدرا جبل صهيون ، ويحتلون مقر الحكومة ، ويطلقون النار على دواد العرب فى شتى جهات الواجهة . وان كان العرب قد ردوهم الى الوراء ، واسترجعوا منهم ما أخذوا ، ودحروهم على اعقابهم خاسرين .

ثم ان اليهود ، من اجراء الحركات العصبية التى كانت نتيجة امعانهم فى التسلح والاستعداد ، قد اصبحوا ينادون بوجوب وضع حد للهدنة ، حتى اذا لم ينالوا حقهم (؟) غير منقوص ، كان السلاح كفيلا برفع رايتهم واقرار جدران دولتهم فوق الاسس الصحيحة ، وعلى الحدود التى رسموها من قبل . تلك امانيهم . قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين .

على ان هذا التظاهر بالقوة ، والاعتداد بالبأس ، والتحدى الظاهر من طرف اليهود ، له من ورائه غاية سياسية خفية ، الا وهى ارهاب العرب ، وجعلهم يخشون سوء المغبة ، ويهابون استئناف العمليات العسكرية ، ويركنون لجانب اللين والمفاهمة ، ويدخلون ذلك المأزق الموبوء ، مأزق المفاوضة بين الخانعين ، حسبما طلبه

منبر الأزهر الشريف

الأخـــــوة

بقلم أحمد شحنون

لابد لهذا المجتمع الانساني (تلك الأسرة الكبيرة المتشعبة) من روابط قوية ، تؤلف بينها ، وتمكنها من تعاونها من لغة ، ودين ، ووطن ، ومصاهرة ، واخوة ، الخ ، وقد راعى الاسلام كل هذه الروابط ومكن لها ودعا اليها ، وحث عليها ، لأنها تعين على تحقيق ما جاء به من جعل الناس — بالتآخي والتآلف والتعاون — اسرة واحدة، ومن هنا كانت رسالة الاسلام عامة .

والذي يعنينا — هنا — من هذه الروابط ، هو الأخوة اذ هي التي كاد يطويها الزمان، ويعفى عليها ذيل النسيان مع ان الاسلام قد اعتبرها الرابطة العامة والجامعة الكبرى بين ابناء الاسلام ، اذ قال — تعالى — : « انما المؤمنون اخوة » بل ، ان هذا التعبير بأداة الحصر هكذا : « انما المؤمنون اخوة » يؤدى اكثر من ذلك ، اذ ينفي ويمنع ان يكون المسلمون غير اخوة للمسلم

في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم » .

ان هذه الأخوة — اخوة الروح لا الجسد ، واخوة الدين لا الدنيا واخوة في الله ، لا في المصلحة — التي ربط الاسلام بها ما بين القلوب — لو بقيت للمسلمين لبقي لهم كيانهم وسلطانهم ، ولكن هذه الأخوة تبدد شملها ودالت دولتها ، وخلفتها اخوة المصالح والأغراض ، واخوة الكائنات والخليلات ، تلك الاخوة التي يتباهى بها الشاعر الماجن اذ يقول :

فان يشرب ابو فروخ اشرب

وان كانت معتقلة عقارا

وان يأكل ابو فروخ آكل

وان كانت جنا نيصا سيارا

والتي يحدثنا عنها التاريخ اذ يقول :

ولى خالد بن عبد الله بن ابى بكرة قضاء البصرة فجعل يحابى فقيل له فى ذلك فقال : وما خير رجل لا يقطع لأخيه قطعة من دينه .

خلود اللغة العربية

ان حياة اي لغة من اللغات لشبيهة جدا بحياة امة من الامم فكما ان حياة الأمة عرضة لأحوال القوة والضعف ، وقصر الأجل وطوله فكذلك حياة اللغة بيد ان حياتها ونموها وازدهارها مرتبط بحياة الامة التي تعبر عن مقصودها وتصور بها احساسها وشعورها فالأمة واللغة كل منهما يخلد بخلود الآخر وهما يمثلان بتداخلهما هيكلا واحدا لا يقبل التجزئة .

ولو نظرنا الى اللغة العربية فى غضون التاريخ لوجدناها متغلغلة فيه تاركة وراءها على مر القرون والأجيال نورا وهاجا يهتدى به الحائر الضال ، ولوجدنا انها كانت يوما من الايام لغة امة تمتد من جنوب فرنسا غربا الى تخوم الصين شرقا ، واخرجت للناس فى كل اجيل من الاجيال المتعاقبة عليها كتائب من العلماء والفلاسفة والشعراء لايزال ابناء العصر الحاضر يكرعون من منهلهم العذب الزلال ويجدون ضالتهم المنشودة فى كتبهم التي غزت مكاتب العالم ، وحملت بين احضانها فلسفة الاغريق ، وصانتهما من عوادى الزمن ، ومن جهل ارباب الكنائس الذين لم يعرفوا لهذه الذخيرة الثمينة من

[illegible] فمحوا منها ما يخالف [illegible] لتحجرة ليكتبوا [illegible] لهم للعجائن [illegible] هذا من امة كان [illegible] وقبلا [illegible] بمعرفة الكتابة والقراءة وصمة [illegible] حتى ضاعت بين جهلهم وكبريائهم على العلم والعلماء لغتهم اللاتينية فانحلت بذلك رابطتهم اللغوية ومكثوا يتخبطون فى رطانات مختلفة ، على ان هذه الرطانات تهذبت مع الأيام واستطاع اهلها ان يسيروا بها فى طريق النهوض والتقدم فأصبح بعضها من اللغات الحية فى العالم الحديث .

واللغة العربية اصابها ما اصاب امتها فى العصور الحديثة من التدهور والانحطاط ، وخلا محرابها من تعابديها وتضاءل شأنها فى نظرهم ووصموها بالعقم ، وهجروها الى غيرها من اللغات الأجنبية ، ولولا المعاهد الدينية كالزيتونة والقرويين والأزهر الشريف ، ولولا السر الكامن فيها وهو سر الخلود سر القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، لكانت اليوم فى رمسها ولكان بدلها فى كل قطر من الأقطار العربية رطانات مختلفة مثل التى حلت محل اللغة اللاتينية ، ولكن نواميس الخلود الكامنة فيها تحركت فى كيانها وبعثتها من الجديد

في الشمال الافريقي

في الجزائر

اعلن منذ أيام ان المجلس الجزائري لا يلبث ان يلتئم شمله في دورته العادية المقبلة ، وقد تم ذلك فعلا يوم العشرين من الشهر الجاري ، وان جدول أعماله هذه المرة عامر بقضايا هامة ، ومنها : قضية فصل الدين عن الدولة وقضية اللغة العربية .

ولا ندري بعد هذا ، ايقدم المجلس الجزائري حقيقة على الفصل في المشاكل المعروضة عليه بما يرضي الديمقراطية والشعب ، فيثبت بذلك وجوده السياسي ، أم يمر عليها مر العاجز القصير الذي لا يقوى على شيء ؟ انا اذا نظرنا الى ماضيه بان لنا عجزه وقصوره في كل ما حاول ان يعالج من القضايا الا ما كان منها ذا صلة بما يعود بالنفع على الجانب الاستعماري العتيد ، فانه اذا قال فيه فعل .

اما الجانب الشعبي الذي يتكلم فيه باسمه مئتون عضوا من أعضائه ، فلم يستخلص من وجوده وقيامه شيئا جديدا يصلح ان يكون نقطة التطور في حياته ، وفي تغيير الاوضاع والشخصيات ممن يهمهم الأمر ، ولكنها لم تمض في هذا الطريق طويلا ، فاكتفت بآراء طائفة واحدة من موظفي المساجد الذين لا يصح ان يكون ما ادلوا به لها من الآراء والأقوال في القضية خارجا عن نطاق وظيفهم الضيق .

اما الهيآت الأخرى التي تمثل الرأي العام اذا تكلمت في القضية ، وتعبر فيها عن امانى الأمة ورغائبها اصدق تعبير ، فان اللجنة لم تتصل - فيما نعلم - بواحدة منها ، فنامت القضية نومها الهادئ منذ هذه الفترة الى أن اثارها أخيرا رئيس المجلس أعلى متن باخرة الحجيج ، وانطقته هذه المناسبة ، ان المجلس الجزائري سوف يسوقه اهتمامه الزائد بها الى الفصل فيها بما يرضي الأمة والحكومة على السواء .

فهل نرى الآن في هذه الدورة الجارية ، من الأعمال ما يحقق الأقوال ؟ انا لمنتظرون.

كيف يخدعوننا :

من مما درج عليه الاستعمار في هذا الشمال الافريقي ، ان يوهموا سكانه وأنهم بانهم عن غيرهم ممن يساكنهم سلكهم في سلك الوحدة ، وقالت : هؤلاء أوربيون ؟ وفيهم الايطالي والاسباني ، والالماني ، والبلجيكي ، والهولاندي ، والفرنسي ؟ ولكنها لا تراهم حينما الاسبالعين التي توحدهم في بلاد ، أجانب فيها حين تأبت ان تنظر الى أبناء الـ الا بالعين التي تفرقهم . قلنا هذا بمناسبة اخذت تنشره بعض الصحف الاستعمارية في الجزائر عن المغرب من الهذيان المفرق بين سكانه ، وهو يكافح ويناضل عن حقوقه داخلا وخارجا .

وان من هذا الصدد قول احد الراديكاليين في مؤتمر حزبه الأخير : ان افريقيا الشمالية ينبغي ان تعتبر جغرافيا من اجزاء أوربا ، وقد كانت كذلك في عهد الرومان ، كما ان وضعها اليوم يؤكد صحة قولنا .

وزاد على ضوء هذه الأفكار الغريبة ، فطلب تأميم الصحراء على سعة اطرافها ، والحاقها بأوربا . انتهى بدون تعليق :

* * *

في المغرب

ابتهجت اوساط الاستعمار هنا ابتهاجا زائدا لتأجيل النظر في قضية المغرب للمرة الثانية بمجلس الأمن ؟ وقد عدت الصحف الناطقة باسم هذه الأوساط ، هذا التأجيل الثاني نصرا مبينا لسياسة الجانب الفرنسي ، ومقدمة قوية لنجاحها في النهاية ؟

يزول زوال الجلو الموقف ، ويعيد الى النفوس الاطمئنان ، فتبدو قضية المغرب قضية شعب من أجل حريته واستقلاله وانه لا يفصل فيها الا عن طريق

اما ... فرنسية عن تصريح الأخيرة في الموضوع لا تخرج ... ادعاء ان قضية ... ست من اختصاص مجلس الأمن ، وان ملف فرنسا حسن ، ومشروعها التمديني ليس فيه ما يخجل ، ولا ما يتعارض مع ميثاق الأمم المتحدة في اعداد الشعوب والأمم الى نيل السيادة وتفهم الديمقراطية التي يتطلب اقامة قواعدها في بلاد الاقدمية زمنا غير قصير واعداد جيل جديد يقوى على اعتناق مبادئها بحكم تربيته ، الى غير هذا من الأقوال التي ليس فيها من جديد على من سبروا اغوار السياسة الاستعمارية وعجموا اعوادها .

هذا ما ... م. شومان كمدافع عن الاستعمار ، وهو كله من الكلام المعاد المكرر الذي لا ... مشكلا ، ولا يضئ طريقا .

وربما ... م. شومان انه اتى بشيء جديد ، اذ ... ان سير الاستعمار في المغرب لا يتعارض ... ميثاق الأمم المتحدة ، واذا ثبت هذا الزعم ، وصح عدم التعارض بين نظم الا... وميثاق هيئة الأمم المتحدة

صفحة القراء

من العاصمة

اقيمت حفلة فاخرة بمناسبة عقد الشاب المهذب عباد محمود على كريمة السيد الحاج التيجاني بن ختو التاجر المشهور .

وقد تم العقد بمحضر جماعة من اهل العلم وبعض أعيان مدينة بلعباس وخطب بهذه المناسبة الاستاذ الجليل الشيخ العربي التبسي خطبة دينية جامعة .

وأثر ذلك تبرع السيد عباد محمد اخو الزوج بخمسمائة فرنك للبصائر وبالفي فرنك لدار الطلبة فالى الاسرتين تهانينا .

من سانطوجين (الجزائر)

مما يبشر بمستقبل باسم ما يلاحظ على كثير من أفراحنا من اتجاه حسن فبعد أن كانت مظهرا للفوضى والضجيج والاسراف أصبحت مثالا من الهدوء والكياسة . والتزام الآداب الاسلامية وهذا ما رأيته في هذا الأسبوع في وليمة الزواج التي أقامها صديقنا السيد المختار بن صاري بمناسبة زواج ابنه عباس فنهنيء ونتمنى للعائلتين المتصاهرتين كل وفاق ونجاح .

من قسنطينة

من الربوة (مقام لافريك)

أقام الفاضل السيد عبد القادر عويساوي وليمة فاخرة بمناسبة تزويجه لأخيه أحمد فنهنيه من صميم قلوبنا ونتمنى للعروسين حياة سعيدة زاهرة .

من تازمالت

بشر الأخ الكريم السيد ساعد قوقام ببنت وقد اختار لها من الأسماء «ياسمينة» جعلها الله قرة اعين والديها وعمها السيد يوسف التلميذ بالجامع المعمور .

وبهذه المناسبة تبرع للبصائر بخمسمائة فرنك .

فاليه والى جميع افراد العائلة احر التهاني القلبية .

من اقون بني خيار

جمعية التربية والتعليم تهنيء كاتبها السيد حجوط موسى بمولوده الجديد «عبد الغفور» وترجو للمولود حياة طيبة في ظل أبويه الكريمين وتبرع بهذه المناسبة بالف فرنك للبصائر

اخبار الشعب

تجددت بالبليدة شعبة لجمعية العلماء من السادة :

الرئيس	الحاج ... علي
نائبه	الميسوم سريد
الكاتب	محمد عدة
نائبه	الصادق عبد القادر
أمين المال	يوسف خلادي
نائبه	محمد تومي
المراقب	محمد قارة

الاعضاء المستشارون : السادة محمد بن نواس ، الحاج بن يرقى ، حسن بابا سليمان أحمد بن قرقورة ، محمد بوعيبة منصوري الميسوم ، حشاش عبد الرحمان ، محمد بن برقى عبد القادر السبع حمادي الخضر ، ملاك ابراهيم الحاج بن زيان ، تايديرت محمد .

شعبة آيت عيلم بميشلي

تجددت بآيت عيلم شعبة جمعية العلماء من السادة الآتية اسماؤهم :

الرئيس	السيد بوداود مهنة
نائبه	ابن مسعود بو سعد
الكاتب	بوداود الطاهر
نائبه	بوداود عبد السلام
امين المال	تواتي علي
نائبه	آيت أوديع أعراب
المراقب	ولد محمد محمد بن أعراب

* بقية الصفحة الثانية *

المسلمين لكنهم اعادوا الكرة راجعوا الى ما كانوا عليه .

ياقوم ان الجزائر لم تكن تعرف قبل مجيئكم اليها هذا النوع من السراف او الفن الخليع فقد خلعتم عذار الحياء وافسدتم اخلاق الشباب بما اغرقتموه وبما زينتموه له من الفحشاء والمنكر .

ياقوم ان الجزائر اليوم في نهضة علمية مباركة تدعو الى الفضيلة والاخلاق الحميدة تدعو الى الرجوع بالمسلمين الى سالف عهدهم الزاهر تطبع الشباب بطابع الرجولة الكاملة والترفع عن الدنايا والمحقرات فهل فكرتم في هذا قبل ان تفكروا فيما تحصلون عليه من ثمن بخس .

ان الجزائر اليوم تكرم ضيوفها وتفرح بمقدمهم لكن الضيوف الذين تكرمهم لا عانتها على بناء مجدها .

ياقوم ان الادارة الاستعمارية التي اعانتكم وسهلت لكم وسائل السفر ارادت ان تستعين بكم على هدم الاخلاق الاسلامية ومقابلة مواعظ رمضان بسخافات المجون .

لو تقدم احد علمائكم وزعمائكم الى الادارة الاستعمارية بطلب رخصة تمكنه من زيارة الجزائر لغرض شريف لرفض طلبه حينا لأنه يعمل لايقاظ الشعور بالعزة والكرامة والاتحاد .

يوميات الأزمة الجزائرية

الاثنين ٢١ فيفري :

* كذبوا فى بعض الدوائر الرسمية وجود جثث الجنود الستة الذين قيل ان الثوار قد اعدموهم بعد ان اسروهم فى كمين . ولم تستطع أية فرقة من الجنود الوصول الى الجهة التى زعم بأن الجثث موجودة فى قعر واديها .

* اجرت محكمة وهران (للمرة الثانية) النطق بالحكم فى قضية الاربعين المتهمين بالاعتداء على امن الدولة ، والذين كانت قضيتهم فضيحة خارقة العادة لأساليب الاستنطاق البوليسى الوحشية .

* يوالى م . ادقارفور جهوده لتشكيل حكومة فرنسية تعتمد على الوسط اليمينى ويحاول اقناع الاشتراكيين بالدخول فيها . ويكاد يتأكد انه سيخضى بسائر ما كان يراه م . متران فى ميدان الاصلاح بالبلاد الجزائرية لأن احزاب اليمين لا تؤيده ولا تتشاور معه الا على ذلك الشرط ، ومحاولة ابقاء ما كان على ما كان .

* صرح الوالى العام م . سوستيل على آخرين بأشهر من السجن ، واجل النطق بالاحكام على الآخرين للاسبوع المقبل ، وقد اكد سائر المتهمين تأكيدا قاطعا بأن الاعترافات التى امضوها لم تقع الا تحت اعمال القسوة والعنف والاكراه الشنيع ، وكانت المحكمة قد اقتنعت بعض الاقتناع بهذه التأكيدات

الثلاثاء ٢٢ فيفري :

فى باريس اكد الحزب الاشتراكى انه يرفض الدخول فى وزارة ادقارفور اويساندها ، لعدم مصادقته على سياستها العامة ، ومنها السياسة فى قطر الجزائر وبقية بلاد الشمال الافريقى .

وقد اعلن م . فور انه يقبل مهمة تشكيل الحكومة وانه سيتقدم بها غدا امام المجلس الوطنى .

* جاءت لمختلف الصحف الهيئات وبعض الشخصيات رسالة على طريق البريد تحمل امضاء « الحركة القومية الجزائرية » . وهي رسالة موجهة للوالى العام ورجال المجالس المختلفة ، ومما جاء فيها من خطاب للوالى العام : ان

البصائر

ايضا ... .

الاربعاء ٢٣ فيفري :

وقعت اليوم اوزارة م . ادقارفور امام المجلس الوطنى الفرنسى ، وادلى الرئيس ببيانه عن المنهاج الحكومى الطويل العريض الذى وعد البلاد الفرنسية بكل خيرات الدنيا ونعيمها . اما فيما يتعلق ببلاد الشمال الافريقى ، فقد قال عن تونس : سنعمل على انجاز الاتفاقات سريعا . اما ماتم منها فلارجع اليه ، واما المسائل التى بقيت موقوفة فنعتقد انه يمكن فضها دون تنازل مجحف وسنتمكن بواسطة ذلك من استمرار « الحضور » الفرنسى بالبلاد .

وقال عن البلاد الجزائرية :

« ان القطر الجزائرى يكون مع نفس البلاد الفرنسية وحدة لايمكن لأي بشر ان يمسها بسوء . وعلينا نحن ان نزيد فى متانة هذه الوحدة وحيويتها ، سواء كان ذلك فى الميدان السياسى او الاقتصادى او الاجتماعى ، مع احترام سرعة النجدة الفرنسية الفعالة عند ما وقعت الحوادث الاخيرة — وان فرنسا لاتفرق بين مقاطعاتها الجزائرية او البروطانية او غيرها من بلاد فرنسا — وهي ليست مستعدة لمغادرة هذه اوتلك ان فرنسا هاهنا موجودة فى بيتها ، او ان الجزائريين بعبارة اخرى هم جزء لا يتجزء من البلاد الفرنسية ذات الوحدة المتماسكة .

ويدخل الوالى العام المؤرخ فى شرح بعض الغوامض التاريخية التى تفسر اقواله ، ونحن نسجل شرحه هذا ، لأننا سنتناوله ببحث فى مستقبل الايام .

يقول :

« ان الذين يندهشون من اقوالى هذه نظرا للفروق العديدة الموجودة بين الجزائر وفرنسا ، يجب ان لا ينسوا ان سائر المقاطعات الفرنسية ، كانت اثناء التاريخ القديم بعيدة عن باريس اكثر مما تبعد الجزائر عن باريس يومنا هذا ، وكانت تلك المقاطعات التى ضمتها فرنسا اليها ذات قوانين خاصة بها ، وذات عوائد

الفهارس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهـــرس المـراجـع

المـــراجـــع العـــربيـــــة

أولا: كـــتب التفسيـــر والحـــديث

1 - عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، جمع وترتيب وإعداد ومراجعة محمد الصالح رمضان وتوثيق محمد شاهين، (الجزائر، دار الكتاب الجزائري).

2 - عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ط1 (الجزائر، دار البعث: 1983).

3 - محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، (بيروت، دار الفكر: 1981)، (م3، ج6).

ثـــانيـــا: مـــراجـــع عـــامـــة

1 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ط4 (بيروت، دار الغرب الإسلامي: 1992)، ج2 - ج3.

2 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، (بيروت، دار الغرب الإسلامي: 1998)، ج 4 - ج 5.

3 - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط1 (بيروت، دار الغرب الإسلامي: 1990)، ج4.

4 - أبو القاسم سعد الله، محمد العيد آل خليفة، رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، (مصر، دار المعارف 1961).

5 - أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ط2 (الجزائر، دار الكتاب: 1963).

6 - أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، (الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب: 1985).

7 - أحمد المصري، الإعلان، (مصر، مؤسسة شباب الجامعة: 1992).

8 - إسماعيل معراف قالية، الإعلام حقائق وأبعاد (الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية: 1999)

9 - جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، (الجزائر، دار الكتب: 1982).

10 - جوان غيلسبي، الجزائر الثائرة، ترجمة خيري حماد، ط1 (بيروت، دار الطليعة: 1961).

11 - جيهان أحمد رشتي، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، (مصر، دار الفكر العربي).

12 - رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس، فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، (الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع: 1969).

13 - رتشارد بن وآخرون، تحيل مضمون الإعلام: المنهج والتطبيقات العربية، ترجمة محمد ناجي جوهري، ط1 (أربد، قدسية النشر: 1992).

14 - رشدي طعيمة، تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية: مفهومه - أسسه - استخداماته، (القاهرة، دار الفكر العربي).

15 - الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، (الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع: 1982)، ج1 - ج4.

16 - زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، (الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية).

17 - سمير محمد حسين، بحوث الإعلام، ط2 (القاهرة، عالم الكتب: 1995).

18 - السيد ياسين وآخرون، تحليل مضمون الفكر القومي العربي: دراسة استطلاعية، ط3 (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية: 1985).

19 - صالح خرفي، شهيد الثورة الجزائرية: أحمد رضا حوحو في الحجاز 1934 - 1954، ط1 (بيروت، دار الغرب الإسلامي: 1992).

20 - صالح خرفي، عمر بن قدور الجزائري، (الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب: 1984).

21 - الطيب العلوي، مظاهر المقاومة من عام 1830 حتى ثورة نوفمبر 1954، (قسنطينة، دار البعث: 1985).

22 - عبد الحميد بن باديس، العقائد الإسلامية، رواية وتعليق محمد صالح رمضان، (الجزائر، دار الكتاب الجزائري).

23 - عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر 1947 - 1954 (الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب: 1986)، ج3.

24 - عبد الكريم بوالصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931 - 1945 (الجزائر، المتحف الوطني للمجاهد).

25 - عبد اللطيف حمزة، المدخل في فن التحرير الصحفي، ط4 (مصر، دار الفكر العربي).

26 - عبد الله الركيبي، قضايا معاصرة في الشعر الجزائري المعاصر، (الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب: 1983).

27 - عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925 - 1954، ط2 (الجزائر، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع: 1983).

28 - عمار طالبي، ابن باديس حياته وآثاره، ط1 (الجزائر، دار ومكتبة الشركة الجزائرية: 1968)، ج1 - ج2 - ج4.

29 - عواطف عبد الرحمن، الصحافة العربية في الجزائر: دراسة تحليلية لصحافة الثورة 1954 - 1962، (الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب: 1985).

30 - عواطف عبد الرحمن، صورة إفريقية في الصحافة العربية، ط2 (مصر، دار الفكر العربي).

31 - عواطف عبد الرحمن وآخرون، تحليل المضمون في الدراسات الإعلامية

32 - فاروق أبو زيد، الصحافة العربية المهاجرة، ط1 (القاهرة، مكتبة مربولي: 1985).

33 - فاروق أبو زيد، فن الكتابة الصحفية، ط2 (جدة، دار الشروق: 1982).

34 - فاروق أبو زيد، مدخل إلى علم الصحافة، ط2 (القاهرة، عالم الكتب: 1993).

35 - فهمي جدعان، أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي المعاصر، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: 1985).

36 - فؤاد توفيق العاني، الصحافة الإسلامية ودورها في الدعوة، ط1 (بيروت، مؤسسة الرسالة: 1993).

37 - لوثروب ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج بويهض وتعليق الأمير شكيب أرسلان (مصر، مكتبة ومطبعة عبسي البابي الحلبي وشركاؤه: 1952 هـ)، ج1.

38 - مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه، (دمشق، دار الفكر: 1986).

39 - مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط5 (دمشق، دار الفكر: 1986).

40 - مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عمر مسعاوي وعبد الصبور شاهين، ط3 (دمشق، دار الفكر: 1969).

41 - مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط3 (دمشق، دار الفكر: 1986).

42 - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ط1، (بيروت، دار الغرب الإسلامي: 1997)، 4 أجزاء.

43 - محمد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة 1954 - 1964، ط1 ، (الجزائر، شركة دار الأمة: 1994).

44 - محمد خير الدين، مذكرات (الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب)، جزأين.

45 - محمد السعيد الزاهري، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، ط2 (دمشق، مطبعة الاعتدال: 1934).

46 - محمد الصالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900 - 1962 (الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع : 1983).

47 - محمد الطاهر فضلاء، دعائم النهضة الوطنية، ط1 (قسنطينة، دار البعث : 1984).

48 - محمد عابد الجابري، وجهة نظر، ط1 (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية: 1992).

49 - محمد العربي ولد خليفة، الثورة الجزائرية معطيات وتحديات، ط1 (الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب: 1991).

50 - محمد عبد الحميد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، (الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية).

51 - محمد عبد الحميد، بحوث الصحافة، ط1 (القاهرة، عالم الكتب: 1992).

52 - محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة (الجزائر، المطبعة التعاونية: 1965)، ج1 - ج2.

53 - محمد فتحي عثمان، عبد الحميد بن باديس رائد الحركة الإسلامية في الجزائر المعاصرة، ط1 (الكويت، دار القلم للنشر والتوزيع: 1987).

54 - محمد قنانش، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919 - 1939 (الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع: 1982).

55 - محمد ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، ط2 (الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب: 1983).

56 - محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939 (الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع: 1980).

57 - محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية: نشأتها تطورها أعلامها من 1903 إلى 1931 (الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع: 1978)، ج1 .

58 - محمد ناصر، عمر راسم المصلح الثائر (الجزائر، دار الكتاب).

59 - محمد قاسم، الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير (مصر، دار المعارف: 1988).

60 - محي الدين عبد الحليم، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، ط2 (القاهرة، مكتبة الخانجي- الرياض، دار الرفاعي: 1984).

61 - نصر الدين لعياضي، اقترابات نظرية من الأنواع الصحفية (الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعي: 1999).

62 - نصر الدين لعياضي، مساءلة الإعلام، (الجزائر، المؤسسة الوطنية للطباعة: 1991).

63 - وزارة الشؤون الدينية، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ط1 (قسنطينة، دار البعث: 1991)، ج5.

ثالثا: الموسوعات والمعاجم

1 - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الموسوعة الصحفية العربية، (تونس، المنظمة: 1995)، ج4.

2 - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ط2 (بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية: 1980).

رابعا: المقالات والدراسات

1 - أبو القاسم سعد الله، "مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي: 1830 - 1954"، مجلة الثقافة، الجزائر، س14، ع79 (يناير / فبراير 1984).

2 - بسيوني الحلواني، "حاجتنا إلى إعلام إسلامي"، مجلة الأمة، قطر، س3، ع35 (أغسطس 1983).

3 - حسين فضل الله، "دور الثقافة في عملية التغيير"، مجلة الثقافة الإسلامية، دمشق، ع10 (1986).

4 - حمزة بوكوشة، "شيخ الجماعة عبد القادر المجاوي"، مجلة الثقافة الجزائر، س2، ع10 (سبتمبر 1972).

5 - زهير إحدادن، "الصحافة الجزائرية من بدايتها إلى الاستقلال" عالم الاتصال، سلسلة الدراسات الإعلامية، (الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية: 1992).

6 - صالح بن بوزة، "المناهج والمقاربات المنهجية في بحوث الإعلام" ، مجلة الثقافة، الجزائر، س20، ع110 - 111 (سبتمبر / ديسمبر 1985).

7 - صالح خرفي، "الجزائر ودورها في النهضة العربية الحديثة في المشرق"، مجلة الثقافة، الجزائر، س5، ع26 (أفريل / ماي 1975).

8 - عبد الرحمن محمد إبراهيم، "مشاكل الصحافة الإسلامية" مجلة الأمة، قطر، س2، ع13 (1981).

9 - عبد المالك مرتاض، "أسلوب الصحافة العربية في الجزائر"، مجلة الثقافة، الجزائر، س6 ، ع34 (أغسطس / سبتمبر 1976).

10 - علي مرحوم، "نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية" ، مجلة الثقافة، الجزائر، س7 ، ع42 (ديسمبر / يناير 1978).

11 - علي مرحوم، "نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية" ، مجلة الثقافة، الجزائر، س8 ، ع46 (أغسطس / سبتمبر 1978).

12 - عمار هلال، "أصداء الهجرة نحو الشرق العربي في بعض التقارير الرسمية الفرنسية"، مجلة الثقافة، الجزائر، ع88 (يوليو / أغسطس 1985).

13 - محمد الصالح رمضان، "جمعية العلماء ودولاها العقائدي والاجتماعي والثقافي"، مجلة الثقافة، الجزائر، س14، ع83 (سبتمبر / أكتوبر 1984).

14 - محمد الهادي الحسني، "الإبراهيمي رئيسا لجمعية العلماء"، مجلة الموافقات، المعهد الوطني لأصول الدين بالجزائر، س4، ع4 (جوان 1995).

15 - محمد زرمان، "من معالم التغيير الحضاري عند ابن باديس"، مجلة الموافقات، المعهد الوطني لأصول الدين بالجزائر، س6، ع6 (1997 / 1998).

16 - ميمون النكاز، "قراءة في إشكالية التخلف والتبديل"، مجلة الأمة، قطر، س6، ع63 (نوفمبر 1985).

خـــامســـا: الرســـائل الجـــامعيـــة

1 - إبراهيم لونيسي، القضايا الوطنية في جريدة المبشر 1847 - 1870، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر 1993 / 1994.

2 - أحمد حمدي، مبادئ الإعلام والدعاية لدى جبهة التحرير الوطني وتطبيقاتها في صحيفة المجاهد من 1965 إلى 1962، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، جوان 1985.

3 - حسين بن مرسلي، الرد التربوي لابن باديس على المشروع التربوي الاستعماري، رسالة ماجستير غير منشورة في علوم التربية، معهد علم النفس، جامعة الجزائر 1990 / 1991.

4 - عبد المجيد بن عدة، مظاهر الإصلاح الديني والاجتماعي من خلال جهود الرواد المصلحين 1900 - 1925، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1991 / 1992.

5 - نور الدين ثنيو، قضايا الحركة الإصلاحية عند رابح زناتي ومحمد الأمين العمودي خلال الثلاثينات، معهد الحضارة والتاريخ الإسلامي، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية 1996 / 1997.

سادسا: الجـــرائد ومجـــلات

1 - الإصلاح

2 - الأمة

3 - البصائر
4 - ذو الفقار
5 - الشهاب
6 - الصراط السوي
7 - الفاروق
8 - المنار
9 - المنتقد
10- النجاح
11- وادي ميزاب

المـــراجـــع الأجـــنبيـــة:

أولا: الكـــتب

1 – Ahmed Mahsas, le mouvement révolutionnaire en Algérie de la 1ere guerre mondiale à 1954, (Paris, l'Harmattan : 1979).

2 – Ali Merad, le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940, (Paris, Mouton & co : 1979).

3 – Chales Robert Ageron, les Algériens musulmans et la France, 1ere édition, (Paris, presse universitaire de France : 1968).

4 – Claude Collot et Jean Robert Henry, le mouvement national algérien : textes 1912 – 1954 (Alger, office des publications universitaires – Paris, Harmattan).

5 – P. Boyer Adrien, l'évolution de l'Algérie médiane de 1830 à 1856, (Parie Maisonneuve : 1960).

6 – Elias Hanna Elias, la presse arabe, (Paris, maisonneuve et la rose : 1993).

7 – Mahfoud kaddache, histoire du nationalisme algérien : question nationale et politique algérienne 1919 – 1951, (Alger, S.N.E.D : 1981), tome I - II .

8 – Zoheir Ihaddaden, histoire de la presse indigène en Algérie des origines jusqu'à 1930, (Alger, entreprise nationale du livre : 1983).

ثانيـــا: المقـــالات

1 – Ali Merade, la formation de la presse musulmane Algérienne, revue algérienne des sciences juridiques, économiques et politique, n° 2 (mars 1964).

2 – Claude Collot, le régime juridique de la presse musulmane algérienne, revue algérienne des sciences juridiques, économiques et politiques, volume 1, n°2 (mars 1969).

3 – Le régime de la presse algérienne, la défense, n° 27, (27 juillet 1934).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

المقـــدمـــة

الإطار المنهجي للدراسة

1 – إشكالية الدراسة وتساؤلاتها..... 1

2 – دوافع الدراسة وأهدافها..... 3

3 – الدراسات السابقة..... 4

4 – منهج الدراسة..... 11

الفصل الأول

جمعية العلماء المسلمـــين الجزائريين

أهدافها ومنهجها في الإصلاح

أولا: ظهور الإصلاح الإسلامي في الجزائر..... 15

ثانيا: تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين..... 18

ثالثا: أهداف جمعية العلماء المسلمين..... 23

رابعا: فلسفة الإصلاح عند جمعية العلماء..... 29

أ– إصلاح الفرد..... 45

ب– إصلاح المجتمع..... 46

خامسا: وسائل الإصلاح عند جمعية العلماء..... 46

1 – تأسيس المدارس الحرة..... 47

2 – المساجد الحرة..... 51

3 – النوادي..... 52

4 – الصحافة..... 53

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني
الصحافة الإصلاحية في الجزائر
نشأتها وتطورها وأهدافها

أولا: عوامل وظروف نشأة الصحافة العربية في الجزائر..... 57
1 – عوامل ظهور الصحافة العربية في الجزائر..... 57
– العوامل الداخلية..... 58
– الصحافة الفرنسية..... 58
– الوضع السياسي والاجتماعي..... 61
– العوامل الخارجية: تأثير الصحافة العربية..... 63
– المشرقية..... 63
– الصحافة التونسية..... 64
– الصحافة العربية ومساهمة الجزائريين في المهجر..... 68
2 – ظروف نشأة الصحافة العربية في الجزائر..... 73
– الأوضاع القانونية..... 73
– موقف الجزائريين من الصحافة..... 79
– الإمكانيات المادية الصعبة..... 80
– العقبات الفنية..... 80
ثانيا: نشأة وتطور الصحافة الإصلاحية في الجزائر..... 82
1 – اتجاهات الصحافة في الجزائر..... 82
– الصحافة السياسية..... 82
– صحافة التيار الطرقي..... 86
– الصحافة الإصلاحية..... 87
2 – تعريف الصحافة الإصلاحية..... 88
3 – مراحل نشأة الصحافة الإصلاحية في الجزائر..... 91
– المرحلة الأولى..... 91
– المرحلة الثانية..... 99
ثالثا: أهداف الصحافة الإصلاحية..... 106

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 – التغيير الاجتماعي..... 107
2 – التوجيه والإرشاد..... 109
3 – نشر الوعي الثقافي..... 110
4 – الدفاع عن مقومات الشخصية الجزائرية..... 111
5 – غرس وزيادة الشعور بالانتماء إلى وطن وأمة واحدة..... 113

الفصل الثالث:
الـــدراســـة التطبيـــقية

أولا: تحديد العينة..... 119
1 – إطار العينة..... 119
2 – نوع العينة وطريقة اختيارها..... 121
ثانيا: تصميم كشف الدراسة..... 123
1 – فئات التحليل..... 123
2 – وحدات التحليل..... 128
3 – وحدات العد والقياس..... 128
ثالثا: عرض البيانات وتحليلها..... 129
1 – الأشكال التحريرية المستخدمة في جريدة البصائر..... 129
2 – مجالات اهتمام جريدة البصائر..... 148
3 – أهداف جريدة البصائر..... 161
نتائج الدراسة..... 181
الخاتمة..... 190
الملاحق..... 193
الفهارس..... 203
– فهرس المراجع..... 204
– فهرس الموضوعات..... 212

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية